جامعة الخرطوم

مطبوعات دار التأليف والترجمة والنشر

الكتب العربية التي صدرت

الكتاب	المؤلف
«١» دراسات في الأدب والنقد	الاستاذ معاوية محمد نور
«٢» قصص وخواطر الجزء الثاني	الاستاذ معاوية محمد نور
«٣» الحركة الفكرية في المهدية	د. محمد ابراهيم أبو سليم
«٤» الضرائب في السودان	د. علي أحمد سليمان
«٥» معجم المصطلحات القانونية	د. سعيد محمد أحمد المهدي
«٦» اجراءات تحرير الاقتصاد السوداني	د. عثمان حسن سعيد د. عبد الرحمن الطيب علي طه
«٧» تاريخ دارفور السياسي	الاستاذ موسى المبارك
«٨» البحر القديم «شعر»	الاستاذ مصطفى سند
«٩» سالي فو حمر «قصص»	الاستاذ جمال محمد أحمد
«١٠» نماذج من الأدب الزنجي	الاستاذ علي المك
«١١» تأميم المصارف في السودان	لجنة الدراسات الاقتصادية بنك السودان
«١٢» دبلوماسية محمد	د. عون الشريف قاسم
«١٣» الصهيونية وعداء السامية	د. ابراهيم الحردلو
«١٤» كوبا الجزيرة التي احببت	د. يوسف بشارة
«١٥» طبقات ود ضيف الله «تحقيق»	د. يوسف فضل حسن
«١٦» أعمال الليل والبلدة	الاستاذ ابراهيم اسحق
«١٧» الصحافة السودانية في نصف قرن	الاستاذ محجوب محمد صالح
«١٨» الأرض الآثمة «مترجمة»	الاستاذان: صلاح أحمد ابراهيم وعلي المك
«١٩» الشعر الحديث في السودان	د. محمد ابراهيم الشوش
«٢٠» مصادر الدراسات السودانية	الاستاذ قاسم عثمان نور
«٢١» يعانقني «مترجمة»	د. متوكل أحمد امين
«٢٢» الجريمة والعقوبات	د. سعيد محمد أحمد المهدي
«٢٣» ظلال شاردة	الاستاذ محمد محمد علي
«٢٤» دراسات سودانية	د. عبد المجيد عابدين
«٢٥» خواطر طبيب	د. محمد سليمان شاهين

العنوان	المؤلف
«٢٦ ، ٢٧» الفكر الاسلامى والفلسفات المعارضة (جزءان)	د . عبد القادر محمود
«٢٨ ، ٣١» أفق وشفق «٤ أجزاء» «تحقيق»	الشاعر توفيق صالح جبريل د . محمد أبراهيم أبو سليم ومحمد صالح حسن
«٣٢» نحو الغد	محمد أحمد محجوب
«٣٣» القصة الحديثة فى السودان	الاستاذ مختار عجوبة
«٣٤» نماذج من القصة القصيرة فى السودان	الاستاذ مختار عجوبة
«٣٥» مبادىء الكونيات	الاستاذ الامين محمد احمد كعورة
«٣٦» صحو الكلمات المنسية	النور عثمان ابكر
«٣٧» مسائل فى الابداع .	الاستاذ جمال عبد الملك ابن خلدون
«٣٨» اطفالنا غذاؤهم وصحتهم	دكتور حافظ الشاذلى
«٣٩» حصار وسقوط الخرطوم	ميمونة ميرغنى حمزه
«٤٠» أدب وادباء .	دكتور محمد أبراهيم الشوش
«٤١» التربية من اجل الاعتماد على النفس	ترجمة الاستاذ على النصرى حمزه
«٤٢» اتجاهات وميول الطلاب	د . السمانى عبد الله يعقوب د . عزيز حنا داؤد
«٤٣» محمد على فى السودان	دكتور حسن أحمد ابراهيم
«٤٤» غربة الروح	دكتور ابراهيم الحاردلو
«٤٥» تصدع وقصص أخرى .	الفائزون فى مسابقة المجلس القومى للآداب والفنون
«٤٦» نداء المسافة «شعر»	تيراب الشريف
«٤٧» العودة إلى سنار .	محمد عبد الحى
«٤٨» الرحيل فى الليل	الاستاذ عبد الرحيم بو ذكرى
«٤٩» فى المسرحية الأفريقية	الاستاذ جمال محمد أحمد
«٥٠» الشراقة والهجرة	محمد المهدى مجذوب
«٥١» المهدية والحبشة	محمد سعيد القدال
«٥٢» القصيدة المادحة	د. عبد الله الطيب
«٥٣» حوار مع الصفوة	دكتور منصور خالد
«٥٤» مدينة من تراب	الاستاذ على الملك
«٥٥» رسائل عثمان دقنه	محمد ابراهيم ابو سليم
«٥٦» دراسات فى علم الانثروبولوجيا	د. عبد الغفار محمد احمد
«٥٧» مع ابى الطيب (طبعه ثانيه)	البروفسير عبدالله الطيب
«٥٨» شعراء الوطنية	صلاح الدين المليك

دوريات عربية :—

مجلة كلية الآداب

كتب تصدر قريباً :

العنوان	المؤلف
«١» الدين فى الاطار الافريقى	الاستاذ جمال محمد أحمد
«٢» مقدمة فى الرياضيات الحديثة	الاستاذ عبد الله صالح حامد .

صفحة

١٦ ـ جبارة الحاج عبد الرحمن ضد عطا منه بله . . . ٥٧

رقم ٢٤٠ / ١٩٧٣ ، ١٧ / ١ / ١٩٧٤

١٧ ـ جمعه أحمد عطيه ضد محمد أحمد صديق . . . ٦٥

رقم ٨٧ / ١٩٧٢ ، ٢١ / ١ / ١٩٧٣

(ح)

١٨ ـ حياتى عماش وآخرين ضد عثمان أحمد المصطفى . ٢٤ ، ١٢٦

رقم ١٦٢ / ١٩٧٣ ، ١٣ / ٣ / ١٩٧٣

(خ)

١٩ ـ خديجة عمر ضد (ورثة المرحوم) عبد الله الماحى . . ١٢٧

رقم ٢٠٥ / ١٩٧٢ ، ١١ / ٣ / ١٩٧٣

(د)

٢٠ ـ دار الصحافة للطباعة والنشر ضد حموده العركى .

عثمان . . ٤٥ ، ٧٤ ، ١٢٧

رقم ٧٧ / ١٩٧٤ ، ١٠ / ٦ / ١٩٧٣

٢١ ـ دنيق مادوس ضد شركة الخرطوم لصناعة الطاس . . ٣٨

رقم ١٣١ / ١٩٧٢ ، ٨ / ٤ / ١٩٧٣

(ز)

٢٢ ـ (ورثة) زينب عكاشة ضد أحمد ابراهيم حسن . . ٦٦ ، ١٠٢

رقم ١١٠ / ١٩٧٢ ، ٢٩ / ١١ / ١٩٧٢

الصفحة

(ش)

٢٣ - شاكر اندراوس ضد محمد أحمد عبد القادر . . . ٦٥

رقم ٨٠٠ / ١٩٧٣ ، ١٧ / ٣ / ١٩٧٤

٢٤ - شركة اتحاد المهندسين ضد عمر محمد على . ٩٧ ، ١١٥ ، ١٣٧

رقم ١١٨ / ١٩٧٢ ، ١٤ /٢/ ١٩٧٣

(ص)

٢٥ - صبحى عبد المسيح ضد شركة الخيوط الشرقية . . ١٢٤

رقم ٨٤ / ١٩٧٢ ، ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٢

٢٦ - صديق عمر بقادى ضد محمود عمر بقادى ٥٦

رقم ٢٣٧ / ١٩٧٣ ، ٣١ / ٥ / ١٩٧٣

(ع)

٢٧ - عائشة عبد الرحمن ضد عبد الله مالك عبد الرحمن . . ٥٩

رقم ١٧١ / ١٩٧٣ ، ٢١ / ٤ / ١٩٧٣

٢٨ - (ورثة) عبد الرحمن محمد عشا ضد على عبد الرحمن عشا ١٢٥ ، ١٢٦

رقم ٢٨ / ١٩٧٤ ، ١٩ / ٣ / ١٩٧٤

٢٩ - عبد العزيز محمد ابراهيم رشوان ضد أحمد
محمد البرير وشركة التأمينات العامة . . . ٣٣

رقم ٤٤٧ / ١٩٧٤ ، ١٨ / ٩ / ١٩٧٣

الصفحة

٣٠ ـ عبد الكريم على ضد مصطفى أحمد . . . ٥٦

رقم ١٦٠ / ١٩٧٣ ، ٢ / ٧ / ١٩٧٣

٣١ ـ عبد الله الطيب ضد محمد الباشا . . ٤٩ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ٩٢

رقم ٧٤ / ١٩٧٢ ، ١٤ / ١١ / ١٩٧٢

٣٢ ـ عدلان طه عدلان ضد تاج الدين محمد عبد الرازق . . ٦٤

رقم ٢٨ / ١٩٧٣ ، ١٠ / ٣ / ١٩٧٣

٣٣ ـ على أكول قونج ضد أصايا كون . . . ١٠١

رقم ٣٠٢ / ١٩٧٣ ، ١٣ / ١٢ / ١٩٧٣

٣٤ ـ عمر هلال ضد عبد المطلب الشايب . . . ٥٢ ، ١٢٦

رقم ٤٥٤ / ١٩٧٣ ، ٦ / ٨ / ١٩٧٣

(م)

٣٥ ـ محجوب على الأمين ضد (ورثة) أ . لولاص . . . ٥٣ ، ١٠١

رقم ٤٦١ / ١٩٧٣ ، ٤ / ١٠ / ١٩٧٣

٣٦ ـ محمد أبو العزائم مدنى ضد مدنى أبو الحسن محمد . ٦٠ ، ٦٨

رقم ٢٩٥ / ١٩٧٣ ، ٣١ / ١٢ / ١٩٧٣

٣٧ ـ محمد اسماعيل على ضد الشركة السودانية

لما وراء البحار ٨٠

رقم ٥٠٦ / ١٩٧٣ ، ١٦ / ٩ / ١٩٧٣

الصفحة

٣٨ ـ محمد البلولة ابراهيم ضد مرحوم بابكر . . ٢٣ ، ٥٠ ، ٩٠
رقم ٤ / ١٩٧٢ ، ٣٠ / ٩ / ١٩٧٢

٣٩ ـ محمد الحسن عبد الرحمن وآخرين ضد ورثة
الطيب مجذوب . . . . ١٠١ ، ١٢٥
رقم ٦٠٢ / ١٩٧٠ ، ١٣ / ٣ / ١٩٧٤ .

٤٠ ـ محمد جبر الله الأحيمر ضد السيد عيسى الفكى . . ١٠٢
رقم ٦٧٥ / ١٩٧٣ ، ١١ / ١٢ / ١٩٧٣

٤١ ـ محمد زين عبد الرحمن ضد بابكر صالح . . . ١٢٥
رقم ٣٥٦ / ١٩٧٣ ، ١٧ / ١٠ / ١٩٧٣

٤٢ ـ محمد على أبو كوع وآخرين ضد (ورثة) محمد
عبد القادر أبو ربدة . . . . ٣٢ ، ٥٢
رقم ٩٥ / ١٩٧٢ ، ١٢ / ٣ / ١٩٧٣

٤٣ ـ محمد محمود عبيد ضد عواطف محمود حسن . . ١٠٠ ، ١٠١
رقم ١٠٣ / ١٩٧٤ ، ٩ / ٦ / ١٩٧٤

٤٤ ـ محمد نبيل فهمى ضد دانيال شحاته . . . ٥٨ ، ٨٤
رقم ٦٧ / ١٩٧٢ ، ٢٢ / ١١ / ١٩٧٢

٤٥ ـ محمدين بابكر محمد ضد (ورثة) عدلان سعيد ٧٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢
رقم ١٣٢ / ١٩٧٢ ، ١٨ / ٣ / ١٩٧٣

الصفحة

٤٦ ـ مدثر القراى ضد يحيى ابراهيم الحسين ١٠٩
رقم ٤٩٥ / ١٩٧٣ ، ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣

٤٧ ـ مؤسسة كريكاب ضد إخوان كيب وتيودور ١٠٦
رقم ٧٣٦ / ١٩٧٣ ، ١٣ / ٣ / ١٩٧٤

(و)

٤٨ ـ وزارة التربية والتعليم ضد أحمد فضيل حسن
عبد المنعم ١٠٧
رقم ٦٦٤ / ١٩٧٣ ، ٧ / ٢ / ١٩٧٤

(ى)

٤٩ ـ يوسف عبد العال ضد البادى طه فضل . . . . ٣٦ ، ١٠٠
رقم ١٨١ / ١٩٧٢ ، ٣١ / ١١ / ١٩٧٣

وكتراث عربي اسلامي نعتده لحاضرنا ومستقبلنا . اما الهدف الثالث الذى لا ولا يعد هو ان يكون مرجعا لدارسى الادب السوداني وحافزا للنظر فى ما به البيئة السودانية من موضوعات تستحق ان ينفق الوقت والجهد فى الكتابة عنها ، وللنظر فى ما يملأ المجتمع السوداني من ثروات تحتاج إلى بحث الباحثين وتنقيب المنقبين ونقد الناقدين .

اننى اذ اسأل الله التوفيق فيما قصدت لاحمده الحمد كل الحمد واشكر كل من أعان على اخراج هذا المؤلف ثم اعتذر للقارىء عما قد يجد او يلاحظ من تقصير أو سهو ، والكمال لله أولا وآخرا .

نوفمبر ١٩٧٣ صلاح الدين المليك

المقـــدمة

السودان قبـــل محمد على

المناخ الفكرى :

للسودان من بين البلاد الأفريقية وضع فريد فى سجل الحضارة الافريقية القديمة لا يشركه فيه بلد من بلدانها المختلفة ، وان كان بعضها يفوقه لظروف خاصة . شهد السودان مدنية مسيحية انتشرت فى بعض ربوعه ردحا من الزمن ، و « كان يسكن فى بلاد النوبة السفلى قوم يقال لهم المقرة ، وأول أرض المقرة قرية تعرف بنافة على مرحلة من أسوان ومدينة ملكهم يقال لها نجراش على أقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاهم قبل مبعثه فى أيام فرعون فأخرب نافة . فالنوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المجاورون لأرض الاسلام وبين أول بلدهم وبين اسوان خمسة أميال ويقال ان سلها جد النوبة ومقرى جد المقرة من اليمن وقيل النوبة والمقرة من حمير وأكثر أهل الانســـاب على أنهم جميعا من ولد حام بن نوح . وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا — النوبة والمقرة ومدينة دنقله هى عاصمة ملكهم » (1) قامت هذه المملكة فى شمال السودان ، ومن العاصمة دنقلا انتشرت تعاليم المسيحية بين الناس وسادت أوساطهم وتغلغلت فى النفوس والرؤوس .

وفى بقعة أخرى من السودان ، وفى وسطه بنى فريق من النوبة « يقال لهم علوة (2) مدينة عظيمة سموها سوبا وبسطوا سلطانهم على ما جاورها من البقاع واتسعت رقعة دولتهم ، حتى أن من « سار فيها يريد أقصاها لم يأت عليه بعد سنين (3) وفى ســـوبا » أبنية حسان ودور واســعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين (4)

---

١ – الخطط – المقريزى ح ١ ، ١٩١ ، ١٩٢

٢ – تاريخ السودان – نعوم شقير . بيروت ٣٤٣

٣ – نفس المصدر ٣٤٤

٤ – المخطط . المقريزى ١ ، ١٩٣

المطمئن الواثق لمكانه شيخه الدينية . فالذى مكنته الظروف من أن يدرس فى مدرسة ما مبادى القراءة والكتابة وتحصيل القرآن أو جزء منه يهيمن على حياة القرية الدينية والثقافية والاجتماعية أحيانا »(١) .. وهذا يعنى ان التعمق فى أمور الدين وفى غيرها لم يكن غاية الكثيرين لذلك انصرفوا إلى المتصوفة وأخذوا يترددون على حلقاتهم ويروون اخبارهم وكراماتهم أكثر مما يروون أخبار الملوك والسلاطين »(٢) وهذا يعنى أيضا سيطرة نوع معين من الأفكار ينشرها اولئك الذين يفدون على الشيوخ ويدعمونها بما يسمعون منهم ومن تلاميذهم من حوادث وخوارق تحدث على أيدى الشيوخ فى حياتهم أو بعد مماتهم او كوارث تصيب مخالفيهم او منافسيهم . لم تلتفت عامة الناس إلى شيء فى الحياة ، ولم تكن هنالك حروب متصلة (الا منازعات قبلية) تشغلهم ، والزراعة يسيرة موسمية ، والتجارة محدودة فى مداها وفى اصنافها لذلك اصيب المجتمع السوداني بشيء من الفراغ ألجأ الناس إلى تلك الحلقات وأفكار ونجم عن هذا « شعور دينى مسرف فى الولاء للشيخ وتعلق بالغيب »(٣) وقبل المسيحية والاسلام عرف السودان حضارة الفراعنة وهى حضارة بثت فيه تقاليد وافكارا بقى اثرها زمنا طويلا — فمملكة مروى الشهيرة تدل آثارها القائمة إلى الآن قرب مدينة شندى على حضارة نستشف منها ما كان عليه المجتمع من رقى فكرى ونظام اجتماعى ، وقد نالت تلك المملكة « شهرة فى التاريخ . وذكرها المؤرخ اليوناني هيرودتس » (٤). وقامت فى شمال السودان مملكة أخرى هى نبته ، تركت هذه المملكة أيضا آثارا تكشف عن مدى ما وصل اليه المجتمع فى عصرها .

مع هاته(٥) الحضارات العريقة التى ازدهرت فى شمال السودان وخلفت آثارا اجتماعية وعمرانية شملت الجنوب حضارة أفريقيا السوداء وتجلت فى فنون شعبية متعددة كموسيقى الطبول وصناعة التماثيل وفى بعض الافكار والعادات ، وقد امتدت جذور هذه الحضارة من الجنوب إلى اواسط السودان وتفرعت من هنالك إلى الشرق والغرب والتقت مع مثيلاتها وامتزجت بهن ، ولعلها طغت عليهن أو على

---

١ — السودان فى قرن — ٥

٢ — السودان فى قرن ـ ٤

٣ — الشعر السوداني فى المعارك السياسية م . م . ع ٤٤

٤ — تاريخ السودان ، نعوم شقير (بيروت) ٣٢١

(٥) ما معنى هاته؟

بعضهن فى بعض المناطق فى جانب من جوانب الحياة الاجتماعية ، وهذا يدل على قوتها ، الا أنها لم تقو على مبادىء العقيدة الاسلامية وعلى تعاليم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

نخلص مما قدمنا إلى أن هذا المزيج الدسم هو الذى كون العقلية السودانية وغذاها أو بعبارة أخرى هو المناخ الذى نمت فيه وعاشت قبل الفتح وقد أثمر هذا المناخ ثمرات متعددة منها :

١ ـ الديني : وهو عبارة عن شروح لبعض كتب الاقدمين ومؤلفات منها :- ألف ارباب بن على بن عون «كتابا في اركان الايمان وسماه الجواهر (١) وشرح «محمد بن محمد كداوى أم البراهين» . (٢)

٢ ـ الأدبي : وهو قصائد من الشعر فى المدح ـ فقد مدحوا رجال الدولة ومن ذلك قصيدة (٣) الشيخ عمر المغربي فى مــدح الملك بادى أبو دقن ، ومدحوا أيضا شيوخهم كمدح «على ود الشافعى» شيخه عمار بن عبد الحفيظ (٤) ، وقصائد اخرى رثي بها بعض التلاميذ الاوفياء اساتذتهم الذين غذوهم بعلمهم وعطفهم كقصيدة الفقيه ابراهيم عبد الدافع التى رثي بها الفقيه احمد بن عيسى . وغير هؤلاء الذين ذكرنا كثيرون ، نظم بعضهم مدائح ومراثي ، وكان لبعضهم اشعار فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم مثل مضوى بن مدني .

لا يفوتنا أن نذكر فى هذا المقام أن احدى حكومات ما قبل الغزو المصرى التركى ، وهى حكومة الفونج حفظت للعلماء والمتصوفين مكانتهم ، وقدرت علمهم واجتهادهم فى سبيل حفظ التراث كما استعان بهم بعض ملوكها كالملك «محمد ابو لكيلك» الذى اعتقد فى الفقيه داود بن محمد واخذ يشاوره فى جميع أموره» كما أن «الملك بادى أبو شلوخ طلب من جميع المراتب الدعاء» لما كادت

---

١ ـ الطبقات صديق ٣١
٢ ـ الطبقات صديق ٣٢
٣ ـ مخطوطة كاتب الشونة
٤ ـ الطبقات. صديق ١١٨

جيوشه تنهزم أمام بعض الغـزاة . ولهـذه الحكومة قـدم راسخة فى ميدان نشر العلم والمعرفة ، فقـد اشتهر فى عهدها « الرواق السنارى » وهـو مكان سكن السودانيين الذين هاجروا إلى مصر للدراسة فى الازهر .

وبجنب العربية التى نشرها الفونج انتشرت الطرق الصوفية ، وقامت تلك الطرق « بدور خرافى غيبى يستغل ميل الناس إلى العاطفة » .(١)

الوحدة الادارية ودورها فى خلق الوطن السوداني : العهد التركى

نعلم أن جيوش محمد على دخلت السودان وتوغلت فى أقاليمه شرقا وغربا وجنوبا ، وبذلك امتد النفوذ المصرى التركى من مصب النيل إلى المناطق الاستوائية حتى كاد يبلغ منابعه جنوبا وبذلك أيضا اختتمت حقبة من الزمن اتسمت بسمات خاصة أهمها :-

١ - الانقسام والتفكك ، لأن البلاد كلها كانت دويلات لارابط بينها .

٢ - سيطرة القبلية ، لان كل دولة من تلك الدويلات حكمتها قبيلة واحدة وتغلبت عليها حتى صار الحكم محصورا فى تلك القبيلة أو فى بيت أو عائلة منها يرثه أحد رجالها عن ابيه او جده أو أخيه .

ودخلت البلاد مرحلة جديدة من مراحل تاريخها الطويل ، وشهدت هذه المرحلة الجديدة تغييرا فى كثير من أوجه الحياة ، فقد جاء البلاد حاكم ذو فكرة معينة وغرض محدد وله جيش قوى يسنده واعوان مخلصون مطيعون كثيرون . ولتنفيذ الفكرة التى جاء بها، ولتحقيق الغرض المحدد الذى من أجله زحفت الجيوش وازهقت بعض الارواح كان ذلك التغيير . وبذلك كله دخلت حياة الاهلين طورا جديدا انتقلت فيه من الانكماش داخل حدود الاقليم أو القطر إلى الانطلاق إلى الاقاليم الأخرى وإلى الاقطار المجاورة لاسيما مصر ، فقد انفتحت الابواب بعد الفتح و« وجدت القبائل نفسها حرة بحيث تستطيع التنقل فى المكان الذى يطيب لها فيه المرعى ، وممارسة الحياة فالمواصلات اصبحت سهلة والأمن صار مستتبا» .(٢) استمر التنقل وكثر الاتصال بين الناس من مختلف القبائل والبقاع ، وبما أن الدويلات

---

١ الشعر الحديث فى السودان ع. بدوى ٢٦٩

٢ الشعر الحديث فى السودان ع. بدوى ٢١٥

القبلية قد زالت وحلت محلها حكومة واحدة لان محمد على « أعطى السودان ادارة موحدة » (١) وجعل (٢) من أقاليم السودان المنفصلة وحدة سياسية اذ قسمه إلى مناطق سمى الواحدة منها مديرية يحكمها « مدير » ، وكل المديرين يرأسهم حاكم مقره الخرطوم — العاصمة ، زالت الفوارق والحواجز ، وخفت حدة العصبية و « ضعف الاحساس (٣) بالحياة القبلية فقد أحس الناس أنهم تحت نظام موحد ، وأن السلطة لم تعد للقبيلة » ، وقد أدى كل هذا إلى توحيد ولاء الاهلين للحكومة ، وهذا بدوره ادى إلى انتزاع ولائهم من القبيلة أى إلى جمعهم كلهم فى طاعة هيئة واحدة بسطت نفوذها على بلدهم ، ووضعت لهم قانونا واحدا يسرى عليهم كلهم دون استثناء ، ووضعت كذلك أنظمة أخرى متعددة تنطبق عليهم كلهم لا يشذ فرد ولا تخرج عنها جماعة .

مع كل ما تقدم نجد ان السفر داخل المناطق او من اقليم إلى آخر قد سهل ، وأخذ الناس يرحلون فى طمأنينة لانهم لا يخافون الغارات ، ولا مخاطر الطريق الآخر ولا ينشغلون عن السفر بحروب قبلية « وقد ترتب على هذا أن اختلطت الدماء والانساب وبخاصة الدماء العربية التى كانت تمتزج بالسكان فى سرعة مذهلة كما ترتب عليه تهيئة السودان الموحد لاداء دورة كاملا فى المحيط الاسلامى الكبير مستعينا فى ذلك بحركة التجميع السياسى إلى جانب حركة التجميع الصوفى وازدهار البعث العلمى فى البلاد . »

ومضى الزمن والناس على هذا الحال تحكمهم حكومة واحدة وينطبق عليهم قانون واحد وتعتبر الحكومة بلدهم قطرا واحدا . وهم يتنقلون داخله كيفما يشاءون ويقيمون حيث تطيب لهم الاقامة دون قيود او حدود ، ولهذا يمكننا القول بأن الحكومة بتوحيدها الادارة مهدت السبيل إلى خلق وطن سوداني .

---

١ — السودان فى قرن

٢ — تقرير لجنة الخدمة ٢٨

٣ — الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٢١٢

الفصل الاول

شعراء ماقبل المهدية

لم يكن السودان لدى مقدم الأتراك اليه واستيلائهم على أزمة الحكم فيه خاليا من نظام تعليمي أو خلوا من أية حركة تثقيفية توجيهية ، بل كان فيه تعليم ديني يتلقاه المتعلمون في المساجد على شيوخ علماء ، وفي الخلاوي حيث يتلقون مبادىء الدين ويتلقون القرآن ثم يحفظونه عن ظهر قلب . هذا النوع من التعليم هو أساس ثقافة كثيرين من الشعراء الذي سنتحدث عنهم في الفصول القادمة من هذا البحث . لم تكن هذه الخلاوي وتلك المساجد محصورة في بقعة واحدة أو منطقة معينة وانما تناثرت هنا وهناك ، وطبقت شهرة بعضها الآفاق واشتهر معها الرجال الذين قاموا بالتدريس فيها ، كما شهرت القرى التي قامت فيها ، فقرية « كترانج » مثلا مكان المسجد المعروف الذي درس فيه العالم الفقيه احمد ولد عيسى ، وقرية « ابي حراز » مسكن العالم المتصوف دفع الله ابن الشيخ محمد العركي فيها مسجد وعدد من الخلاوي ودرس فيها اعداد من الطلاب ، والشيخ حسن ولد حسونة أقام في قرية عرفت باسمه واصبحت ملتقى لطلاب الفقه وللراغبين في حفظ القرآن . على ايدي هؤلاء الرجال ومن تلك البقاع شع نور المعارف الدينية وانتشر حتى عم أرجاء القطر .

لما قامت حكومة العهد المصري التركي شجعت هذا التعليم لانها رأت فيه دعما « للثقافة العربية الاسلامية » ، وكان الولاة أيضا يرون في هذا النوع من التعليم نفعا يعود على الدولة وعلى الرعايا ـ فهو معين على تثبيت دعائم الحكم ، وها هم اولاء « يعيدون الازهريين[1] السودانيين » من مصر إلى السودان ، وهو يكفل للرعايا قدرا من المعرفة يستعينون به على أمور الدين والدنيا ، لذلك « اعان اسماعيل مدارس القرآن والعلوم الشرعية »[2] ، الا انهم لم يكتفوا بهذا النوع من التعليم

---

١ الشعر الحديث في السودان ع . بدوي ١١٦

٢ السودان في قرن ٧٤

لانه وان وفى بحاجات البلاد الروحية لم يف ببعض حاجاتها الأخرى ، فالنظام الجديد يحتاج إلى موظفين يساعدون فى ادارة دولاب الدولة ، وللقيام باعمال كثيرة كتابية وحسابية لذلك « بدأ التعليم المدني فى العهد التركى لسد حاجات البلاد وتمشيا مع التطور » (١) وفتحت المدارس فى بعض المدن ، اوأخذت الحكومة فى ارسال وفود من السودانيين ليتلقوا فى مصر تعليما يؤدى إلى سير الادارة الحكومية سيرا مرضيا محققا لاغراض القائمين بالامر فى السودان وفى مصر ، ولم يكن الغرض من التعليم المدنى « تكوين المواطن الصالح - كما هو الحال فى مصر تقريبا - ولم يربط ببيئة البلاد واحتياجاتها وقدراتها من قريب أو بعيد ومن هنا فلم يأت بالثمرة المرجوة » . (٢)

ومهما يكن أمر التعليم المدني وانشاؤه وأهدافه وثمراته ، فان الذى يعنينا فى المرتبة الأولى فى هذا المقام هو التعليم الدينى لانه أخرج للسودان وللعالمين العربي والاسلامى الرعيل الاولى من شعراء هم نتاج ثقافات متعددة ومتنوعة .

المسلمون والخلافة التركية :-

بعد أن غزت جيوش محمد على السودان واستولت عليه بجميع أقاليمه أصبح جزءا من الامبراطورية العثمانية ومعنى هذا أن سكانه كانوا يدينون بالولاء والطاعة للمتربع على عرش الامبراطورية المتولى خلافة المسلمين ، وهو صاحب السلطة الزمنية والروحية ، أمره مطاع ، وكلمته لا ترد ، والخروج عليه خروج من الدين فمصر التى فكر واليها محمد على فى فتح السودان ، وفتحه فعلا ، جزء من تلك الامبراطورية ، وقد عين الخليفة المتربع على عرش تلك الامبراطورية ذلك الوالى . فكيف لا يكون السودان جزءا من هذا الكيان وقد صار السودان تابعا لمصر سياسيا واداريا ، واصبح اهلوه رعايا لصاحب الشأن فى مصر ، وهو وشعب مصر من رعايا الخليفة . وأهل السودان فى الشمال والشرق والوسط والغرب مسلمون من قديم الزمان ، رسخت فيهم العقيدة ، ونشأت اجيالهم المتعاقبة فى بيئات اسلامية خالصة واشربت نفوسهم تعاليم الاسلام وتقاليده ولهذا سرت فيهم الروح الاسلامية

---

١ الشعر الحديث فى السودان ع. بدوى ١٧٤

٢ المرجع السابق .

وتغلغلت ولهذا أيضا هم يعرفون قدر الخليفة ، ومعنى الخلافة ، ويربطون طاعة الخليفة وتقدير الخلافة بالماضى – بالنبى صلى الله عليه وسلم وجهاده واخلاصه لربه ولأتباعه ، وبالراشدين وسيرهم فى الحكم وسيرتهم بين المسلمين ، ويربطونها ايضا بحاضرهم وما يصيبهم فيه من توفيق او اخفاق ، او ما يعرض لهم من خير وشر ، ويربطونها ايضا بمستقبلهم فى الحياة وفى مابعد الحياة احيانا .

فالخليفة وإن لم يصل درجة النبى ، وان لم يبلغ مبلغه فى القرب من الحق عز وجل وفى أمور أخرى كثيرة الا أنه يحل محله فى تصريف شئون المسلمين – شئون الحكم والدفاع والقضاء ، وفى القيادة والزعامة الروحية ، وفى كل ما يتصل برعايتهم وحمايتهم . ان الخليفة يكفل لهم كل ذلك ، وهم بدورهم يطيعونه ولا يقفون عند حد الطاعة بل يحجمون عن الدخول فى أى أمر لا يقره الخليفة . والسودانيون وهم مسلمون » كانوا يتعلقون بتركيا أيام كانت الخلافة فيها ، وكانوا ينظرون إلى الأتراك نظرة اكبار . فالشيخ ادريس ود الأرباب أفتى فى مسألة فقهية استنادا على أمر من أوامر سلطان تركيا–وقد رفض فريق من السودانيين الدخول فى أمر المهدية محتجين بأنها خروج على السلطان وطاعة السلطان مما يوجبه الدين(١) .

ان المسلمين فى كل زمان ومكان تعلقوا بخليفتهم ، ولم يمنعهم من ذلك مانع مهما كان ، وكلنا يعرف قصة المرأة العربية التى استغاثت حين وقع عليها الضيم فى عمورية قائلة « وامعتصماه » ، وكلنا يعرف ما حدث بعد ذلك . وفى عصرنا هذا ظل الشعراء المسلمون يمجدون الخليفة والخلافة فى شعرهم ، ويسجلون احداثها الكبيرة اجتماعية كانت او سياسية فى شعرهم ، وفى كل من شوقى وحافظ خير دليل لذلك ففى ديوان كل منهما عدد من القصائد التى نظمت فى موضوعات تتصل بخليفة المسلمين وحكومته من قريب أو من بعيد . ان الشاعرين بما نظما يعبران عن مشاعر المسلمين فى مصر ، ويمكننا القول بأنهما ايضا يفصحان عما يجيش فى نفوس مسلمى اقطار أخرى لما لكل منهما من مكانة فى تلك الاقطار .

ان امير الشعراء شوقى استقبل الطائرة التركية « ادرميد » التى اقلعت من تركيا يقودها طياران تركيان ونزلت فى مصر بقصيدة منها :

---

١ الشعر السوداني فى المعارك السياسية م . م . على ٣٦١

الدول ذات الصلة بالمسلمين ، أو تلك التى سيطرت عليهم سيطرة مباشرة أو غير مباشرة ، وكانت تلك الدول المسيطرة تحسب حساب هذا التعلق فى معاملاتها الرسمية والخاصة ، وتحسب حسابه كذلك فى رسم سياستها فى حكم المسلمين . فلما قامت الحرب الكبرى الاولى فى عام ١٩١٤ ، ودخلتها تركيا إلى جانب المانيا ، صارت بدخولها هذا عدوا لبريطانيا التى تحكم اقطارا سكانها مسلمون ، والمسلمون لايعارضون خليفتهم ولا يخرجون عن طاعته ناهيك بمعاداته أو محاربته ، أو معاونة اعدائه من غير المسلمين . لقد اختلف المسلمون فى الماضى وانقسموا وخرجوا على الخليفة وحملوا السلاح وقاتلوا جنود الخليفة ، الا أن الخلاف فى ذلك الزمن كان داخليا سياسيا ولم تدخل فيه عناصر أجنبية غير اسلامية . ومهما يكن من شىء فان البريطانيين فى السودان انزعجوا وبدأوا يعدون ترياقا لما قد ينجم عن ولاء المسلمين لسلطان تركيا وعن تعلقهم به لانه خليفتهم ، وقد صار عدوا لحكامهم ، فكان ان استكتبوا زعماء السودان عبارات التأييد وجمعت فى كتاب فكان سفر الولاء و « كان الزعماء محمولين على ذلك حملا ليهدأ الشعب »(١) .

الشعور الوطنى والشعور الدينى :

كان الشعور الدينى يطغى احيانا كثيرة ويسيطر على المجتمع الاسلامى سيطرة تامة ودليل ذلك انهم تقبلوا حكم العثمانيين ، وهم غير عرب ، وكان بعض الزعماء والمفكرين امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى يفهمون الوطنية على أساس دينى ، وقد دفع هذا الشعور بالامام محمد عبده إلى أن يقول « ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين »(٢) .

تبع هؤلاء المفكرين عدد من ذوى الرأى فى مصـــر وغيرها ، وتعلقوا بالخلافة رغما عن مظالم الاتراك وعجمتهم فبكى الشعراء الخلافة لما الغيت ، وانكروا على دعاة القومية دعوتهم — كل هذا يدل على سيطرة الشعور الدينى وتغلبه على الشعور الوطنى فى أقاليم المجموعة الاسلامية المختلفة .

---

١ – الشعر السوداني فى المعارك السياسية م . م . على ٣٦٢

٢ – الاتجاه القومى فى الشعر العربي الحديث ٣٦

وفى السودان قامت ثورة محمد أحمد المهدى باسم الدين ، فقد أعلنهــا ثورة على مظالم حاقت بمسلمين مسالمين هم أهل السودان ، ثورة على مفاسد حدثت على مسمع ومرأى من حكام كانوا يمثلون إلى حد ما أعلى وأكبر سلطة دينية فى العالم الاسلامى ، واستجاب الناس للمهدى وتبعوه وحالفه النصر مرة بعد أخرى ، وكلما انتصر ازداد عدد اتباعه ، وسرى الحماس فى جنوده وظلوا يقاتلون وينتصرون إلى أن تم لهم ما ارادوا من اجلاء الاتراك والاستيلاء على زمام الامور فى البلاد فلو ان محمد أحمد المهدى أعلنها ثورة وطنية ، ودعا الناس إلى محاربة الحاكم الدخيل ، وتحرير أرض الوطن من سيطرته ، أفكان يجد نفس التأييد والاستجابة أكان يجد أى قدر من المساندة والتعضيد أو أى نوع من القبول بين الناس ؟

مكان السودان فى نظر هؤلاء الشعراء من مصر ومن العالم الاسلامى :

لقد كان لدولة الفونج فضل كبير فى نشر الثقافة العربية الاسلامية ، ففى عهدهم انتشرت الخلاوى فى بقاع السودان المختلفة ، ومن مآثر ملوكهم انهم عنوا بالاسلام واللغة العربية ومن مظاهر تلك العناية « أن قربوا اليهم كثيرا من العلماء والمتصوفة واغروهم بالهجرة إلى سنار ، فتجمع حولهم طلاب العلم والتصوف من نواحى السودان المختلفة ومن خارجه ، كذلك أقطعوهم الكثير من الضياع الواسعة فى أماكن متفرقة من البلاد وأجزلوا لهم الهدايا و كانوا لا يردون لهم شفاعة بل جعلوهم أهل مشورتهم ومحل اعتقادهم(١) » ولم يقف جهد الفونج عند هذا الحد ، بل انه فى زمنهم بدأت دراسة العربية الفصحى تجد آذانا صاغية ، وعرفت صلات أدبية بين ملوك الفونج وبين أدباء مصر (٢) ، ولكن هذه العناية التى أولاها ملوك الفونج اللغة العربية لم تتضح لنا ، ولم يقل أحد شيئا عن مداها وكيفيتها ، ولم يقل أحد شيئا عن دراستها ، أو عن وسائل تلك الدراسة ، ولعل الدين قالوا بالعناية أو تحدثوا عن الدراسة ارادوا العناية والدراسة غير المباشرين والمتأتيين عن طريق دراسة كتب الصوفية ، والمؤلفات الدينية الأخرى . ومهما يكن من شىء فان « الملك بادى كان حريصا على الصلة العلمية بمصر و كان معززا

١ – تراث الشعر السودانى ع . الأمين ١٢

٢ – تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، عابدين ١٨٩

هذه الصلة بهداياه » . وهو « بادى أبو دقن » من ملوك الفونج الذين طار ذكرهم وعبر حدود السودان إلى المناطق المجاورة و « من مآثره التى رويت عنه ان كان يكرم العلماء فى بلاده ، ويرسل الهدايا لعلماء الازهر ، منهم من مدحه بقصائد (١) فالشيخ عمر المغربي احد علماء الازهر الشريف مدحه بقصيدتين اولاهما من ستة وستين بيتا ومطلعها :

أيا راكبا يسرى على متن ضامر ... إلى الغرب يهدى نحوه طيب الذكر (٢)

وفيها يقول :ـ

إلى حضرة السلطان والملك الذى ... حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
هو الملك المنصور بادى الذى له ... مناقب قد جلت عن العد والحصر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا ... واصبح صدرا للعلا حائز الصدر
وجرد للاسلام والملك صارمـــا ... أباد به جمع الطواغيت والكفر
وجاهدهم فى الله حـــق جهاده ... وفاز بأنواع المثوبة والأجـــر
وهدم اركان المظـــالم عـــدله ... فما كان زيد النحو يسطو على عمرو

ثم يقول :

بدولته « سنار » قد زاد أنســـها ... وتاهت وباهت بالمسرات والبشر
وأصبح أهلوها بخـــير ونعمـــة ... يقابل كل نعمـــة الله بالشـــكر
واضحت به «سنار» فى الانس والصفا ... وتاهت على البلدان حتى على مصر
صفا وقتها واخضـــر عيش لأهلها ... وقد لبست تاجا بأيامه الخضـــر

هذه القصيدة ـ صحت نسبتها للشيخ عمر المغربي أو لم تصح ـ تكشف عن رأى الشيخ وهو عالم تخرج فى أكبر جامعة اسلامية فى الملك بادى الجالس على عرش ملوك الفونج ، فان كان قائلها فالرأى رأيه ، وان لم يكن هو القائل فلعله اختار من كلام غيره وغيّر وبدل منه لأنه وجد فيه ما يناسب المقام ـ مقام حاكم لغته

---

١ ـ السودان فى قرن ٣٠

٢ ـ مخطوطة كاتب الشونة ١١ ، ويقول المحقق : « أنها منقولة من كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام مباشرة أو بطريق غير مباشر مع كثير من التحريف اللفظى والحذف لتصبح مناسبة للملك بادى » .

العربية ودينه الاسلام وهذان رباطان يربطان الحاكم وقومه بالشاعر وقومه أوثق الربط وأبقاه على مر الزمن ، ولعل الشاعر وجد فى كلام غيره ما يقوم بواجب الشكر لملك سبق بالفضل واهدى اليه هدية . ولنتأمل بعد هذا الابيات التى أخذناها من القصيدة الاولى – ففى المجموعة الأولى يقرر الشاعر ان الملك حمى الاسلام ودافع عنه بالسلاح ، وجاهد فى سبيل الله الجهاد الحق فقيض الله له النصر وزاد اجره وحفل سجل اعماله بالمآثر الحميدة حتى صار « صدرا للعلا » ويقرر فى نفس المجموعة انه نشر عدله بين الناس فقضى على المظالم ، وعاش الناس كلهم متحابين متآخين ولم يكن لاحد ان يعتدى على آخر .

أما المجموعة الثانية فتحدثنا عما أصاب البلاد فى عهد الملك بادى الممدوح اذ يقرر الشاعر ان الاهلين عمهم الخير والأمن ، وأن حياتهم حفلت بالمسرات حتى صار فى مكنتهم ان يتيهوا على جميع البلدان وعلى مصر ايضا . هذه هى حال الملك وعمله لدينه ودنياه – يحمل السلاح فى سبيل الله مجاهدا مدافعا ويبسط العدل وينشر الرخاء بين رعاياه ، بل هذه هى أيضا حال بلاد مسلمة أو مجموعة من المسلمين تعلو فيها كلمة الحق وينصر فيها الدين ويسعد الاهلون . فكيف ينظر اليها عالم « شاعر » مثل الشيخ عمر المغربي ، الا يجد فيها حصنا للاسلام وسندا للبلدان الاسلامية الأخرى ، ألا يرى فيها على الأقل مثلا تحتذيه البلدان أو المجموعات الاسلامية .

القصيدة الثانية من سبعة وخمسين بيتا ومطلعها :

أيا راكبا قد جد فى السير قاصداً   مواطن أحباب هناك أعزة (١)

وهى تشبه الاولى شبها يكاد يكون تاما ولا تخرج عنها فى مبناها ومعناها بصفة عامة. ومن أبياتها :

ويطوى اليها شقة البعد قاصداً	ديارا بها أحباب قلبى وبغيتى
لك الخير ان وافيت سنار قف بها	وقوف محب ذى وفاء وذمة
والق عصا التسيار فى سوح ارضها	تجد راحة فيها واوفر حرمة

١ – وهذه القصيدة « فيما يبدو منقولة من مرجع لا علاقة له بتاريخ سنار ولكنها استعيرت للاشادة بمملكة سنار وملكها السلطان بادى » مخطوطة كاتب الشونة

ويأوى اليها الآن كل مسافـــر	يجيء اليها من بلاد بعيـــدة
يلقى بها أمنا ويمنا وراحـــة	وحظا عظيما دافعـــا للمشقة

ومنها أيضا :ـ

وعرج عـلى قصر العزيز مليكها	جميل المحيا زين كل قبيلـــة
وعول عليه فى أمـــورك كلها	بود واخلاص وصـــدق طوية
تجد عزة عظمى وتظفر بالمـــنى	وتصبح فى عز منيع ورفعـــة
اذا ما دهاك الخطب يوما فلذ به	وعرج عليه فهو حامى الحقيقة

ولنقف قليلا الآن عند هاتين المجموعتين اللتين اخترناهما من القصيدة . فى المجموعة الاولى وصف لسنار فى عهد الملك بادى ابو دقن ، وليس هو بالوصف السطحى الذى يبين المواضع والمنازه وغير ذلك ، انما هو وصف عميق ينم عن عاطفة قوية ويكشف عن حب ـ فهى ديار الاحبة ، وهى ايضا البغية ، لعله كان يبتغى ان يعيش فيها لينعم بما كان ينعم به أهلوها ـ ففيها الراحة والامن واليمن ، ويكفيها انها اصبحت فى نظره مأوى كل مسافر آت من بلاد بعيدة . لقد كشفت هذه الابيات عن حب يكنه الشاعر لتلك البقاع . ألا ترى انه يطلب للراكب القاصد اليها ان يقف بها « وقوف محب ذى وفاء وذمة » وانه ليس حبا عاديا وانما هو حب يمازجه وفاء ويشوبه احترام .

أما المجموعة الثانية ففيها تمجيد للملك ، يصفه ويكاد يبلغ به درجة الكمال عن طريق المبالغة التى يميل اليها الشعراء عادة فى التعبير عن آرائهم ومشاعرهم اذا ما خاطبوا الملوك أو مدحوهم ـ فالملك ههنا حامى الحقيقة ، وهو أيضا من يعول عليه ، وفى كنفه العزة والمنعة ، وقد آتاه الله وجها جميلا ، وآتاه صفات أخرى كثيرة حميدة غدت زينا لاهله وعشيرته .

ان ما نجده فى هاتين المجموعتين من وصف لسنار وما بلغته فى عهد الملك الممدوح ، ومن تمجيد ومدح للملك لا يمثل فى نظرنا ذكرا للحقائق أو ردا للجميل فحسب انما هو ايضا اعجاب بذلك الملك وهو حاكم مسلم هيأ لرعيته حياة طيبة ، وهو أيضا ايمان بمقدرته وشخصه وهو مجاهد متفان فى سبيل الله ، وهو اغتباط

بما صار اليه حال بلد مسلم ابان حكم ذاك الحاكم العادل المجاهد ، ان ه
القصيدتين ان نظمهما الشيخ عمر المغربي أو اختارهما وعدل فيهما وبدل أو
عليه دسا تثبتان فيما نرى تعلق بعض الشعراء فى ذلك الزمن بهذه البقاع لأنه
مأوى مجموعات من الناس يربطهم بهم رباط لا ينفصم هو الدين ، ولذلك يمكننا
القول بأنهم اعتبروا هذه البقاع جزءا من عالمهم الكبير وهو العالم الاسلامى .

وثمت شاعر آخر هو الشيخ يحيى السلاوى[١] – لم يكد هذا الشيخ يسمع
بقيام الثورة العرابية حتى هاجر إلى مصر وهناك « اندمج فى الثورة اندماج مناصرة
واخلاص وعمل »[٢] ونظم قصيدة بائية حث بها مواطنى مصر على مساندة الثورة
ودعا لها بالتوفيق ، يقول فى قصيدته تلك :

شغل العدا بتشتت الاحـــزاب ... والله ناصرنا بسيف عرابي
والقطر فيه من الرجـــال كفاءة ... للحـــادثات فهم أولو ألبـــاب
وحمية الاســلام تقضى بالوفا ... حتما عـلى كل امـرىء أواب
ومحبة الوطن العزيز تحثـــهم ... والفتح اذن باتبـــاع صـــواب
والمشركـــون خواسر فى سعيهم ... هزموا وقد نكصوا على الأعقاب

بعد هذه الابيات أخذ الشاعر يذكرهم بالماضى المجيد ، ويشيد بهم ليحرك فيهم
الغيرة الدينية والحمية الاسلامية . فلم يقول الشاعر الشيخ يحيى السلاوى ذلك –
هاجر إلى مصر ثم اتصل بزعيم الثورة ونظم هذه القصيدة ؟ لا شك أن الشاعر كان
يرى ان ما حدث فى مصر يمسه ويمثل رأيه وهو الذى ولد فى السودان وتربي
فيه ، ومعنى هذا أنه يمس المجموعة التى ولد فيها وتربي و كذلك يمثل رأيها . وعليه
يكون سفر الشاعر إلى القاهرة واتصاله بقائد الثورة ثم نظمه هذه القصيدة « التى
طبعت بماء الذهب ، وبيعت فى شوارع القاهرة كل نسخة منها بجنيه ذهبا»[٣]
صدى للثورة العرابية فى السودان أو مشاركة السودان فى تلك الحركة ، وهذه
القصيدة « تمثل الاتجاه العام للشعب السوداني ذلك الاتجاه الذى كان يفتقد من

---

١ – هو ابن الشيخ عبد الغنى السلاوى العالم الفاضل الذى تولى القضاء أيام الحكم التركى فى السودان
ولد يحيى فى الخرطوم ١٨٤٦ م . نفثات اليراع ٨٣

٢ – المصدر السابق

٣ – المصدر السابق

يا آل عثمان ابناء العمومة هل — تشكون جرحا ولا نشكو له ألما[1]
اذا حزنتم حزنا فى القلوب لكم — كالأم تحمل من هم ابنها سقما
وكم نظرنا بكم نعمى فجسمها — بنا السرور فكانت عندنا نعما

كان لهذا الاستقبال صدى فى السودان فقد أعلنت احدى الصحف عن جائزة تمنحها لمن يشطر بيتى احد الشعراء فى استقبال الطائرة وملاحيها وهما :

يا ادرميد ألا طيرى مبلغة — رسائل الشوق من عمرو الى عمر
إلى الذى خفقت فى الارض رايته — فاليوم تخفق فوق الشمس والقمر[2]

واستجاب لاعلان الصحيفة عدد من الشعراء ، وجاء شعر محمد عمر البنا فى المرتبة الاولى وفيه يقول :

(يا أدرميد ألا طيرى مبلغة) — خليفة الله عنا أصدق الخبر
وبلغيه عن الاسلام قاطبة — (رسائل الشوق من عمرو إلى عمر)
(إلى الذى خفقت فى الأرض رايته) — وعززتها سيوف الله بالظفر
مدت على الارض ظلا لانفاد له — (واليوم تخفق فوق الشمس والقمر)

عم تكشف هذه العناية التى يظهرها شعراء فى مصر وزملاء لهم فى السودان باقلاع طائرة ونزولها، وهذه الصحيفة علام تحتفل بالحادث إلى هذه الدرجة؟ لو تأملنا الأبيات بيتا بيتا وانعمنا النظر فى معانيها لعرفنا السبب ، ففيها تقدير عميق للخليفة — سلطان تركيا — يكاد يبلغ درجة التقديس ، وهذا قليل من كثير ، وهو على قلته يصور لنا مدى تعلق المسلمين بالخليفة والخلافة ، وان « هذا الشعر يكشف عن تعلق رجال ذلك العهد بخلافة (الآستانة) ، وان قلوب المسلمين كانو تهفو إلى المجالس على عرش الخلافة فى تركيا ، وقد كانوا إلى ما قبل سنة ١٩٢٤ يدعون له فى المساجد عقب كل صلاة » .

لم يكن امر هذا التعلق مجهولا أو خافيا على أفراد أو جماعات أو هيئات ، انما كان معلوما وظاهرا لكل المتصلين بالمسلمين افرادا أو جماعات أو هيئات لاسيما

---

١ الشوقيات — أول ، ٢١٦

٢ ملامح من المجتمع السودانى ١٦

يعبر عنه »(١) .

لما فشلت الثورة العرابية ، حز فشلها فى نفس الشاعر وظهر ذلك فى احدى قصائده حيث أخذ يشكو ويأسى لاحداث الزمان ويبكى على بعض ما مضى ومن مضى وخلص من كل ذلك إلى الافتخار بخلقه ، فكأنه يعزى ويتأسى عما كان يشكو منه — يقول :

بليت وطرفى للمحاسن يقظان	وطرف الليالى عن ذوى المجد وسنان
عفا الدهر بعد الاكرمين وما عفا	كما لى ولكن للسعادة ابان
رعى الله دهرا كان بالحظ مسعدا	وسامر ليلى العامرية عمران
وللنفس مرعى فى التصابي ومرتع	بربع مريع للصبا فيه افنان
ليال تقضت بالاماني وانني	على العهد باق بالصبابة نشوان
صبرت على خطب سبرت به الورى	فلم يخف عن علمى من الناس انسان
وهبت له نفسا غدت مطمئنة	بحزم عظيم عنه يضعف ثهلان

هذا هو شعر الشيخ يحيى السلاوى بل هذا هو شعوره ، وهو بلا شك قد « وضع اللبنة الاولى للكفاح المشترك » ودلل على وحدة المشاعر واتفاق الآمال والآلام ، ونظر إلى السودان ومصر نظرته إلى بلد واحد ومجموعة كبيرة فى الأمة الاسلامية الكبرى .

وشاعر ثالث هو الشيخ الامين محمد الضرير العالم السوداني . نظم هذا العالم قصيدة فى مدح الخديوى توفيق والحاكم المصرى جعفر مظهر ، عدد فيها مآثر الخديوى واسلافه وأشاد بالحاكم ، اتجه بعد ذلك إلى العلماء مذكرا وداعيا — قال :

فيا أولى الفضل اهل العلم انكم	فى نشر ما يرتضيه الله اخوان (٢)
فاخلصوا حبكم فى الله وازدرعوا	بذر الخيور فهذا الوقت ابان
اما حويتم بتوفيق العزيز حمى	أبعد توفيق رب العز خذلان
أليس عارفكم يبدى معارفكم	كما يرى وله للنصح ديوان
ألم توزع عليكم كلكم كتب	فى العلم نافعة بالطبع :.

١ — تراث الشعر السوداني ٥٨

٢ — نفثات اليراع ٧٩



ألم يكن جمعكم ادعى لصحتها ... ألم تيسر على التدريج أثمـــان
ألم يبح لكـــم فيها تناوبكـــم ... اذ ليس يمنع مما رام انســـان
فحاصل القول أن العلم قد سهلت ... اسبابه اذ بدت للخير أعــوان

أعلن لزملائه العلماء رضاه عن الحكومة القائمة ودعاهم إلى التحابب وبذر بذور الخير لان ذاك الوقت أو ذاك العهد هو وقت بذرها فالقائمون بالامر سهلوا لهم سبل العلم فهم أعوان للخير .

وقال ايضا :

ومصر كم مصر والتوفيق حافظكم ... والمعتنى عارف والوقت ابان

وهنا صرح برأيه ـ كان يعتقد ان مصر بلدهم ، بلد أولئك العلماء المتآخين فى نشر ما يرتضيه الله ـ انهم مسلمون ومصر بلد مسلم رعاهم حكامها وبذلوا لهم الكثير مما عدده هذا الشاعر وغيره كالشيخ محمد أحمد هاشم(١) فى قصيدته التى نظمها مهنئا الخديوى محمد توفيق بعيد جلوسه قال فيها :

اليمن اقبل بالاحسان طائره ... والكون نار وقد زادت بشائره
والبشر أبدى سرورا من عجائبه ... لما بدا طالع الاسعاد نائره
والكون قد رقصت فيه محاسنه ... والغصن اعلن بالتغريد طائره

إلى أن قال :

قد ضـــاء سوداننا من حسن رأفته ... وصـــب فى بربر منها جواهـره
والسعد خادمه فى كل آونـــة ... لم لا وذا منبع الاحســـان ماطره
ذاك المليك الذى انوار طلعـــته ... عمت جميع الورى منه ســـتائره

واستمر هكذا يعدد المآثر ويشيد ويدعو ـ لم كان يفعل ذلك ؟ ولم يفعل الشيخ الضرير ذلك ويزيد « ان مصر كم مصر » ؟ لم كانا يفعلان ذلك ؟ ألأنهما موظفان فى الدولة ، يشغل كل منهما منصبا مرموقا ويتقاضى جعلا من خزينة الدولة ؟ أم لانهما كانا يريان رأيا معينا فى صلة بلدهما بمصر وبالعالم الاسلامى .

انا نرى أن هؤلاء الشعراء الذين تحدثنا عنهم واوردنا قدرا من أشعارهم ...هم « السودان » ، مكانا خاصا من مصر ومن العالم الاسلامى

... بالتاريخ كان ناظرا لمدرسة بربر فى العهد التركى المصدر السابق .

وان اختلفوا فى التعبير عن ذاك الاعتقاد ، وان تفاوت تعبيرهم قوة وضعفا . ولم يكن ليغيب عن أى منهم ما يجب عليهم للخليفة الذى تحكم مصر باسمه .

المستوى الأدبي للشعر فى هذه الفترة من ناحيتي الشكل والمضمون :

ان الفترة التى نتناول شعرها ههنا - فترة ما قبل المهدية - تشمل عهدين مختلفين تمام الاختلاف من حيث النظام السياسى والادارى فى كل منهما ومن حيث ما يترتب على ذلك من نتائج اجتماعية واقتصادية ، والعهدان هما - حكم الفونج والحكم المصرى التركى . لقد قلنا فى ما تقدم ان الفونج « ظلوا ثلاثة قرون ينشرون الثقافة العربية فى أنحاء السودان[1] » ولما جاء الحكم المصرى التركى أخذ بيد ذلك المجهود وزاد عليه ، وبذلك يمكننا القول بأن نشأة الشعر العربي الفصيح فى السودان اعتمدت إلى حد كبير على ما بذله ذانكم العهدان ، ويمكننا أن نقول أيضا ان اختلاف الدولتين أو العهدين سياسيا واداريا لم يعق نشأة الشعر العربي الفصيح ولم يعطل نموه .

لقد كان فى دولة الفونج شعراء . وها نحن اولاء نعرض نماذج من شعرهم ثم نتناوله بالنقد بعد ذلك. وصل الشعر أيام الفونج درجة مكنت أحد اولئك الشعراء من رثاء تلك الدولة لما شاء الله أن تنقضى أيامها ، ونظم ذلك الشاعر الذى لم تذكر الكتب اسمه، مرثية من ثلاثين بيتا بكاهم فيها فى شىء من الحرقة والاسى اذ قال :

أرى لدهرىَ اقبالا وادبـارا ... فكل حـين يرى للمرء اخبارا
يوما يريه من الافراح اكملها ... يوما يريه من الاحزان اكدارا
وكل شىء اذا ما تم غايتـه ... ابصرت نقصا به فى الحال اجهارا

. . . .

آه على زمن قد كان فى طرب ... كنا بجمع مع الاحباب سمارا
آه على بلدة الخيرات منشـئنا ... اعنى بذلك دار الفنج سنارا
آه عليها وآه من مصـيبتها ... لم نسلها اينما حللنا أقطـارا

. . . .

تبكى محاكمهم تبكى مدارسهم ... تبكى مفاخرهم تنبيك أخبارا

---

١ - تاريخ الثقافة العربية فى السودان ٢٤

تبكى مدائنهم تبكى مواطنهم   تبكى القبائل بدوانا وحضارا
على كرام يزين الدهر مجدهم   على ديار عليها الدهر قد جارا

عرفت دولة الفونج شعراء آخرين أوردت بعض الكتب اسماءهم واشعارهم، الا أن الشعر الوارد فى تلك الكتب قليل، ولم يتضح فى تلك الكتب ان كانوا قد نظموا غير الذى روته عنهم أو لم ينظموا. وقد ورد فى أحد تلك الكتب أن «حجازى بن أبي زيد بن الشيخ عبدالقادر (وقد عاش أيام الفونج) كان شاعرا حاذقا كأنه كعب بن زهير» ولم يأت الكتاب بشيء من شعره، كما جاء فى نفس الكتاب عن الشيخ مضوى بن مدني بن عبد الدائم (من علماء الفونج وفقهائهم) أنه «كان شاعرا وله فى النبى صلى الله عليه وسلم قصائد واشعار مطربة للنفوس» ولم يتحفنا المؤلف بقصيدة من تلك القصائد أو ابيات من تلك الاشعار.

من اولئك الشعراء الذين عرفوا فى عهد الفونج ووصلنا شعرهم :

١ ـ مكى الدقلاشى (١)، يروى انه قال حين أراد الخروج إلى البادية :

اعلمى يانفس ان الموت يفجعك   تموتي بغتة والقبر مسكنك
وتنزلين بديار لا بقاع لها   الا التراب والدود ينهشك
محاسنك تبلى ويذهب جمالك   تتمزق الاعضاء وتدرس عظامك
ورغبتك فى الفاني نقص وحسرة   وعمرك محسوب ولم تدر أجلك

كما يروى انه قال فى الحكمة :

الله لى عدة فى كل نائبة   أقول فى كل حال حسبى الله
يا فارحا بالمعاصى عند خلوته   أما علمت بأن الشاهد الله
ان الذنوب التى قدمتها كتبت   ان كنت ناسيها لم ينسها الله
إلى متى انت فى لهو وفى لعب   فما مقالك فى ما يعلم الله
فما مقالك والاسرار ظاهرة   والنار بارزة والحاكم الله
تب يابنى آدم فانت اليوم فى مهل   واستغفر الله ان الغافر الله

---

١ ـ تتلمذ على الشيخ دفع الله العركى فى أبي حراز، وبعد ان تصوف وتفقه عاد إلى بلده حيث أخذ يدرس ويدخل الناس فى الطريق. الطبقات ـ صديق ١٥٧

ولم نحصل من شعره على غير هاتين المقطوعتين - الاولى من عشرة أبيات اخترنا منها اربعة ، والثانية ستة أبيات ، وقد أوردناها كلها .

٢ - على ولد الشافعى(١) ، قال فى مدح شيخه عمار بن عبد الحفيظ وهى عشرة أبيات ، ولم يذكر له غيرها :

يا طالبين لكل فن تبتغوا   شدوا الرحال ونوخوا سنارا(٢)
قد حل بها امام فاضل   زين النوافل عالى المقدار
ورع تقى صابر متواضع   وجل عليه سكينة ووقار
وله العلوم تأهلت طوع المنى   من غير اشكال ولا اعسار
فى كل فن تطلبوه ترونه   يبدى المزيد كزاخر الابحار
فقه وتفسير الحديث ومنطق   وبديع علم والمعاني لدار
لغة ونحو والبيان وصرفه   علم الكلام به جلا لغبار
علم التصوف طال فيه يا فتى   وقتا به للسادة الابرار
تلك المناقب حازها وحوى لها   سمح الخصايل شيخنا عمار
وكأن مجلسه المسمى أزهر   عالى المدارس فى كلا الامصار

٣ - ابراهيم بن بقادى على بن حمودة الكاهلى(٣) . قال فى رثاء والده الفقيه بقادى على حمودة ، وهى مرثية من خمسة وثلاثين بيتا ، اخترنا منها :

الحكم لله كل غيره فانى   وفى المنايا عظات كل ولهان
يا تائها غافلا والموت يطلبه   أقصر عناك فللمنون عينان
وهذه الدار لا شبه يقاربها الا   سراب بدا فى ظهر قيعان
سحارة الطرف ترمى فى لواحظها   سمية الصل لا راق ولا دان
كم اظهرت فرحا فى طيه حزن   وماالستحت واحدا فى العصر رباني

---

١ - قرا كتب العربية على عمار بن عبد الحفيظ وسلك الطريق على الشيخ دفع الله العركى . كان شاعرا ماهرا وله قصائد فى مدح النبى ، وكان ممن جمع بين العلم والعمل . الطبقات - ص ١٣٦ .

٢ - المصدر نفسه ١١٨ - ١١٩ .

٣ - ابن الفقيه العالم بقادى على بن حمودة ، صالح فاضل ، ب
صديق ٤٣ . مخطوطة كاتب الشونة ٥٣ - ٥٥ .

في تاسع العشر من ذى حجة وسط　　فاز على بوعد خير ايمـــان
وضجت الناس عند موته فزعا　　لما بدت ثلمة الاسلام فى الآن
لاحبذا فقد أحباب فجعت بهم　　شم الانوف طوال الباع غران
فكم أحـــن لاصوات مرنمة　　حنين ثكلى شجاها فقد فردان

٤ ــ موسى بن يعقوب(١). قال يذكر « نعمة ربه عليه مع أبيات اطال فيها » :

سلام على قوم اذا ذكر اسمهم　　تهتك استارى اليهم برجفـــة
تلالأت الانوار من نحو خالـــقى　　بوقت قيامى أو جلوسى بخلوة
نظرت إلى المحفوظ فى كل ساعة　　تناهيت عن اظهار حكم الدهية
أمر على الآفــاق انظـــر ما بدا　　فاخبر عن ذكر النواحى الغربية
وارجلنا تسعى فى الارض جملة　　وفى مرة طيرا نطير بسرعـــة
مقال عبـــاد الله شرقا ومغـــربا　　بأذني اسمع سمعا بشهـــرة
وعينى حقا قد ترى كل ما يرى　　وادعى فى النواحى لفتيـــة
نظرت إلى الجبل الذى كان نوره　　يلوح على الاكوان كحلا لمقلتى
فناجيت حقا فوقه متضـــرعا　　فعاضت له منى اليه اشـــارتي
انا ابن يعقوب الذى شاع ذكره　　ولكنى اكنى فى الانام بقصـــة
فاسمى موسى بالكليم مســـميا　　ونور جلال الحق فوقى بمنـــة

٥ ــ أحمد ابن الحاج الطيب(٢) ــ نظم قصيدة من واحد وعشرين بيتا يرثي بها الشيخ يوسف بن الطريفى(٣) :

بدأت بحمـــد الله ثم صـــلاته　　على خير مبعوث واكرم من هدى
وبعـــد فقصدى ذكر مثقال ذرة　　من اوصاف من نالت به الأرض سؤددا
أيا رمس قد نلت المكارم والعلا　　لكونك باشرت الامام الممجـــدا
وحزت به فضلا وفخرا ومنزلا　　وصرت به بين المقابر اوحـــدا

---

(١) تتلمذ وتصوف على أبيه الشيخ يعقوب واشتهر بالصلاح ، الطبقات صديق ١٥٢ – ١٥٤
(٢) ... الحاج الطيب – قتل مع محمد ولد عدلان سنة ١٢٣٥ ﻫ وهو صاحب علم وبلاغة
مخطوطة كاتب الشونة ٧٦

هو الحبر عند المعضلات اذا أتت   يحل ويكشف كل ما كان معقدا
فان نظر الانسان نظرة رحمـــة   بها ينجلي ما كان فى القلب من صدا
اذا ما رأته العين فى غابة الدجى   تراه مضيئا مشرقا متوقـــــدا
هو الكهف للآوى اليه جميعـــه   هو الباذل الفياض ان تمدد اليدا
وكم من عراة عالة يقصـــدونه   فتغشاهمو أمواج آلاه سرمـــدا

٦ – الفقيه الصديق(١)، قال يرثي شيخه العالم الفقيه أحمد بن عيسى من قصيدة طويلة :

أهالنا حـــدث أهمى به البصـــر   وعمنا وجل يهمى به المطر(٢)
لنا مصاب عظيم كان يعظمـــه   اجـــلة ما لقلب منه مصطـــبر
فشيخنا احمد قد ضاء جوهـــره   اذ أمـــه ملأ الافـــلاك والقـــدر
تنعيه كل علوم الدين ناشــــدة   نداؤهم هكذا يا أيها القمـــر
من قام بالشرع والتدريس مجتهدا   وقـــام بالعلم فردا كان لا وزر
له أياد بتصريف العلـــوم اذا   ضاقت مذاهبنا أو حـــارت الفكر
ابان فى محـــكم التنزيل مشتبها   وقد نحا لأصول الدين يأتمـــر
محقق كامـــل التحقيق ذو أدب   وفى الحديث له التقديم والنظـــر
طويـــل باع لفقـــه لامراء لـــه   سليم قلـــب له العلياء والظفر
وآلة العلـــم يبديهـــا محققـــة   صرفا ونحوا بيانا زانه نظـــر

٧ – فرح ولد تكتوك(٣)، قال فى الحكمة من قصيدة فيها ثلاثة وعشرون بيتا :

يا واقفا عنـــد ابواب السلاطين   ارفق بنفسك من هم وتحزين(٤)
تأتي بنفسك فى ذل ومســـكنة   وكسر نفس وتخفيض وتهوين
من يطلب الخلق فى جلب لمصلحة   أو دفع ضر فهذا فى المجانـــين
وكم يحاكى لمسجون يـــدوم له   وكم من السجن فى ايدى المساجين

---

١ – كان امام مسجد سنار . تراث الشعر السوداني ، ١٤
٢ – مخطوطة كاتب الشونة ١٠٤ – ١٠٥
٣ – كان شاعرا ماهرا وكلامه مطرب جاذب للقلوب، وعنده كلام فى الزهد والتوحيد والأدب وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة – الطبقات صديق ١٤٦
٤ – شعراء السودان ٢٦٠

ان كنت تطلب عزا لافناء لــه	فلا تقف عند ابواب السلاطــين
ولا تصاحــب غنيا تستعز بـه	وكن عفيفا وراع حرمــة الدين
فالطمع يرميك فى ذل ومهلكة	وما يفيدك الا كل تهــوين
والقنع نام قريرا لا كصاحبه كما	تنام غصـــون فى البساتـين
فثق بربك لا تبغى سواه لجــا	والرزق منزله فى ختم ياســين
وكم جرى طامع فى البيد مغتربا	ولم يجد قصده فى الشام والصين

عرضنا فى ما تقدم نماذج من شعر شعراء العهد الفونجى، ولم نغفل الا واحدا هو ابراهيم عبد الدافع، وقد اغفلناه لانه من مخضرمى العهدين — التركى والفونجى ولأن أكثر شعره المروى عنه نظم فى العهد التركى وهو عبارة عن اربع قصائد. واحــدة نظمت أيام الفونج وفيها احد عشــر بيتا فقط، والثلاث الباقيات نظمت ابان الحكم التركى المصرى، ويتراوح طول الثلاث بين ثلاثة وعشرين وتسعة وثلاثين بيتا. واننا نرى فى كل ذلك مسوغا لاعتباره شاعرا فى مجموعة شعراء العهد التركى المصرى، وسننظر فى شعره مع شعر تلك المجموعة.

بتأمل تلك النماذج التى اوردناها نرى انها لا تكاد تسلم من الاخطاء نحوية كانت أو عروضية أو صرفية، فمن الخطأ النحوى قول احدهم (واسمه لم يذكر فى الكتب) فى رثائه دولة الفونج:

أرى لدهرى اقبالا وادبارا فكل حين يرى للمرء اخبارا

فالفعل «يرى» تعدى فى هذا البيت لمفعوله الاول بحرف الجر اللام، ولا نعرف مبررا لهذا الا اقامة الوزن، اذ يمكن ان يقال فى سهولة ويسر تامين «يرى المرء اخبارا» على ما فى المعنى من ضعف وعامية لان الخبر لا يرى. قد لا يكون هذا خطأ بالمعنى المفهوم اذ ليس هو مثل اللحن، لكنه على أية حال استعمال مخالف للعرف النحوى[1]. اما اذا قرىء الفعل «يرى» بصيغة البناء للمجهول فلا بد من نائب فاعل، ولا يوجد اولى من «اخبارا» وهى كما نرى منصوبة. هنالك فعل لازم آخر عداه الشاعر فنصب المفعول، وهم «تم» فى البيت:

وكل شىء اذا ما تم غايته أبصرت نقصا به فى الحال اجهارا

---

[1] ف قول ابن مالك — وعد لازما بحرف جر

ولعله يريد « أتم » .

من الاخطاء النحويةقول « على ولد الشافعى » :

يا طالبين لكل فن تبتغوا   شدو الرحال ونوخوا ســنارا

حيث حذف نون الفعل المضارع ولم يسبقه ناصب أو جازم ، وقد تكرر هذا فى قوله فى نفس القصيدة :

فى كل فن تطلبوه ترونه   يبدى المزيد كزاخر الابحار

كما جاء فيها خطاء اخر فى البيت :

علم التصوف طال فيه يا فتى   وقتا به للسادة الابرار

حيث نصب « وقتا » وحقها ان تكون مرفوعة على الفاعلية . كذلك حذف مكى الدقلاشى النون من الفعل المضارع دون أن يسبقه ناصب أو جازم فى قوله :

اعلمى يا نفس ان الموت يفجعك   تموتي بغتة والقبر مسكنك

أما الاخطاء الصرفية فمنها هذه المجموعة :

تبكى مدائنهم تبكى مواطنهم   تبكى القبائل بدوانا وحضارا

ف « بدوان » و « حضار » ليست قياسية ولا سماعية فى ما نعلم . كذلك « الابحار » **فى قول على ولد الشافعى :**

.. ..   يبدى المزيد كزاخر الابحــار

ومنها ايضا بقاء ياء فعيله فى الجمع « الخصايل » من قول الشاعر نفسه :

.. ..   سمح الخصايل شيخنا عمــار

ثم ان مكى الدقلاشى جاء بزنة « فاعل » من « فعل » الثلاثي اللازم فقال :

يا فارحا بالمعاصى عند خلوته   .. ..

وهذا يخالف القاعدة الصرفية . ومنها قلب الالف ياءفى قول موسى بن يعقوب واسمى موسى بالكليم مسميا ــ فقلب الف « مسمى » ياء دون مبرر . فى بعض الاحيان يلجأ الشاعر إلى اللغة العامية فيأخذ منها بعض العبارات كقول الفقيه ال

« طويل باع لفقه لامراء له » وكقوال ابراهيم بقادى على بن حموده الكاهلى — « شم الانوف طوال الباع غران » و« طويل باع » تعبير شائع فى العامية . كذلك كلمة « تهوين » بمعنى اهانه أو تحقير التى جاءت فى قصيدة الشيخ فرح ولد تكتوك :

تأتي بنفسك فى ذل ومسكنة   وكسر نفس وتخفيض وتهوين

لا تحمل هذا المعنى فى اللغة الفصحى ولا فى عامية عصرنا هذا ، ومن الكلمات العامية « ضو » بمعنى اضاء ، و « غنى » بمعنى أغنى وقد جاءتا فى قول احدهم وهو :

.. ..   فكم غنى سائلا كم ضو بلدان

ومنها أيضا الكلمة « فردان أو فرداني » بمعنى أوحد ، وهى فى احد أبيات ابراهيم بن بقادى الذى يقول فيه :

فكم أحن لاصوات مرنمة   حنين ثكلى شجاها فقد فردان

لقد كثر اختلال الوزن والقافية فى أكثر شعر الفونج ، فلم تخل قصيدة من القصائد التى أوردنا من وزن مختل أو اقواء ، ففى المرثية التى ذكرت من قبل ولم تنسب إلى شاعر معروف تجد هذا البيت :

آه عليها وآه من مصيبتها   لم نسلها اينما حللنا اقطارا

وهو غير موزون .

أما أبيات مكـــى الدقلاشى التى يبدأها بقوله :

أعلمى يا نفس ان الموت يفجعك   تموتي بغتة والقبر مسكنك

فتكاد تكون سجعا . ومن خلل الوزن قوله فى قصيدة أخرى :

تب يا بنى آدم فانت اليوم فى مهل
واستغفر الله ان الغافر الله

وقول على ولد الشافعى :

قد حل بها امام فاضـــل   زين النوافل على المقــدار

الابيات وهى من نظم موسى بن يعقوب :

مقال عباد الله شرقا ومغـــربا بأذني اســمع سمعـا بشهــرة
وعيني حقا قد ترى كل ما يرى وادعى في النواحــى لفتيـــة
انا ابن يعقوب الذى شــاع ذكره ولكنى اكنى في الانام بقصـة

غير سليمة الوزن ، وفي قول احمد ابن الحاج الطيب :

وبعد فقصدى ذكر مثقال ذرة من اوصاف من نالت به الأرض سؤددا

لابد من قطع همزة « اوصاف » ليستقيم الوزن . وفي قوله من نفس القصيدة :

هو الحبر عند المعضلات اذا أتت يحل ويكشف كل ما كان معقدا

يتحتم جزم « يكشف » كما يلزم ان تكون « معقد » بزنة « مُفْعَل » ليسلم الوزن ويبدو اختلال الوزن في بيتى فرح ولد تكتوك وهما :

فالطمع يرميك في ذل ومهلكة وما يفيـــدك الا كل تهـوين
والقنع نام قريرا لا كصاحبـــه كما تنام غصـــون في البساتين

ولنقف قليلا عند هذه الابيات وهى من نظم ابراهيم بن بقادى وقد وردت مع النماذج التى قدمناها :

الحكم لله كل غــيره فانى وفى المنايا عظــات كل ولهـــان
يا تائهـــا غافلا والمــوت يطلبه أقصر عناك فللمنون عينــــــان
. . . .
كم أظهرت فرحا في طيه حزن وما استحت وحدا في العصر رباني

لندرك مدى حيرة القارىء في وزنها ، فلا بد أن يتوقف ويغير حركات بعض الكلمات ليستقيم له الوزن .

بدأ على ولد الشافعى قصيدته بهذا البيت :

يا طالبين لكل فن تبتغوا شدوا الرحال ونوخو[illegible]

بقافية قوية واضحة تأسر الاذن الا أنه لم يستطع الاستمرا[illegible]
هكذا :

قد حل بها امام فاضـــل زين[illegible]

براء مكسورة فى القافية ، ولكنه عجز عن الاستمرار فيها فأقوى وجاء البيت الثالى براء مضمومة اذ قال :

ورع تقى صابر متواضع   وجل عليه سكينه ووقار

وعاد مرة ثانية إلى الكسر فقال :

وله العلوم تأهلت طوع المنى   من غير اشكال ولا اعسار

واتبع هذا البيت أربعة أخرى قافيتها راء مكسورة ثم عاد مرة أخرى إلى الراء المضمومة حيث قال :

تلك المناقب حازها وحوى لها   سمح الخصايل شيخنا عمار

ونجد الاقواء فى ابيات أخرى لشاعر لم نقف على اسمه . وهى :

سلام رب العــلا اهديته الآن   إلى أمير بدار الفنج ســـلطان
هو الرشيد عزيز الاسم نذكــره   محمد الليث نجل الشيخ عـــدلان
له خصــال على الانداد زائــدة   شجاعة القلــب صدق ثم احسان

لم نجد فى مابين ايدينا من شعر الفونج تشبيهات أو استعارات كثيرة ، انما هى كلها قليلة وسبب ذلك بالطبع قلة الشعر نفسه . فمن تشبياتهم :

.. ..   يبدى المزيد كزاخر الابحار
.. ..
وكأن مجلسه المسمى أزهر   .. ..
.. ..
فكم أحن لأصوات مرنمة   حنين ثكلى شجاها فقد فردان
هوالكهف للاَوى اليه جريعه   .. ..
... نام قريرا لا كصاحبه   كما تنام غصون فى البساتين

...احية لاروح فيها . أما الاستعارات وان كانت قليلة فانها أكثر ... اولاء نذكر نماذج منها :

... ادبــارا   فكل حين يرى للمرء اخبــارا
...لها   يوما يريه من الاحزان اكـــدارا

وتتجرد من سمات المجتمع السوداني على غناه بالمعاني السامية والمثل العليا . ان هولاء الشعراء جميعهم من العلماء ، وكل منهم تتلمذ على عالم فقيه متصوف مشهور . وبعضهم كما رأينا قدم لشيخه شيئا من انتاجه أو مدحا وهذا يفسر لنا الظاهرة الواضحة فى شعر الفونج وهى شيوع الروح الدينية الصوفية فى معظم قصائده . فاحمد ابن الحاج الطيب يبدأ قصيدته فى رثاء الشيخ يوسف بن الطريفى « بحمد الله » ويختمها بالدعاء(١) والفقيه الصديق يختم رثاءه الفقيه احمد بن عيسى بالدعاء والصلاة على النبى(٢). كما أننا نجد بعض الالفاظ القرآنية فى بعض القصائد كقول أحمد ابن الحاج الطيب « وبعد فقصدى ذكر مثقال ذرة » فى البيت الثاني من المرثية التى تقدم ذكرها . ومثل هذا ما جاء فى مرثية ابراهيم بن على بقادى لابيه حيث قال :

على المرتضى فى أمه وسط   مخاطبين بكنتم خير ذى شأن(٣)

وقد بدأ مرثيته هذى بقوله « الحكم لله » ثم ختمها بالصلاة على سيدنا محمد .

تظهر الروح الدينية فى قصيدة الشيخ فرح ولد تكتوك :

يا واقفا عند أبواب السلاطين   ارفق بنفسك من هم وتحزين

وهى دعوة للزهد والابتعاد عن الحكام والتعويل على الخالق . انها موعظة أو سلسلة من الحكم منظومة ، وقد نجد فى غير هذه القصيدة من قصائد شعر الفونج حكما ومواعظ تتخلل ابيات الرثاء أو ابيات المدح الا أنها كلها لا تدعو « دعوة ايجابية إلى الاقبال على الحياة والعمل على مجالدة الزمن والاندماج فى الجماعة »(٤) . وأبيات مكى الدقلاشى :

يا فارحا بالمعاصى عند خلوته   أما علمت بأن الشاهد الله
ان الذنوب التى قدمتها كتبت   ان كنت ناسيها لم ينسها الله
إلى متى انت فى لهو وفى لعب   فما مقالك فى ما يعلم الله

١ – مخطوطة كاتب الشونة ٤٦ – ٤٧

٢ – مخطوطة كاتب الشونة ١٠٦

٣ – مخطوط كاتب الشونة ٥٤

٤ – تاريخ الثقافة العربية فى السودان – عابدين – ١٩٧ .

تدعو إلى الكف عن المعاصي وتذكر بالله وبالكرام الكاتبين . وهي – مع غيرها مما قدمنا – يثبت ماقلناه في شيوع الروح الصوفية وورود الحكم والمواعظ في شعر الفونج . ومما يثبت الاثر الصوفي ويبرزه وا ضحا جليا ابيات موسى بن يعقوب التي قال فيها محاكيا الشاعر الصوفي المعروف ابن الفارض :

سلام على قوم اذا ذكر اسمهم ... تهتك استاري اليهم برجفة
تلألأت الانوار من نحو خالقي ... بوقت قيامي أو جلوسي بخلوة
نظرت إلى المحفوظ في كل ساعة ... تناهيت عن اظهار حكم الدهية

انه يتحدث عن « تهتك الاستار » ويسلم على « قوم » وكذلك عن « تلألؤ الانوار من عند الخالق » و « النظر إلى المحفوظ » و « سماع مقال عباد الله شرقا ومغربا» وهكذا حتى يشعر القارىء بانه تائه في عالم آخر ، وبأنه يتيه بمكانته في ذلك العالم الآخر .

يتسم هذا الشعر في جملته بضعف الخيال فلا نكاد نجد شيئا من خطرات الخيال أو سبحاته ، وانه ليخلو تماما من الصور الشعرية الجميلة التي تأسرك فتقف عندها تتأملها وتتملاها مع أن معاني المدح والرثاء التي جاءت في قصائد شعراء الفونج ميدان فسيح للخيال يجوب اطرافه ليخرج منه صورا شعرية أخاذة ، وقد أمكن لبعضهم ان يجيء ببعض الصور لكنها مفردة باهته تفتقر إلى الوضوح ناهيك بالاثارة والاسر ، جاء شعر هذه الفترة هكذا لأن « الحركة الادبية قامت على ايدى هذه الصفوة القليلة من علماء العصر (عصر الفونج) وكانت تسعى إلى النظم بالعربية الفصحى ، ولكنهم لم يتجاوزوا دائرة التصوف الذى سيطر على الحياة في ذلك الزمن »(١). ان لغة شعر العهد الفونجي ركيكة ، وبعض القصائد يكون مزيجا من العامية والفصحى ، والاسلوب بصفة عامة « مضطرب كثيرا ولم تكن الفصحى بمهمة لديهم بقدر اهتمامهم بالانشاد والانحراف في نشوة الترنيم(٢)». ومهما يكن من شيء فان شعر الفونج نشأ ونما في مجتمع بسيط تسيطر عليه الصوفية بل انه ولد وترعرع في احضان الحركةالصوفية ، فجاء معبرا عن ذلك المجتمع

١ تاريخ الثقافة العربية في السودان ، عابدين ، ١٩٠
٢ المصدر نفسه ١٩٨ – ١٩٩

وليس لأحد أن يتوقع غير ذلك . بقى أن نقول ان ما وصلنا من شعر الفونج يبلغ مائة وثمانية وخمسين بيتا فقط .

في العهد التركى اشتهر خمسة شعراء ، وسنعرض نماذج من شعر كل منهم ثم نتناولها بالنقد فيما بعد .

والشعراء هم :

١ – ابراهيم عبد الدافع (١) وقد تعرضنا له فى سياق حديثنا عن شعر عهد الفونج وشعرائه ، وقلنا آنذاك اننا سنتحدث عنه فى معرض حديثنا عن شعر العهد التركى وشعرائه لأن الشعر الذى نظمه فيه هو الكثرة من انتاجه ، اذ نظم فى العهد الفونجى أحد عشر بيتا يرثي بها الفقيه محمد ولد ضيف الله نختار منها الابيات :

أظمآن علم يطلب الرشد والهدى ... لعمرك اضحى شملة متبددا (٢)
دع العين تبكى دهرها يتوجد ... على غيض بحر كان بالعلم مزبدا
هو الحبر نجل الحبر ضيف الهنا ... لقد حاز فخرا فى الانام وسؤددا
هو العالم المشهور والعلم الذى ... به يرشد الهادى إلى سبل الهدى
وانك اذا ما تأته لقضية ... تجده مبينا للثواب ومرشدا

إلى أن يقول فى ختامها :

فحاشا وكلا ان يظن به علا سوى ... الجود والافضال والخير والندى
وصل الهى ثم سلم على الذى ... ختمت به رسلا وآتيته هدى

وفى رثاء الشيخ احمد بن الطيب « شيخ الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة ، مرشد الطالبين ، ذى الكرامات العديدة ، والارشادات المفيدة » (٣) . وفى العهد التركى ، قال :

عرج بركبك حادى الا ظعان ... واحطط رحالك مبتغى العرفان (٤)
عند الفقيه مكمل السر الذى ... قطع الزمان مراقب الديان

---

١ – أديب و شاعر سوداني صار قاضيا فى العهد التركى المصرى – قاموس تراجم
٢ – مخطوطة كاتب الشونة ٦٧

هو بحر علم بالغيوب مكاشف   هو بدر تم ضاء فى البلدان
هو بالتواضع والخضوع مميز   هو لا يرى نفسا على انسان
هو للمريد مهذب اخلاقه   هو مرشد الغاوى الجهول الفاني
هو زاهد الدنيا وحاسم حبها   هو روح جسم عالم السودان

ثم يختتمها بقوله :

وعساه يغفر زلتى وينيلنى   منه الرضا والختم بالايمان
ثم الصلاة على النبى وآله   ما غرد القمرى فوق البان

ولما توفى نفر من « العلماء الابرار العاملين » رثاهم بقصيدة من تسعة وثلاثين بيتا ، قال فيها(١) :

اليوم اصبح ركن الدين منهدما   بموت اخواننا فى الله والعلما
واظلمت ارضنا حقا وقد خمدت   نار الكتاب وضاع العلم وانعدما
والدهر افجعنا فى الشيخ قدوتنا   امام محرابنا الحبر الرضى شيما
والنيران معا غابا وقد أفلت   زهر النجوم وصرنا فى شديد عمى
كانوا على ظهرها فى الصف يقدمهم   أمامهم لينالوا الأجر مغتنما
والآن فى بطنها صاروا كحالتهم   فى مسجد مثل ما الافلاك فوق سما
وزال وقت صلاة الخمس فى ملأ   مد الزمان وصار الوصل منصرما
وانبت ما كان موصلا بمسجدنا   من معهد الخوجلى القطب وانحسما
وانحل ما كان معقودا بقبتنا   من بهجة الدين والدنيا وقد عدما
ديارنا بعد ما كانت معمرة   منهم غدت مسكن الطاغين والظلما
كنا زمانا يجينا الركب من بعد   إلى العلوم وللقرآن والحكما
صرنا طعاما بلا ملح يلذ به   تعافه أعين الرائي ومن طعما

وفى ختامها قال :

ثم الصلاة على المختار سيدنا   نبينا من إلى الارسال قد ختما
والآل والصحب والاتباع ماطلعت   شمس النهار وما برق قد ابتسما

---

١ مخطوطة كاتب الشونة ٩٨

كذلك رثي شيخه الفقيه أحمد بن عيسى بقصيدة من اثنين وثلاثين بيتا نورد منها :

بكى السماء وعم الارض بالمطر ... بعد الكسوف لشمس العلم والقمر(١)
والدمع سال على الخدين منحدرا ... كالسيب فى الديمة الهطلاء والنهر
وحل بالناس خطــب لا نظير له ... بموت شيخ الهدى المحمود فى السير
شيخ السلوك وقطب الوقت مفرده ... امام كل بنى ســنار والقطر
علامة العصر بحد الدين ناصره ... بنشره الفقه طول الدهر والعصر
روح الحياة حياة الروح صحبته ... وراحة النفس فى رؤياه بالبصر
من منه فاضت عيون العلم وانبعثت ... جيوش اسراره فى البدو والحضر
ختام مسلك لمن ارث العلوم حوى ... عن سيد الرسل خير الخلق والبشر
مكمل السر من كان الزمــان به ... مجمــلا ومحــلى الراس بالدرر
والوقت كان ربيعا والبلاد به ... مبيضة الوجه والايام كالغــــرر
ومجلس العلم فى سنار كان به كالرو ... ض حين يرى فى اجمل الصــور
والآن سين سمو البدر قد حذفت ... وعادت النار ترمى الناس بالشرر

ثم ينهى الشاعــر مرثيته بالبيتين :

ثم الصلاة وتسليم الاله عــلى ... خير الورى احمد المختار من مضر
والآل والصحب والاتباع ماذكرت ... بكى السماء وعم الارض بالمطر

(٢) ومن شعراء العهد التركى الشيخ الامين محمد الضرير(٢) قال يمدح الخديوى توفيقا :

الــود مأدبــة والصدق اخــوان ... والصادقون لدى الآداب أخوان(٣)

وقد أوردنا أبياتا فى ماتقدم .

ونظم قصيدة يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وضمنها سور القرآن وفق ترتيب المصحف ــ قال :

---

١ – مخطوطة كاتب الشونة – ١٠٣ .

٢ – العالم السوداني المعروف ، كان سيدا مطاعا فى عشيرته ، مهابا نافذ الكلمة عند الحكام ، شجاعا منتصر للحق توفى ١٣٠٢ هـ – شعراء السودان ١٩ .

٣ – المصدر السابق ٢٠ – ٢١

يارب صـلى على من كان فاتحـة بكر الوجود به عمر اننا اتصلا(١)

واختتمها بقوله :

وبالصلاة صل التسليم ما وصلت لنا الصلات على من نوره اصلا ؟
والآل والصحب والازواج كلهم وكل متبع من قدره كمـلا

ومراد الشاعر من قوله « نوره اصلا » غير واضح .

ونظم قصيدة أخرى فى مدح النبى ، ويمكن أن تقرأ على وجهين ، قال :

جمـدا لمن ابدى لنا سبـحانه من امنا بهداه اذ قد صـانه(٢)
نسـبا صريحا عن خـنى ومكانه فى القرب لم يدرك رسول ذو ثنا

لعله يريد نسبا مبرأ .

اذ خلقه متقـدم قبل الورى فالهنا ابداه نـورا مظهـرا
لسواه فهو اساسنا ولذا جـرى بظهـور من بظهوره حازوا المنى

واختتمها بالبيتين :

صـلى عليك الله يا مخـتار ما ظهرت لنا شمس الهدى ومن انتما
لجـنابكم يا ذخـرنا مترحما ما انشدت حمدا لمـن أبدى لنا

(٣) ومنهم كذلك الشيخ محمد أحمد هاشم(٣) ، وقد قال فى تهنئة الخديوى توفيق بعيد جلوسه قصيدة : اوردنا بعض أبياتها فى ما تقدم .

(٤) والشيخ أحمد الازهرى(٤) كان من شعراء العهد التركى ، ومن شعره قصيدة طويلة (من سبعة وخمسين بيتا) نظمها فى مدح أبيه لما أحرز نصرا على بعض القبا[illegible] أخضعها . قال :

[illegible]كر اسماعيل بين المحافل ولو هازلا واطرب به قلب غافل(٥)

ل[illegible] هـ نفسه ٢٢ — ٢٥
[illegible]ـه السودان — ٢٥
[illegible] حاشية ١ صفحة ٤٣
[illegible] بمدينة الأبيض» ، وحفظ القرآن فيها ، وتلقى علومه على أحد العلماء الازهريين ، ثم هاجر [illegible] الأزهر . عمل بالتدريس ، وعين قاضيا لكردفان ودارفور . قتل ١٨٨٣ هـ — نفثات اليراع ١٠٤
[illegible] المصدر نفسه ١٠٤

ليعلم من ذكراه من نحو قلبه   طلاوة ما يبدو لأهل القوابل

....

ألم تر ان الله ميز خلقه   بتأخير مفضول وتقديم فاضل

فقال « رفعنا بعضكم فوق » فاذكر   ترى رفع بعض فوق بعض المقابل

(٥) ومن شعراء العهد التركى الشيخ يحيى السلاوى(١) صاحب البائية المشهور التى نظمت تأييدا للثورة العرابية ، وقد أوردنا شيئا منها فى ما سبق

وقال فى مدح السيد محمد سر الختم :

بليت وطرفى للمحاسن يقظان   وطرف الليالى عن ذوى المجد وسنان(٢)

....

فسيان عندى أحسن الدهر أم أسا   متى صح لى بالله عقل وايمان

وهل بعد تهذيبى على المجد اتقى   من الدهر بأسا ان دنا الناس أوبانوا

ولى جيش عزم ثابت متألف   عظيم له فى الخطب بالحرب آذان(٣)

وقال يمدحه ايضا :

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر   والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر(٤)

....

دم للندى يابن سر الختم مبتهجا   وقرعينا بذكر نشره عطر

لك العلا والحلا حالا ن لم يحلا   فيهن للمدح اسواق ومتجر

تلكم نماذج من شعر العهد التركى عرضناها لكى ندرسها ونقف بعرضها ودراستها على ما بلغه الشعر فى ذلك العهد فى شكله ومضمونه ولنعرف كذلك مدى ما قدمه شعراء العهد التركى للشعر السوداني بصفة خاصة وللشعر [illegible]ربي بصفة عامة ، وسنورد النصوص كاملة فى الملحق فى آخر البحث .

ان اول ما نلاحظه على شعر العهد التركى انه انحصر فى موضوعين [illegible]

---

١ – أنظر حاشية ١ ص ٣٩

٢ – نفثات اليراع – ٨٥ .

٣ – يقصد اذان

٤ – نفثات اليراع ٨٧

الرثاء والمدح ، ولم يخرج عنهما الا قصيدة واحدة من نظم الشيخ يحيى السلاوى التى قال فيها :

شغل العدا بتشتت الأحزاب   والله ناصرنا بسيف عرابى

حاول الشاعر فى هذه القصيدة اثارة الحمية الاسلامية واشعال نار الحماس فى المواطنين المصريين ليؤيدوا الثورة العرابية ، وليشدوا من أزر قائدها ، ومع هذا لم تخل القصيدة من المدح لانه مدح اولئك الذين وقفوا مع الثورة وبذلوا من أجلها وسماهم بأسمائهم ليثير فى الآخرين شعورهم الوطنى وحميتهم الدينية .

نلاحظ أيضا أن الاخطاء فى هذا الشعر — شعر العهد التركى بصفة عامة — قليلة ، ونعنى بذلك اخطاء النحو والصرف واللغة ، ولم نجد شيئا منها الا فى بعض ابيات ابراهيم عبد الدافع مثلا قوله فى احد ابيات قصيدته التى يرثي بها العلماء :

والدهر أفجعنا فى الشيخ قدوتنا   ....

حيث استعمل « افجعنا » وهذا خطأ صرفى فالصواب « فجعنا » . وفى نفس القصيدة قال :

ديارنا بعد ما كانت معمرة   منهم غدت مسكن الطاغين والظلما[1]

والجمع الصحيح هو « الظلمة » .

ومع أن الوزن فى جميع قصائد هذا الشاعر يكاد يكون مستقيما . الا أن نظمه ضعيف فى بعض الاحيان ، ونجد ذلك فى قوله فى القصيدة نفسها :

ثم الصلاة على المختار سيدنا   نبينا من إلى الارسال قد ختما

فهو يعدى « ختم » بحرف الجر « إلى » ولا داعى لهذا لان الفعل متعد اصلا ، ولا نرى داعيا لحرف التحقيق « قد » لأن المعنى لا يحتاج اليها ، والمقام بصفة عامة لا يقتضيها لكن ربما تقتضيها اقامة الوزن ، كما تقتضى تعدية الفعل المتعدى . وفى قوله من مرثية للشيخ احمد بن عيسى :

بكى السماء وعم الارض بالمطر   بعد الكسوف لشمس العلم والقمر

---

١ — مخطوطة كاتب الشونة ٩٨

حيث جاء بلام الجر ، ولا نرى ما يدعو لها غير اقامة الوزن ، لأننا نقول كسوف الشمس ، وخسوف القمر بالاضافة الصريحة .

واننا لنجد فى هذه النماذج بعض الإخطاء فى النحو كقول ابراهيم عبد الدافع

كنا زمانا يجينا الركب من بعد إلى العلوم وللقرآن والحكما

ف « الحكم » معطوفة على مجرور وحقها ان تكون مجرورة . لكن الشاعر لا يأبه للقاعدة النحوية فى سبيل اقامة الوزن .

وكقول محمد أحمد هاشم :

محمد من بتوفيق الاله سما فوافق الاسم معنى طاب ذاكره

حيث قطع همزة الوصل اضطرارا فى « الاسم »

وقد حدث عكس هذا فى قول الشيخ احمد الازهر :

ادر ذكر اسماعيل بين المحافل ولو هازلا واطرب به قلب غافل

حيث وصل القطع اضطرارا فى « اطرب »

وفى قوله :

صلاتي وتسليمى على اشرف الورى محمد من لى اليوم اعظم كافل

حيث منع الصرف اضطرارا فى « محمد »

كما نجد بعض التحريف وذلك فى قول الشيخ الامين محمد الضرير :

الود مأدبة والصدق اخوان والصادقون لدى الآداب اخوان

حيث حرف كلمة « خيوان » فى الشطر الاول بغية الجناس والتحريف امر مشهور فى الرجز القديم ولكنه معيب على أى حال .

درج هؤلاء الشعراء على اختتام قصائدهم باحدى طرق ثلاث ، وقد يجمع واحد منهم بين طريقتين فى قصيدة واحدة ، والطرق الثلاث هى :

١ ــ الصلاة على النبى

٢ ــ اعادة الشطر الاول من البيت

٣ – التاريخ بحروف الهجاء

فالشيخ ابراهيم عبد الدافع اختتم قصائده الثلاث بالصلاة على النبى كما رأينا فى النماذج ، والضرير اختتم واحدة (وهى مدح الخديوى توفيق) بالتاريخ وأخرى بالصلاة على النبى أما الثالثة فقد جمع فيها بين الصلاة واعادة الشطر الاول من البيت الاول . نلاحظ ان لغة هذا الشعر بصفة عامة خير من لغة شعر الفونج ، فالاخطاء أقل والتعابير والالفاظ سليمة فصيحة الا فى القليل النادر الذى جاء فى قصيدة الشيخ محمد أحمد هاشم حيث قال :

تباشرت بربر فى يوم مجمعها بمولد فيه نال الخير ناشره[1]

وكلمة « تباشر » بالمعنى المراد هنا عامية سودانية . ثمة ظاهرة أخرى تجلت فى هذا الشعر وهى التلاعب بالالفاظ ، وقد برزت لنا فى شعر الشيخ الضرير فكثيرا ما يجانس بين الالفاظ كقوله فى مطلع قصيدته التى مدح بها خديوى مصر :

الود مأدبة والصدق اخوان	والصادقون لدى الآداب اخوان
أشعارهم ذات اشعار بحالهم	فهى الشعار حظوا بالوصل أو بانوا

وفيها أيضا :

أليس عارفكم بيدى معارفكم ....

وكذلك فى قوله من نفس القصيدة :

بحور فضل بلا من ولا علل	نعم لهم علل بالمن مزدان
فالجد جد عليا فى محامده	وسيفه الشهم ابراهيم معوان
مخايل الخير فى توفيقه ظهرت	اكرم بشهم له التوفيق عنوان
عين الافاضل لا تحصى فواضله	لانه فاضل الاعيان محسان

واحيانا يطابق بين الالفاظ كقوله :

فالعسر يغلبه يسران اوضح ذا مافى الحديث وما اخفاه برهان

اننا نجد مثل هذا التلاعب فى شعر الشيخ يحيى السلاوى ، ففى نونيته التى مدح بها السيد محمد سر الختم الميرغنى . وقد عرضنا مجموعة من أبياتها فى نماذجنا – قال :

---

١ – نفثات اليراع ، ١١٠

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ‏ وينكر الفم طعم الماء من سقم

ان المصطلحات العلمية وجدت طريقها إلى شعر العهد التركى ، ونجد النحوية منها فى شعر الشيخ الضرير حيث قال فى مدح الخديوى توفيق فى النونية التى عرضنا بعض ابياتها فى ماتقدم :

لما غـــدا رافعـــا اعـلام نصرته ‏ مع نصبه انخفضت للفتح بلدان

فصار يكسر بالتقـــديم شوكتها ‏ فلم يعد اهلها للحرب بل دانوا

كما نجد المصطلحات العروضية فى قول الشيخ أحمد الازهرى وذلك فى قصيدته التى نظمها فى مدح ابيه ، قال :

فبحرى طويل حيث صرعت وزنه ‏ بثاني ضروب من فعول مفاعل

ونلمح فى قصيدة الشيخ أحمد هذى بعض الالفاظ والمعاني القرآنية ومثال ذلك قوله :

ألم تر أن الله ميز خلقـــــه ‏ بتأخير مفضول وتقـديم فاضل

فقال رفعنا بعضكم فوق(١) فادكر ‏ ترى رفع بعض فوق بعض المقابل

نعم درجات خصها الله بالذى ‏ تقـرب بالمفروض ثم النوافل

ونلمح مثل ذلك فى قوله :

ويونس لم يأبق إلى الفلك(٢) عابثا ‏ أتي نبذه بعد التقام لساحل

والآن يمكننا القول بأن شعر العهد التركى مع قله عدد شعرائه يفضل شعر العهد الفونجى فى لغته وفى أسلوبه بصفة عامة ـ فقصائده تكاد تخلو من اختلال الوزن ومن الأخطاء نحوية كانت أو صرفية أو لغوية ، الا أن الخيال ظل ضعيفا فى العهد التركى كما كان ايام الفونج . اما المعاني فى الموضوعين اللذين اقتصر عليهما الشعر ـ المديح والرثاء ـ فلم ترد عن المعروف المألوف ـ ففى مدح المنبى مثلا لا يجد الشاعر ما يخلعه على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه الا أنه « أم الناس بالهدى » وأنه « نور أظهره الله » و « هو عدتنا وذخيرتنا » وأنه « صريح النسب منزه مطهر عن الخنى » وأن « النساء لم يلدن مثله ولن يلدن » ثم يعقب هذه المعاني

١ ـ سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

٢ ـ سورة الصافات الآية ١٤٠

بدعاء واستغـاثة بالنبى — وعندما يمدح شـاعر شخصا من ذوى المكانة فانه يخلع عليه ايضا عددا من الصفات ويحاول الوصول به إلى درجة الكمال فى تلك الصفات ، فالكرم والعلا والشجاعة والتقوى والمقدرة على قهر الخصوم واخضاعهم ثم الفضل الواسع وطيب الأصل وبيان الطريق كلها ترص رصا ولا تبين شيئا كثيرا أو قليلا فى شخص الممدوح وهى كلها لاتعدو أن تكون من المعاني الانسانية المعروفة التى يشترك فيها كثير من عباد الله فى كل بلد وفى كل زمان ومكان ، وفى خضم هذه المعاني العادية نجد احيانا قليلة معنى عاميا كقول ابراهيم عبد الدافع فى قصيدته التى رثي بها العلماء :

صرنا طعاما بلا ملح يلذ به ....

ان هذا المعنى كثير الورود فى كلام العامة ، لكنه يرد فى الفاظ مختلفة ، واحيانا فى كلمة واحدة تقال عن الشىء أو الشخص أو الحياة أو العمل .

كل هذه المعاني تورد بشكل تقريرى لاحظ للخيال فيه ، ولا يكاد القارىء يعثر فيها على أثر لشخصية الشاعر أو للشخص الذى تقال فيه .

وفى الرثاء حدثنا احد شعراء هذا العهد عن « انهدام ركن الدين » و« بكاء السماء » وعما حل بالارض والناس ، وما اصاب الشمس والقمر ، وما آلت اليه حلقات الدرس بعلومها المختلفة . إلى غير ذلك مما يراد به تصوير الخطب العظيم والمصاب الأليم . بعد هذا التصوير عمد الشاعر إلى ذكر محاسن المتوفى وتعداد مآثره ومفاخره بطريقة المدح ذاتها — ذلك السرد التقريرى الجاف الذى لا يوحى بعاطفة ولا يعبر أو يكشف عن حسرة ، ولا يرسم صورة ناطقة للمرثي . بدت لنا معاني الرثاء ونحن نتأملها جافة لا حياة فيها ، عادية لا تحوى جديدا مبتكرا . أما الصور فاننا لا نكاد نجد الا صورا مفردة متمثلة فى التشبيهات التى جاءت فى شعرهم ، وأكثر انواع التشبيه ورودا هو « البليغ » ومن ذلك قول الشيخ الضرير فى النونية :

الود مأدبة والصدق اخوان ....

بحور فضل بلا من ولا علل

وفى اللامية التى مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم :

« سبحان جاعله كهفا لنـــا » . ثم « فكان فى طيبة الغراء شمس هدى »

« أعرافه المسك والانفال وافرة». « كالنمل فى قصص بل حطمهم حصلا »

ومنه أيضا قول الشيخ محمد أحمد هاشم فى قصيدته التى نظمها مهنئا الخديوى بعيد جلوسه حيث قال :

« والسعد خادمه فى كل آونه »

« وذا منبع الاحسان ما طره »

« مليك حسن واحسان والهة »

وفى قصائد الشيخ يحيى السلاوى نجـــد هذه الامثلة : فى البائية ــ

جيــلان مرتفعان دونهما الورى	كالشمس فى زحـــل بلا اطناب
. . . .	وارسل عليهم منك سوط عذاب[1]
جرد لهم سيف اليقين فانهـــم	خسروا وسيف الحق ليس بناب
والسيد البكــرى تاج نقابه ا	أشراف اهل المجد والأنســاب
وجناب قاضى مصر سيف شريعة	يسطو على كل امرىء متغـــــابي

وفى احدى مدحيته للسيد محمد سر الختم الميرغنى ــ

ولى جيش عزم ثابت متألف . . . .

وفى الأخرى :

ونور علمك لا تخفاه خافية (يقصد لا تخفى عليه)

والمجد عقد نفيس انت جوهره

لازلت ركنا لنا فى ظله متع كالشمس تمتد منها الانجم الزهر

وفى قصيدة الشيخ أحمد الازهرى نجد التشبيهات :

ولا سيما من بعض أهـــل زماننا	شياطين انس عصبوا كل خامل
ظواهرهم مصلوحة[2] باحتيالهم	يراهم غير القوم مثل الاماثل

---

١ ــ تقرا « وآرسل » بهمزة وصل للوزن

٢ ــ هذا الوزن غير معروف فى هذه المادة .

ـ عندى سيف نص موضح — أجـز بـه رأس الجهول المجادل

. . . . — . . . .

وقل لزنيم كان يجهل أمـــره — اتاك أتاك الخزى اتيان وابـل

ومن مرثيات الشيخ ابراهيم عبد الدافع نأخذ الامثلة :

من الأولى :ـ

هو بحر علم بالغيوب مكاشــف — هو بدر تم ضـــاء فى البلـدان

. . . . — هو روح جسم عـالم السودان

ومن الثانية :ـ

والآن فى بطنها صاروا كحالتهم — فى مسجد مثل ما الأفلاك فوق سما

صرنا طعاما بلا ملح يلـــذ به — تعافه أعين الرائي ومن طعمـا

ومن الثالثة :ـ

والدمع سال على الخدين منحــدرا — كالسيب فى الديمة الهطـلاء والنهر

كـنز الهـداية مصباح الولايـة — فى حضائر القدس من أهل الولا الخير (١)

سراج أمـة خـير الخلق عمـدتها — وتاج عز ذوى العليـا بلا فكـر

روح الحياة حياة الروح صحبتـه — . . . .

من منه فاضت عيون العلم وانبعثت — جيوش اسراره فى البـــدو والحضر

كذلك نجد الصورة المفردة فى بعض استعارات وردت فى شعر هؤلاء الشعراء نذكر منها على سبيل المثال :

فى شعر ابراهيم عبد الدافع ، وفى مرثيته للعلماء نجد ـ

اليوم اصبح ركن الدين منهـدما — . . . .

واظلمت أرضنا حقا وقد خمدت — نار الكتاب وضاع العلم وانعـدما

وقد بكينا دما والموت فرقنـا — . . . .

واشقوني بعد ســادات تغولهم — ريب المنون فواحزناه واندمـا

---

(١) كاتب الشونة ١٠٣

شـــكوت زماني بالاسى وشكرته وتهذيبه لى فى الحقيقة احســـــان
فسيان عندى أحسن الدهر أم أسا متى صح لى بالله عقل وايمان
وهل بعد تهذيبى على المجد اتقى من الدهر بأسا اذ دنا الناس أو بانوا

وفيها أيضا :

وللرفد وفد فى حماه معـــززز ضيوف تواليها على الحظ ضيفان
. . . .
امام همام واحد العصر لم يكن على فضله المأثور فى الدهر رجحان

وقد نظر بعض هؤلاء الشعراء إلى بعض الشعراء الاقدمين فى أبيات من قصائدهم فمثلا قول الشيخ ابراهيم عبد الدافع فى رثائه العلماء :

وانبت ماكان موصولا بمسجدنا من معهد الحوجلى القطب وانحسما
والحل ما كان معقودا بقبتنـــا من بهجة الدين والدنيا وقد عـدما

ينظر إلى بعض أبيات ابن زيدون فى نونيته .

والشيخ الضرير فى قوله :

حتى نقول على عكس الذى زعموا « من ساءه زمن سرته ازمان »

تصرف فى نصف البيت المشهور لابي البقاء الرئدى :

. . . . من سره زمن ساءته ازمـــان

والشيخ احمد الازهرى حين مدح أباه بقوله :

فلم تحصر الخيرات فيمن تقدموا فرب أخير جاز بحر الاوائل

نظرا إلى قول ابى العلاء :

واني وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

وبقوله :

وأعشى الورى لم تبصر الشمس عينه ولم يدر ذو الاسقام طيب المآكل

نظرا إلى القول القائل :

وفي مرثيته احمد بن عيسى —

بكى السماء وعم الأرض بالمطر

وفي شعر الشيخ الضرير ومن نونيته « الود مأدبة والصدق اخوان » نجد —

في ظل والده الممدود في عمر — له مع الطول بالخيرات عمران

من معشر ما زهت مصر بمثلهم — من الملوك وللتحقيق برهان

أما قصيدة الشيخ محمد احمد هاشم فنورد من استعاراتها :

اليمن أقبل بالاحسان طائره

الكون قد رقصت فيه محاسنه

الغصن اعلن بالتغريد طائره

ضاء سوداننا من حسن رأفته

حيث المفاخر مضروب سرادقها

هذا الخديوى الذى سحت فضائله .

ومن شعر الشيخ أحمد الازهرى نختار الامثلة :

أدر ذكر اسماعيل بين المحافل

رضاء الاله قد يحف جنابه

أتاك أتاك الخزى

ومن بائية الشيخ يحى السلاوى نختار هذه الأمثلة :

وبمثلهم فى الناس تفتخر العلا — والمجد يرفل فى رفيع ثياب

واشدد عراهم بالخليفة انه — متكفل بالنصر للأحزاب

ومن النونية :

وللمجد ركن منه لازال ثابتا — توطد منه بالولاية أركان

ومن الرائية :

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر — والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر

خذها أميرى رعاك الله سالمة — من كل عيب عروسا زانها الخفر

زفت لعلياك والاجلال يقدمها — والعز والبشر والتكريم والغا

تلكم نماذج من استعارات شعر العهد التركي اخترناها من قصائد شعراء ذلك العهد أمثلة للصور المفردة التي جاءت في شعرهم، وهي في رأينا بحالتها هذه – وبما يحيط بها من مآخذ واردة في تلك القصائد لا تشير إلى موهبة مصقولة أو خيال واسع أو براعة في الاخراج . وهؤلاء الشعراء الخمسة كلهم علماء . شغلوا في مطلع حياتهم بدراسة الدين ، وفيما بعد بالعمل في التدريس أو القضاء ولم يتفرغوا للأدب عامة أو الشعر خاصة ، ولما نظموا الشعر وجهوه إلى رجال الدين يمدحونهم ويرثونهم تقديرا للسلطان الروحي ، كما اتجه به بعضهم إلى الحكومة طلبا لارضاء السلطان الزمني أو اعترافا ببعض فضله. وهذا يعني أن التجربة الشخصية والاثارة النفسية (أو الانفعال العاطفي) لم تتوفر لهم ، ان توفرت فلعلها لم تجد قوة تعبر عنها تعبيرا يجعل منها قطعة أدبية رائعة .

ان شعر العهد التركي انحصر في دائرة ضيقة – دائرة المدح والرثاء وفي هذه الدائرة الضيقة قيده شعراؤه فوقفوه على رجال الدين ورجال الدولة ، أما الحياة الاجتماعية فلم يتعرضوا لها في شعرهم وقد كان الناس يعانون من بطش الترك وعسف وكلائهم ، لم يثر الظلم المتفشي احدهم ، ولم يجد ما كان يلقاه المواطنون من قسوة الحياة وسوء الادارة صدى في نفس احدهم ، ولو حدث شيء من هذا لكان لشعر العهد التركي وقع آخر في نفوس الناس ، وموقع خطير في تاريخ البلاد الاجتماعي والأدبي .

ومهما يكن من شيء فان الذي وصلنا من شعر العهد التركي هو اربعمائة وسبعة عشر بيتا ، ونحن اذا حكمنا انما نحكم على هذا القدر الذي حفظته لنا الكتب التي تيسر لنا النظر فيها .

الفصل الثاني

شعراء المهدية

ثورة المهدى أسبابها وغاياتها :

ان الحكم المصرى التركى الذى دان له السودان قرابة سبعين عاما بدأ إثر قتال دموى فى دار الشايقية انهارت بعده مقاومتهم وسلموا للحكام الجدد وخضعوا لقوتهم التى لم يكن لهم بها قبل ، وبعد حرب معنوية فى البقاع الأخرى كدار الجعليين وسنار وغيرهما ، ففى بربر « سلم لهم البلاد الملك نصر الدين ، ووافاهم هناك ايضا ابو حجل ملك الرباطاب مطيعا مواليا »(١) أما سنار فقد ظهرت فيها الخصومات الشخصية ، وبرزت الاحن والاحقاد ، ولم يكن فى وسع بلاط الفونج العتيد الذى ظل ثلاثة قرون مهيمنا على البلاد فى قوة وعزة ومنعة ان يتحد ويصمد ويقاوم بسبب الفتن والاضطراب « ولم يجد الملك بادى صاحب المظهر والاسم بدّا من الاذعان والطاعة »(٢) للغزاة. انهزم السودانيون اذن امام هذه القوة الطاغية الغازية لأنها كانت أكبر من قوتهم ، ولم يكن لهم قبل بما فيها من سلاح وعتاد وخيل ورجل ، وانهزموا كذلك لان بعضهم تهيب اللقاء وخارت عزائمه ولان الشقاق دب بين بعضهم وآثر بعضهم السلامة فالقى السلاح واعلن الاستسلام للجيش الغازى والولاء والطاعة للحكم الجديد . لكن أيمكن ان ينسى السودانيون تلك الهزيمة العسكرية فى ديار الشايقية وذاك الاندحار المعنوى فى البقاع الاخرى ؟ لا شك انهم ظلوا يذكرونه سنين طوالا ، ويتناقلون اخباره طوال مدة حكم الاتراك ، ولعل تلك الذكرى بقيت مصدر اسى وحسرة لكثيرين ، وربما كانت هذه الأخبار مبعث ألم وموجدة فى نفوس مجموعات منهم . واذا سلمنا بوجود هذه المشاعر ــ مشاعر الأسى والحسرة، والالم والموجدة فى نفوس الاهلين أيمكننا القول ايضا بأنها لابد آخذة فى النمو والتفاقم إلى ان تصل درجة الانفجار ، ولابد

---

١ ــ السودان فى قرن ٢٢

٢ ــ المصدر نفسه ٢٥ .

انها باقية على هذى الحال فى انتظار من يشعل الفتيلة فيدوى الانفجار ويذهب بمن يذهب به ، ويقوض اركان هذا النظام الجديد .

لقد ترك الغزو التركى المصرى جراحا فى نفوس الاهلين ، وكان المفروض أو المتوقع ان يأسو الحكم الذى اعقب الغزو تلك الجراح ويواليها بالعناية والرعاية حتى تندمل تماما ، ثم يبذل قصارى جهده حتى تزول آثارها ، ويحتاط كل الحيطة ويحذر كل الحذر حتى لا تنكأ الجراح لكنه لم يفعل ، بل على العكس سار فى الناس سيرة لم تحمد فى حينها فقد اتسمت بالعنف وخير شاهد على ذلك معاملة الدفتردار للجعليين انتقاما لصهره اسماعيل باشا ، ثم الطريقة التى تبعوها فى فرض الضرائب وجمعها ، وفى ايقاف تجارة الرقيق ، وأبيات الشيخ محمد شريف التى جاءت فى قصيدته المنظومة فى هجاء المهدى توضح الحالة العامة فى البلاد ـ قال :

وما أبت السودان حكم حكومة	إلى ان اتي ضعف المطاليب من مصر (1)
فكالثلث والثلثين للمير وحده	وللشيخ والنظار اضعافه فادر
بضرب شديد ثم كتف مؤلم	ومن بعده الالقاء فى الشمس والحر
واوتاد ذى الاوتاد من بعض فعلهم	واشنع من ذا كله عمل الهر

اتسمت سيرة الحكومة أيضا بالمحاباة اذ اخذت تقرب بعض القبائل وتتخذ منها الجنود ثم تعفيها من الضرائب ، ولا تعامل القبائل الاخرى نفس المعاملة ، كذلك قربت احدى الطرق الصوفية المعروفة ـ اى المرغنية « حتى كثر أتباعهم وعظم جاههم (2) مما احفظ الاهلين عامة ورجال الطرق الصوفية الاخرى بصفة خاصة .

تضافرت كل تلك العوامل مع ما كان يحدث ويتناقله الناس من احداث فردية فى خلق شعور قوى مناوىء للحكومة ، ولم يكن هذا الشعور منبعثا عن الأحداث الادارية ، أو بعض الاعمال السياسية انما اضيف إلى كل هذه بعض ما ينكره الدين ويرفضه العرف ، وبذلك صار الجو العام فى البلاد ، وهى بيئة اسلامية ، جو ظلم وفساد . ضاق الاهلون بهذا الجو ، واشربت نفوسهم كراهية نظام الحكم القائم حتى قال قائلهم « عشرة فى تربة ولا ريال فى طلبه » . هذه القولة

---

١ ـ تاريخ السودان ـ نعوم شقير ٦٣٣ .

٢ ـ المصدر نفسه ٦٣٤

تصور مدى ما وصل اليه ضيقهم بالحكومة وبأساليبها وتوضح ضعف ثقتهم فى رجالها ، وتوضح كذلك فقدان الامل فى حياة وادعة آمنة فى ظل تلك الحكومة او فى كنف اولئك الحكام . وهم والحالة كما وصفنا لابد تواقون إلى مخرج مما احاط بهم ، أو الى منقذ ينتشلهم من وهدة الظلم التى ترددوا فيها .

فى مثل هذا الجو الذى وصفنا عاش محمد أحمد بن عبد الله ، وفيه ايضا تنقل بين حلقات بعض العلماء الاجلاء فتبصر فى امور دينه وتفقه ودرس اللغة والنحو ثم مال إلى الزهد ، وفى هذا الجو ايضا تنقل بين بقاع السودان المختلفة معلما مرشدا فى كثير من التقشف والورع حتى أحبه الناس ، والتفت حوله جماعة كبيرة من المحبين والمعجبين ، وانتشر خبره ، وذاع صيت تقواه وورعه بين ارجاء البلاد المختلفة حتى أخذ الناس يفدون عليه متبركين طالبين الخلاص على يديه لما رأوه فيه من تمسك باهداب الدين وغيره على تعاليمه ، وقد احس محمد أحمد بحالة الناس لانه واحد منهم ، وادرك حاجتهم إلى منقذ . إلى رجل قوى مؤمن بالله وبنفسه ، رجل منقذ يأخذ بيد المواطنين ويقف امامهم ولهم ومعهم فى وجه الحكام الطغاة ، كما احس انه هو المنقذ لانه « عمت البدع فى البلاد وتطابقت عليها العلماء والعباد ، وانطوى بذلك نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العباد ، وما وجدنا من أهل من يعاونا على احياء الاسلام فى المبا...
فى ذلك متحيرين حتى اتي الاذن ...
كثيرة ، ان رسو...

ومن هنا شاع بين الناس انه « المهدى المنتظر » فأيدوه وآمنوا به ليعيد العدل والحق ويحيى ما اندثر من تعاليم الدين ، وهكذا بدأت ثورة المهدى ، واخذ اشتعالها يشتد شيئا فشيئا ، واوارها يضطرم قليلا قليلا إلى ان استفحل امرها واتت على الحكم التركى . قامت ثورة المهدى لأن :

(١) المجتمع السوداني كان مهيأ للخروج على حكومة الاتراك ، وكان يبحث عمن يقوده للخروج عليها .

(٢) محمد أحمد بن عبد الله كان مهيأ للثورة بشخصيته وثقافته الدينية الصوفية .

قامت هذه الثورة تعبيرا عن ارادة الامة السودانية ، فلم يكن السودانيون يريدون البقاء تحت سيطرة اجنبية تظلمهم ولا ترعى حقوقهم الوطنية ، تنهكهم ولا تحفظ فيهم كرامة الانسان . لقد قدمت تلك الادارة التى سيطرت على البلاد أكثر من نصف قرن شيئا من الاعمال الجليلة – كفتح المدارس وتحسين المواصلات وايفاد المواطنين للدراسة فى مصر وغير ذلك الا أنها قصرت وأساءت فى جوانب عديدة لذلك رفض السودانيون سيطرتها وهبوا مع محمد أحمد بن عبد الله الذى اعلن لهم انه « المهدى المنتظر » ، فآمنوا به ، هبوا معه لتخليص بلادهم من يد الحكم التركى ولانهاء بعض الافعال المنكرة التى كان يقترفها بعض الحكام ونفر من تلك الافعال التى تأباها الشريعة السماوية والشريعة العرفية ، تلك الأفعال

[illegible] على عاتقه واجب الاصلاح لانه

[illegible] الفطن [illegible] يترك

[illegible] كون

[illegible] من

[illegible] هم

[illegible] معه

[illegible] ان

[illegible] ى

لذلك وسيلة فيها حزم وصرامة وغرابة « اذ امر باحراق الكتب الا ... ...
كالقرآن والصحيحين واحياء علوم الدين »(١) واعلن للناس ان مذهبه «هو الكتاب والسنة والتوكل على الله »(٢) وانه قد « طرح العمل بالمذاهب ورأى المشائخ »(٣) وهذا يدل على انه اراد ان يوحد مصادر الدراسة للمسلمين ويوجه انظارهم وعقولهم إلى مراجع معينة حتى لا تشتت جهودهم وأفكارهم . كما أنه أبطل « العمل بجميع الاوراد وألف لانصاره راتبا يقـرأونه يوميـا وهو مجموعة من الآيات والاحاديث والادعية »(٤). أما التعليم فقد وقفه « على حفظ القرآن والراتب »(٥) ولعله اراد بكل ذلك ان يجمع الناس فى فكرة دينية واحدة ثم يسعى بعد ذلك لغاية أكبر واسمى .

كان محمد أحمد المهدى قد كتب إلى محمد المهدى السنوسى زعيم الطائفة السنوسية فى ليبيا ينبئه بأمره ويقول له : « .. .. انك من الوزراء لى ، ثم لازلنا ننتظرك حتى اعلمنا الخضر عليه السلام باحوالكم وما انتم عليه ، ثم حصلت حضرة عظيمة عين النبى صلى الله عليه وسلم فيها خلفا اصحابه من اصحابي ، فاجلس احد اصحابي على كرسى أبى بكر الصديق ، واحدهم على كرسى عمر واوقف كرسى عثمان فقال . هذا الكرسى لابن السنوسى إلى ان يأتيكم بقرب او طول واجلس احد اصحابي على كرسى على رضوان الله عليهم اجمعين » (٦) وقد اختتم رسالته هذى بقوله « فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد فى جهاتك إلى مصر ونواحيها ان لم يسلموا ، واما ان تهاجر الينا . ولكن الهجرة احب الينا كما علمت فضل الهجرة من زيادة الثواب والمقابلة ان تيسرت . وعلى كل حال ترد الينا منك الافادة بما يصير اليه عزمك من جهاد أو هجرة ومثلك تكفيه الاشارة والسلام »(٧). ونحن نرى فى هذا الخطاب :

---

١ — السودان فى قرن ٣٣٧
٢ — و ٣ المصدر نفسه — نفس الصفحة
٤ — السودان فى قرن
٥ — تاريخ الثقافة العربية فى السودان — عابدين ١٢٦
٦ — منشورات المهدى ، أبو سليم ٧٣
٧ — المصدر نفسه ص ٧٥

ﺭ.. — دعوة صريحة للسنوسى للدخول فى المهدية والحضور إلى السودان وقد صيغت الدعوة فى شىء من الاغراء وشىء من التهديد فى ختامها .

ثانيا عزم المهدى على اقناع زعماء الطوائف الدينية الكبيرة فى خارج السودان بقبول مهديته .

ثالثا — ثقة المهدى بنفسه وايمانه العميق برسالته

رابعا — عزمه على غزو مصر وادخالها فى دعوته .

وقد كتب فعلا إلى حسين باشا خليفة الذى كان مديرا لبربر ابان الحكم التركى وكلفه الدعوة له بين العبابدة وجيرانهم من القبائل الاخرى — « ولما كان موضوع امرنا القيام بأمر الدين وجهاد اعداء الله الكافرين ، وقد انتهى امرهم بالسودان وعزمنا بارادة الله على التفرغ لغيرها من البلدان فقد اخترنا الله تعالى ووجهناك امامنا عاملا عموميا على كافة قبائل جماعتك العبابدة .. وعلى كافة من يرغب الانضمام عليك من القبائل الاخرى بطوعه واختياره لتبليغهم دعوتنا وتعطيهم بيعتنا وتستنفرهم لاحياء الدين » (1) وكتب لخديوى مصر ايضا يدعوه إلى الدخول فى طاعته والاعتراف بمهديته وينذره ويحذره من عواقب الرفض — قال « وقد حررت اليك هذا الكتاب وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا على هدايتك فارجو الله ن يشرح صدرك بقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك فى الدين وها انا قادم على جهتك بجنود الله وعن قريب ان شاء الله . فان امر السودان قد أنتهى فان بادرتنى بالتسليم لامر المهدية والانابة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الابدية وأمنت على نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يجيب دعوتنا معك ، وان أبيت بعد هذا الا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد فانما عليك اثمك واثم من معك ، ولا بد من وقوعك فى قبضتنا ولو كنت فى بروج مشيدة . وهذا انذير منى اليك وفيه الكفاية لمن ادركته العناية والسلام على من اتبع الهدى »(2) .

لم يقف الامر عند هذا الحد بل عين المهدى ولاة له فى بعض البلدان الاسلامية كسوريا ومراكش، وهذا التعيين وما قدمناه من ارسال الكتب إلى كل من السنوسى

---

١ — السودان فى قرن ٢٣١

٢ — السودان فى قرن ٢٣٢

الزعيم الديني ، وإلى حسين باشا خليفة احد موظفى الدولة التى دمرتها جيوش المهدى وانهت حكمها ، ثم إلى خديو مصر ، وما تضمنته تلك الكتب من روح دينية عميقة وايمان بهدف معين وغاية محددة — كل ذلك يحملنا على القول بان الثورة المهدية كانت ترمى إلى توحيد المسلمين فى فكرة واحدة وتحت امرة رجل واحد أو امام واحد هو «محمد أحمد المهدى » .

الشعر الوطني ومظاهره فى الانتاج الشعرى :

جاءت دعوة المهدى فى وقت استشرى فيه الفساد ، وعم الظلم ، وأصاب الناس كرب عظيم وأحسوا الغبن والضيم ، فاستجابوا لتلك الدعوة ، وانخرط معظم القادرين منهم جنودا فى صفوف جيشها ، وخاضوا المعارك واحدة بعد الأخرى فى حماس دافق ، متزايد ، يتجدد بعد كل معركة واثر كل انتصار . اما الشعر فقد اخرجه شعراؤه من القمقم الذى حبس فيه ابان العهد التركى » وساروا به فى موكب الحماس الدافق ، واخذ الشعراء يمدحون المهدى ويصفون شجاعة الانصار وصبرهم على القتال ويحثون الناس على الجهاد »(١) لقد اثارت المهدية حميتهم الدينية لان قائدها عرف بالتقوى والورع والزهد واعلن الخروج على الحكم التركى فى سبيل الاصلاح وازالة المظالم ، كما أن المهدى واحد منهم أيدته جموع غفيرة من أهل البلاد وحالفه التوفيق فانتصر على جيوش الحكومة التركية التى قصرت فى حقهم وهم رعاياها وهم مسلمون ، لذلك اندفع الشعراء يعلنون ابتهاجهم بظهوره ، ويمجدون انتصاره . لان ظهوره بشرى بالخلاص كما ان انتصاره تأكيد للخلاص .

فمن الابتهاج قول الشيخ الحسين الزهراء فى همزيته المشهورة(٢).

برح الخفا ما الحق فيه خفاء(٣)	وتوالت الآيات والانباء
فالامر جد والقلوب مريضة	والداء داء والدواء دواء

---

١ — الشعر الحديث — الشوش — ٣٣

٢ — الشيخ الحسين عالم سوداني تعلم فى الأزهر ، واشتغل بالتدريس فى مدرسة فتحها فى قريته — تولى القضاء فى المهدية وكان تقيا ورعا نزيها . سجنه الخليفة عبد الله لخلاف وقع بينهما فى فى فتوى وبقى فى السجن إلى ان مات — شعراء السودان ٦ .

٣ — شعراء السودان ٧

ان الشيخ العالم ابتهج بظهور الحق ، وتوالى الآيات والانباء بهذا الظهور ، فقد قامت الشواهد على ظهور الحق . ويبدو لنا ابتهاجه فيما قال عن الشمس الباهرة وما عليها من « هيبة وبهاء » وكذلك البدر وقد تم كماله وغير ذلك من الاوصاف والمعاني التي تنبىء عن الاشراق والتعابير التى تفصح عن المسرة والبهجة .بعد ذلك أى بعد ان عبر عن بهجته اخذ فى مدح المهدى ، قال :

مهدى رب العرش منتظر الورى ... وإلى الولى والاكرمون وراء[1]

السابق ابن السابقين إلى الهـدى ... من معشر نتجت بهم زهـــراء

يبدأ الشاعر مدحه باثبات مهدية محمد أحمد بن عبد الله حيث يقول « مهدى رب العرش منتظر الورى » ثم يعلن انتماء المهدى إلى القوم الذين سبقوا إلى الهدى وبهم زهت الدنيا وعم الخير ، بعد ذلك يبشر قومه بالمهدى ، وهذا ابتهاج لكون المهدى من بنى وطنه ، ويعتد ظهور المهدى مقدمة لنعم كثيرة تأتي فيما بعد ـ وهو بهذا يعلن أيضا حسن ظنه فى حكومة المهدى واعماله المقبلة ويتوقع خيرا وفيرا لأن المهدى «مهدى رب العرش ومنتظر الورى» سيرفع الظلم عن المسلمين ويملأ الأرض عدلا بعد ان ملئت جورا وهو « مهدى رب العرش منتظر الورى » من ابناء هذا البلد الاتقياء الورعين الزاهدين وقد تحمس له الشاعر اذ قال « جمعت حذافير الولاء لنا » ويبدو لنا فى عبارته هذى ما يتوقعه للمهدى من نجاح ومن التفاف المسلمين حوله يقدمون له فروض الولاء والطاعة ، وهم بذلك يقدمون الولاء والطاعة لقوم المهدى الذين نشأ بينهم وخرج من صفوفهم معلنا ثورته بعد هذا المدح الذى يتسم بشىء من الروح الدينية وشىء من الشعور الوطنى يلتفت الشيخ الحسين إلى العلماء فيقول لهم :

علماء امة احمد ناشدتكـــم ... ردوا جوابي انكم علمـــاء[2]

ارضى وترضون الضلال بعدما ... ظهر الهدى وانجـــاب عنه فداء

انه يناشدهم مستعينا فى مناشدتهم بعلمهم ، وبما يجب ان يتحلى به العلماء ، وما يتصفون بهم فى حياتهم وعلاقاتهم ، وقولهم وفعلهم بصفة عامة ، انهم القادة ،

---

١ – شعراء السودان ٨

٢ – شعراء السودان ٩

وهم القدوة – يبعدون عن الضلال وينفرون من كل خبث ، ويميلون إلى الهدى ويسعون اليه ويحثون الناس للاخذ بأسبابه ، وها هو ذا قد ظهر فى المجتمع السوداني واضحا أخاذا ، فكيف يتركونه ، وكيف يبعدون عنه ، فينتقل زمام الامور إلى الغرباء !؟ انه يريد منهم ان يتنبهوا لأمر الدين بعد ظهور المهدى حتى لا ينفرد الجهلاء بالأمر فيفسدوا فى البلاد ويصيب الأذى المواطنين المسلمين المسالمين ، اننا نعتقد ان الشيخ الحسين أراد للعلماء مكان القيادة لانهم أولى بها لعلمهم الذى يحميهم من الزلل والظلم ويحملهم على نفع المسلمين ، وهو ايضا يغار على الاسلام ويحرص على منفعة المسلمين وهذا كله يدلنا على ان حركة المهدى أثارت حمية الشيخ الحسين الدينية كما ثارت شعوره الوطنى .

عبر شاعر آخر عن ابتهاجه بظهور المهدى بقصيدة من اثنين وثلاثين بيتا واختار لها بحرا خفيف الموسيقى سريعها ذلكم الشاعر هو الشيخ عبد الغنى السلاوى[1] ، قال فى تلكم القصيدة :

راق الصبوح ورقت الصهباء	مذ كان فيها للعليل شفاء [2]
ربية نبوية ملكية	مهدية روحية وسماء
شمسية قمرية ما فض عنها	ختمها فى دنها ورقاء
تشدو باعلى صوتها طربا بها	فغدت تناوب شدوها الشعراء

فى هذه الأبيات الاربعة التى ابتدأ بها الشاعر الشيخ اعلانه عن تهيئة الجو للشرب – حسب عرف الخمريين – فههنا شراب رقيق ذهبى اللون . والوقت صباح ، وفى الصباح الاشراق والدفء واليقظة ، ويتبع هاته السعى للعمل والاتصال بالناس من أهل وزملاء وغيرهم ، وكل هذا خير ينفع النفوس ويبهجها . اما الشراب الرقيق ذو اللون الذهبى فهو شراب يذهب بالعلة ، ويبرىء صاحبها منها فيعود صحيحا قويا . فالزمان طيب والشراب طيب ، ولا شىء ادعى للابتهاج منهما عند الخمريين – الا أن الشاعر الشيخ يعنى بل يريد ان يشرب من خمر معينة وصفها

---

١ – عالم فاضل ، ولد بالخرطوم عام ١٢٣٧ هـ ، تولى القضاء الشرعى فى العهد التركى فى بعض مدن السودان – نفثات اليراع ٧١

٢ – المصدر نفسه ٨١

فى البيتين الثاني والثالث ، يريد ان يشرب منها لتكتمل له البهجة و « يتم هناؤه » لانها خمر « مهدية روحية وسماء » ، وهى ايضا خمر محللة تأتي للشاربين من المهدى وهى أفضل واطيب من غيرها لانها خمر الهداية ، ألا تراه يقول :

معصومة عما يحـــرم كاسهـا　　　فاشربه ثم ادر هنـــاك هناء(١)
ان كنت من انصار مهديها لنا　　　مهدى الورى من فاض عنه هداء

يبدو من هذين البيتين ان الشاعر تعدى مرحلة الابتهاج إلى الاعجاب بتلك الخمر لاننا نراه يدعو غيره ليشرب ثم يدير الكأس إلى آخر أو آخرين أو يرده إلى الشاعر كما انه يغرى غيره بالدخول فى بيعة المهدى بقوله « ان كنت من انصارنا مهديها لنا » .

ان هذه الابيات التى اوردناها — على ما فيها من ضعف — تصور شعور الناظم ، وفى رأينا ان شعوره ينطوى على الابتهاج بظهور المهدى وعلى اعجاب بما جاء به المهدى . يأخذ الناظم بعد ذلك فى مدح المهدى وتأييد دعوته حيث يقول فى القصيدة نفسها :

ما هـــديه غــير الكتاب وسنة　　　والتاركون لذاك هم كفراء(٢)
اجلى الصدا وازاح أنواع الردى　　　وسمت به فوق السماء عليــاء

اذا تأملنا الابيات نجد ان فيها مدحا لشخص المهدى وهذا المدح فيما نرى يشف عن رأى الشاعر فى شخص المهدى — يقول عنه انه يتبع كتاب الله (القرآن) وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ مسلم صحيح الاسلام ، وهو ايضا تقى ورع لانه يهتدى بالقرآن الكريم ويسترشد بسنة محمد النبى العظيم وهذا غايةمايتمناه كل مسلم . بل هو غاية ما يبلغه اى مسلم ، ويقول ان المهدى « أجلى الصدا وازال أنواع الردى » ونستشف من هذا ان الشاعر يعتقد ان المهدى بظهوره وبدعوته ومسلكه ازال كل ما علق بالدين من شوائب ، ورفع عن بنى وطنه المظالم وحال بينهم وبين ألوان العذاب التى كانت تذيقهم طعم الموت وهم أحياء مرات ومرات ويقول « ان رياض المعالى اينعت » بظهوره ونرى أنه يريد من هذا التعبير المجازى

---

١ — نفثات اليراع ٨١
٢ — نفثات اليراع ٨١ — ٨٢

ان يصف لنا أو يبين تلك الروح الجديدة التى دخلت المجتمع السوداني فاستشعر السودانيون العزة بدخولها ، وشمخوا بأنوفهم لان المهدى المنتظر ظهر فيهم ، هكذا يمضى الشاعر فى امتداح المهدى فيقرر انه جدد آثار النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وانه ماجد فاضل عادل يسوى بين الناس ، وهو خطيب يفوق قسا وسحبان .

نجد كذلك فى تلك الابيات شيئا عن الدعوة التى جاء بها المهدى ، أنه يمتدحها ايضا فيصفها بالقوة والاحكام والصدق وبالخلو من الارتياب ، ويذكر انها مقبولة عقلا لانها تحوى « موجبات صدقها » ، ونجد فى الابيات أيضا شيئا عن مؤيدى الدعوة ومعارضيها فالمؤيدون ارتفعوا إلى اوج العلا اما المعارضون فهم اعداء وهم كفرة . كما بين الشاعر رأيه فى شخص المهدى بما مدحه به ، بين كذلك رأيه فى دعوته بما قال عنها ، فالمهدى فى رأيه رجل الدين المثالى لانه ازال ما علق بالدين من شوائب ولانه تقى ورع ، ورجل الدنيا المثالى لانه سوى بين الناس ورفع عنهم الظلم .

أما الشاعر محمد عمر البنا[1] فقد بلغ به الحماس للمهدية اقصى درجاته ، نظم هذا الشاعر تائيته المشهورة من اربعة وستين بيتا ، ومطلعها :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن الاله حياة

وقصرها على الموضوعات الاتية :

١ – مدح انصار المهدى

٢ – حثهم على القتال أو ترغيبهم فى الجهاد .

٣ – وصف معاركهم .

وجاءت بداية هذه القصيدة حثا على الجهاد وترغيبا فى الشهادة وانه لحث مسبب – قال :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن الاله حياة[2]

---

١ – عالم سوداني وشاعر ولد برفاعة ١٢٦٤ هـ تلقى العلم بالأزهر . اتصل بالمهدى وصار من المقربين اليه ، ومن الخليفة عبد الله من بعده – تولى مناصب فى القضاء الشرعى فى عهد الحكم الثنائي توفي سنة ١٩١٩ – شعراء السودان ٢٧٣ .

٢ – شعراء السودان ٢٧٣

الجبن عار والشجاعة هيبـــة　　　للمرء ما اقترنت بها العـــزمات

يأخذ الشاعر بعد ذلك فى مدح الانصار ، ومجيء المدح بعد ذلك الحث المسبب يثير الحمية بلا شك ، ويحرك الصخر . كما أنه يكشف عن رغبة أكيدة فى نفس الشاعر ولعلها كذلك اصيلة، رغبة فى انتصار المهدى على خصومه ، وفى انفراده بحكم البلاد ، وهذه الرغبة بالطبع لا تنجم الا عن شعور وطنى وعن حمية دينية لان المهدى من بنى السودان ولانه اتصف بالتقى والورع والزهد والغيرة على الدين ولان الشيخ البنا نفسه عالم سوداني يغار على دينه ولا شك انه ــ لعلمه وثقافته الدينية ــ يحب الخير للمسلمين لاسيما من يشاركونه الموطن وتربطهم به رابطة الدم ، ولا شك أنه توقع الخير فى شخص المهدى وفى دعوته ولذلك انضم له وأخذ ينظم مثل هذه القصيدة ويقول ممتدحا الانصار :

قد حاز هذا الافتخار جميعه　　　صحب الامام السادة القادات (١)
قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم　　　شم الجبال وللضعيف حمـــاة

يلى هذا المدح وصف لاحدى المعارك التى خاضها الانصار ، ويبدو من الوصف ان الانصار كسبوا تلك المعركة وقتلوا الاعداء تقتيلا ــ يقول الشاعر فى ذلك :

فأثرن نقع الموت فى عرصاتهم　　　وأغرن صبحا اذ علت أصوات
وذباب أسياف المنية فوقهـــا　　　رعفت دما وجلاؤها الهامـــات
والأرض سالت بالدماء وما بها　　　غير الجماجـــم والشعور نبـــات

بعد أبيات الوصف هذى يعود الشاعر إلى امتداح الانصار والاشادة بجهادهم فيقول :

يا أيها الانصار ان صنيعكـــم　　　شكر الاله له وتلك هبـــات (٢)
أعليتم دين الاله وما بكـــم　　　الا الثبات تزينه الوثبـــات
وشرحتم صـــدر الرسول محمد　　　بالفتح وانكشفت بكم ظلمات

يلى هذا الثناء الذى ازجاه الشاعر لجهاده الانصار ولجهدهم فى اعلاء الدين وشرح صدر الرسول حث على القتال ومنازلة الاعداء ، وقد بدأ هذه القصيدة بالحث

١ ــ شعراء السودان ٢٧٥
٢ ــ شعراء السودان ٢٧٦

الخليفة عبد الله إلى القائد عثمان دقنه المعسكر بجيشه فى « هندوب » بالانسحاب من المدينة ، قال :

هنـدوب تعـرف صـبرنا ... كيف ارتكبنـا للمصاعب(1)
وهشـيم تشـهد عزمنـا ... كيـف ادرعنـا للمصائب

يبدو الشاعر فى هذه الأبيات معتدا بقوة قومه الذين يناصرهم او يحارب معهم وهم انصار المهدى ، ويحس القارىء فى اعتداد الشاعر قدرا غير قليل من الحماس وقوة معنوية توحي بها الالفاظ القوية كقوله « ارتكبنا للمصاعب »

و « ادرعنا للمصائب » وقوله « وقع الصواعق فى المضارب » و « يرن سـلاحه كالرعد » — ويتجلى الاعتداد والاعتزاز بالقوة فى البيتين :

ما ان رحـلنا عنهمـو ... جزعا ولا خوف النوائـب
بل طاعـة لولينـا ... فليدر ذا كل الاجانـب

وفى الشطر الثاني من البيت الثاني يبدو التحدى للاجانب الذين قد يتقولون ويفسرون هذا الانسحاب تفسيرا لا يمت إلى دواعيه الحقيقية بصلة ، وهذا التحدى يوحى بأن الشاعر يأنف من ان يوصف هو وقومه بالجبن وخور العزيمة ، وفى هذه الآنفة أيضا اعتداد وأى أعتداد . نلاحظ كذلك ان الشاعر استعمل ضمير جماعة المتكلمين فى ثـلاثة عشر بيتا اكثر من عشر مرات هـذا الاستعمال بالاضافة إلى الاعتداد والتحدى والانفة ينم عن شعور وطني قوى ، كما ان الحمية الدينية بادية فى البيتين :

نحـيى لدين الله بـل ... فى شـأنه نلقى المعاطـب
متوسـلين اليه بالمهـدى ... وجهة كل راغـب

رثي هذا الشاعر — محمد بن الطاهر المجذوب محمد أحمد المهدى عندما توفاه الله بقصيدة جاء فيها :

دهتنا دواه يضرس القلب نابهـا ... ويوقد فى الاحشاء نارا منا بها(2)
غداة نعى الناعون مهدينا الذى ... به ملة الاسـلام جـل مصابها

---

١ — نفثات اليراع ، ٩٣
٢ — شعراء السودان ٣١١

ورثاه شاعر آخر هو الشيخ ابراهيم شريف الدولابي(١) بقصيدة من تسعة وثلاثين بيتا ، جاء فيها :

كيف التئام فؤادى المفطور ورقوء دمع محاجرى المفجور(٢)
ام كيف ينفك الضنا عن مهجة احشاؤها تصلى على تنور

ونظم الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتى الكردفاني(٣) ثلاثين بيتا فى وصف قبة المهدى وضمن تلك الابيات شيئا من الرثاء ، قال :

سمت قبة المهدى مجدا وسؤددا ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا(٤)
وصيغ من الاكليل تاج لهامها وسال بها نهر المجرة مزبدا

ثم قال يتحسر على وفاة المهدى : رحمه

به الله أحيانا واظهر دينه وأولاه افضالاً ونصراً مؤيدا(٥)

لاحظنا فى ما تقدم ان الشعراء ابتهجوا لظهور المهدى وانهم كذلك امتدحوه واشادوا بجهاد انصاره فى سبيل الدعوة ووصفوا معاركهم وحثوهم على القتال والجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الدين ، ولاحظنا ايضا ان المدح شمل بعض كبار اصحاب المهدى ، ولم يكن وقفا عليه ، ولاحظنا اخيرا ان بعضهم رثاه ، كما وصف بعض منهم قبته . ان كل هذا فى رأينا مظهر من مظاهر التأييد ، والتأييد يدل على قبول الفكرة والرضا بنتائجها ، وهذا كله فيما نرى يكشف عن شعور وطنى قوى اثارته فى هؤلاء الشعراء شخصية المهدى ودعوته .

فكرة الشعراء عن الدولة :

تبين لنا مما ذكر فى فصل سابق ان المهدى جاء بفكرة محددة وهى وضع السودانيين فى كيان موحد ، وقد اتخذ لتحقيق هذه الفكرة سبلا مختلفة منها :

---

١ – عالم سوداني تلقى تعليمه فى الأزهر ، عمل قاضيا شرعيا فى العهد التركى – شعراء السودان ٢٧

٢ – المصدر نفسه ٢٧ – ٢٨

٣ – عالم سوداني جليل شهير ، تلقى تعليمه بالأزهر ، وتوفى بمنفى المهدية فى مدينة منقلة عام ١٣١٦ هـ

٤ – شعراء السودان ٤١

٥ – المصدر نفسه ٤٢

(١) ابطاله العمل بالمذاهب الفقهية الاربعة المعروفة التى يتبعها المسلمون منذ مئات السنين فى جميع بقاع المعمورة .

(٢) ابتداعة مذهبا خاصا وفرضه هذا المذهب على اتباعه .

(٣) « رفضه التغلغل الخارجى ومناهضته لكل ما يأتي من الخارج حتى الاسلحة النارية »[١] .

كما عرف عنه انه « تشبه بالنبى فى جميع أعماله »[٢]، وانه اتخذ لادارة البلاد حكومة قوامها ثلاثة أقسام – الجند وقد جعلهم تحت إمرة خلفائه لكل واحد منهم قسم ، ويضم كل قسم مجموعة من القبائل من بينها قبيلة الخليفة القائد أو الامير ، ثم بيت المال وندب للاشراف عليـــه رجلا « من اصدقائه »[٣] ثم القضاء واسنده إلى رجل من علماء الازهر ، وجعل له اعوانا يؤدون بعض الاعمال الصغرى .

لقد أراد المهدى خلق كيان موحد للسودانيين ولذلك ربط الناس برباط اقتبسه من الدين ، وبآخر من القبلية وبثالث من « السلطة التنفيذية » التى كونها ، وبهذا تكونت فى السودان وللسودانيين « دولة » كونها المهدى بفكره ووسائله وعمله ، فهل ظهرت تلك الدولة فى شعر اولئك الشعراء الذين ايدوا المهدية ومدحوا المهدى واعوانه وانصاره ووصفوا معاركهم ؟ وهل كان لأفكار المهدى صدى أو أثر فى شعر اى منهم ؟ وهل دعا واحد من اولئك الشعراء تصريحا أو تلميحا إلى قيام دولة أو نظام معين ؟ اننا سنحاول الاجابة على هذه الاسئلة بالنظر فى شعرهم ، ونقول – لقد تصفحنا شعر شعراء المهدية فى مصادره التى روته لنا رواية يوثق بها ويعول عليها فى البحث العلمى ، والتقصى التاريخى ، وتتبعنا أولئك الشعراء وما نظموا من شعر بيتا بيتا فلم نجد فيه بيتا أو تعبيرا يحمل فكرة واضحة محددة عن الدولة ، أو رأيا صريحا مفصلا فى الحكم ونظامة ، الا أن بعضهم اخذ ينعى على الولاة جهلهم ، ويطالب بتولية العلماء ، ذلك هو الشيخ الحسين الزهراء فى ابياته :

---

١ – تقرير لجنة تنظيم الخدمة ٣٠

٢ – تاريخ السودان – نعوم شقير (بيروت) ٦٦٧

٣ – تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ٦٦٩

جهل الولاة أمات دين محمــد واهيله ماتوا وهم أحيــاء(1)
وتراكمت ظلماتهـم بين الورى لما اطمـأن لهم ودام ولاء

ينقد الشيخ الحسين فى ابياته هذى سياسة المهدى التى يتبعها فى تعيين الولاة — اولئك الرجال الذين يحكمون نيابة عنه وينفذون سياسته ، ويتخذ لهذا النقد وسيلة مهذبة ، فنحن نرى انه لا يوجه نقده أو لومه للمهدى توجيها مباشرا وانما ينتقص اولئك الولاة اذ يرميهم بالجهل واللؤم ويقرر ان ما نتج عن لؤمهم وجهلهم هو « إماتة الدين » ، ونتجت ايضا اشياء أخرى منها « موت اهل الدين وهم احياء » ومنها « تراكم الظلمات بين الورى » ، ولا مخرج من ذلك الا بتولية العلماء ، الا تراه يقول :

فتناولته من اللئام واعطه صنف الكرام فاهله العلماء

وإلى من يوجه الشاعر هذا الخطاب ؟ انه يوجهه إلى محمد أحمد المهدى « ابن النبى محمد ووليه وأمينه» كما يسميه أو يصفه فى الابيات ذاتها، انه يطالبه بوضع زمام السلطة فى ايدى العلماء لانهم اعرف بالدين من سواهم ، والشاعر يريد للدين ان يحيا ، ويريد للمسلمين حكما صالحا يقوم على العلم الصحيح والخلق الكريم والعلماء هل ذلك . ثم ان المهدى نفسه جاء ليعيد للدين مجده وليزيل كل ما علق به من شوائب وهو الو لى الذى ائتمنه النبى على ملته وامته ، كما اوضح الشاعر ، وهو لهذا « حاكم دينى » ، والشاعر يطلب اليه تولية العلماء — وهم بالطبع اولئك الرجال الذين تفقهوا فى الدين وعرفوا ما ينفع المسلمين ، وما يصلح لمجتمعهم ، واذا كان الامر كذلك فما هو نوع الحكم الذى اراده الشاعر لبلاده، وما هى الأسس التى ارتأى الشاعر قيام « الدولة السودانية » الجديدة عليها ؟ يبدو لنا ان الشاعر اراد ان يقوم فى بلاده حكم دينى ، وبعبارة أخرى ان يؤسس المهدى دولة اسلامية

أما الشيخ محمد عمر البنا فلم يطالب بتولية العلماء لكنه استحث المهدى على غزو الخرطوم فى قصيدته التائية قال :

فانهض إلى الخرطوم ان بسوحه أهل الغواية والمفاسد باتوا(2)

---

1 — شعراء السودان ٩ ، ١٠
2 — شعراء السودان ٢٧٧

بطروا وراءوا ثم صدوا ، معشر — فى الله لم تعـــرف لهم رغبـــات
وتكبروا وعتوا عتوا فائقـــا — والله اكبر والسيوف هـــــداة
نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم — عن دينهم شـــغلتهم الشهـــوات
الله اكبر(١) ان يدوم صنيعهـــم — هـــذا وانتم للأنـــام رعـــاة

انه يستحثه على الغزو لاسباب حددها ، وهى :

(١) وجود أهل الغواية والمفاسد فى الخرطوم .

(٢) بطرهم (اهل الغواية والمفاسد) وعزوفهم عن سبيل الله .

(٣) تكبرهم وعتوهم عتوا فائقا .

(٤) نبذهم الشريعة .

(٥) كون المهدى وصحبه « رعاة للانام »

اننا بلا شك نستطيع ان نلمح سخط الشاعر على ما آل اليه الحال فى الخرطوم ، ونستطيع ان نلمح كذلك ان الشاعر أراد قيام نظام معين تزول به تلك المفاسد والغواية وتمحى بقيامه أو تطبيقه جميع مظاهر الخروج عن السبيل المؤدية إلى طاعة الله ورضوانه ويعود الشرع إلى مكانه فى المجتمع على ايدى « رعاة الانام » فما هو ذاك النظام الذى يريده رجل ذو ثقافة دينية وعلم بالشرع وغيره على الدين كالشيخ محمد عمر البنا . انه لن يكون الا نظاما يحكم بالشريعة المحمدية ويقيم فى السودان « دولة اسلامية » !

فتأمل بعد ذلك أبياتا من شعر شاعر آخر هو الشيخ ابراهيم شريف الدولابي قال فى مرثيته التى نظمها فى المهدى :

وأقامـــه المختار عنه خليفـــة — خلعت عليه ملابسا من نـــور(٢)
ورقى إلى كرسيه متســـــنما — فى مشهد بالاوليا معمـــــور
فدعا إلى الدين الحنيف مجاهـــدا — بالسيف والانذار والتبشـــير

قرر هذا الشاعر ههنا ان المهدى خليفة من خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن

---

١ — لعل المراد « لن »

٢ — حبذا لو جاءت « ملابس » بالرفع

يخلف الرسول فى امور المسلمين لابد ان يسير سيرته فيهم ، وقرر الشاعر ايضا ان المهدى جاهد فى سبيل الدين بالسيف ، كما انه انذر المنكرين بحرب منه فى الدنيا ، وعذاب من الله فى الآخرة ، وبشر المؤمنين به بجنات الفردوس نزلا ، ويتوقع الشاعر فى خليفة المهدى أن يسير فيهم سير المهدى الراحل ، وذلك بقوله فى نفس القصيدة التى رثي بها المهدى :

أبقـــاه مهدى الاله وراءه خلفا يسير بسيره المشكور(١)
ويسوق للنهج القويم بحـــاله ومقـــاله وحســـامه المشهور

اننا نحس فى ماقرره الشاعر عن المهدى اشادة بشخصه وتمجيدا لما فعله وهذا يدل على رضا عن حكومة المهدى ، ونلاحظ ان هذا الرضا انتقل إلى خليفته اذ اعلن الشاعر انه سيسير « بسير المهدى المشكور » والمهدى كما أعلن الشاعر « خليفة الرسول » ، ومعنى هذا كما قدمنا انه انتهج نهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى حكومة البلاد وادارة شئون الدولة ، واذا توقع الشاعر ان يسير خليفة المهدى فى حكومته كما سار المهدى فهو قد توقع ان يسير الخليفة سير الرسول أيضا وبهذا يمكننا القول بأن الشاعر ابراهيم شريف الدولابي كان يفضل ان يحكم السودان حكما دينيا ، وان تقوم فيه « دولة اسلامية » .

وفى شعر الشيخ الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني نجد الابيات الآتية :

به الله احيانا واظهر دينـــــه واولاه افضالا ونصرا مؤيدا(٢)
وقد احرز الدين الحنيفى بالظبى ودمر جبارا طـــغى وتمردا
وجاهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشردا

واذا انعمنا النظر فى هذه الابيات نجد ان الشيخ ان الشيخ الشاعر قد قرر :

١) ان الله احيى أهل السودان بالمهدى ، ولعلهم كانوا فى نظر الشاعر امواتا قبل ظهور المهدى ، وقد جاء المهدى ليعيد للدين مجده ، ولما انتصر واقام حكومته سر الاهلون وكأنما عادت اليهم الحياة باعلاء كلمة الدين .

٢) ان الله اظهر دينه بالمهدى ، وانه سبحانه وتعالى خلع على المهدى من

---

١ – شعراء السودان ٢٩

٢ – شعراء السودان ٤٢

فضله وتأييده فانتصر وحمى الدين بالسلاح .

٣) ان المهدى جاهد فى سبيل شريعة النبى صلى الله عليه وسلم وقاتل الخارجين عليها وشتت شمل اولئك الذين اعتدوا على حرمتها وشردهم .

اننا نحس من هذا الذى قرره الشاعر ان الناس اطمأنوا وزالت مخاوفهم ويدل على ذلك قول الشاعر « به الله احيانا » ، والاحياء قد يعنى الانتعاش الروحى الذى سرى فيهم بانتصار رجل منهم يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ، ويعنى ايضا الاستقرار المادى الذى يتم برفع الظلم عن الناس وتوقيرهم ، ونحس ايضا ابتهاج الشاعر بالنظام الجديد الذى يرأسه المهدى ، ذلك النظام الذى اعقب حكم الاتراك ـ حكم البطش والعسف . نحس الابتهاج فى بعض عباراته — كقوله : « وأولاه افضالا ونصرا مؤيدا » ونحسه ايضا فى قوله : « ودمر جبارا طغى وتمردا» وغير هاتين من العبارات التى تبين قوة المهدى ومعظم عمله بجانب ضعف خصومه وسؤ عملهم . ويمكننا حينئذ ان نقول ان الشيخ الشاعر كغيره من شعراء تلك الفترة ، كان راضيا عن السلطة الجديدة ، وهى سلطة دينية ، ومعنى هذا انه ، كغيره من الشعراء الذين عرضنا بعض شعرهم فيما سبق ، كان يرى قيام « حكم دينى » أو « دولة اسلامية » فى السودان .

ان هؤلاء الشعراء الاربعة الذين عرضنا بعض شعرهم ، لم يذكروا كما قلنا من قبل رأيا صريحا واضحا محددا فى نظام الحكم الا أن رضاهم عن أعمال المهدى الظاهر فى شعرهم ، وتمجيدهم تلك الاعمال ثم اشادتهم بما قدم المهدى للدين ، كل ذلك يوحى ويشعر برأيهم فى الحكم ، ولذلك فاننا قد استنتجنا انهم كانوا يرون قيام دولة اسلامية فى هذا البلد ، الا انهم لم يقولوا شيئا فى ايام المهدية الاولى عن امتداد ذاك النظام أو تلك الدولة إلى ما بعد حدود السودان .

المهدية ومكانها من الاطار العربى والاسلامى العام :

اجتاحت الثورة المهدية بجيوشها البلاد من اقصاها إلى أقصاها ، واجلت عنها الجيوش المصرية التركية ، كما اجتاحت بدعوتها عقول الاهلين وقلوبهم لانها اعلنت ضرورة طرد المصريين الذين ازدروا باحكام الشريعة ، وجروا فى حكومتهم على خلاف ما تقضى هذه به ، « كما اعتبرت » طرد المصريين الوسيلة التى يمكن

بها وحدها تقرير العدالة ونشر السلام مرة أخرى ، واعلنت وجوب الامتناع عن
عن دفع اية ضريبة غير العشور او الزكاة فقط التى نص عليها الكتاب الكريم ثم
دعت إلى شيوع الملكية . فلا يستأثر مؤمن بمال أو عقار دون اخيه المؤمن ، بل
بل يجرى توزيع الثروة على الجميع بالتساوى . وطالبت الا يسرى فى السودان
غير قانون الشرع الاسلامى وحده »(١) . وبذلك كسبت الثورة المهدية انصارا
متفانين ومؤيدين مخلصين ، كسبتهم لانها منحتهم ما كانوا يريدون ، ولان قائدها
اعلن(٢) على الملأ انه المهدى المنتظر والمكلف من قبل المولى بتأسيس دولة اسلامية
مترامية الاطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة » ولذلك ايضا بايع اهل السودان
المهدى وحملوا السلاح لنصرته وقاتلوا وقتلوا فى سبيل ما اعتقدوه فيه وفى دعوته
كان هذا مالقيته المهدية — الدعوة التى دعاها محمد أحمد بن عبد الله السوداني بين
المسلمين داخل حدود السودان ؟ فكيف كان صداها بين المسلمين خارج حدود
السودان ، وكيف تلقاها الناس فى البلاد العربية والبلاد الاسلامية ؟ .

نعلم مما ذكر من قبل ان محمد أحمد المهدى فكر فى نشر دعوته وبالتالى
فى بسط نفوذه — فى العالم الاسلامى بدليل انه كتب إلى السنوسى فى ليبيا يعلنه
باختياره خليفة من خلفائه ويكلفه غزو مصر ، وكتب كذلك إلى خديو مصر
يعرض عليه الدخول فى دعوة المهدية ، ونعلم كذلك انه كلف احد كبار موظفى
العهد التركى بالدعوة له بين قبائل صعيد مصر « هذا وقد اهتز للمهدى العالم
الاسلامى فى جميع الاقطار ، وهاجر اليه جماعة من مصر والحجاز والهند وبلاد
المغرب قصد زيارته والوقوف على حاله »(٣) وبالاضافة إلى ما قام به المهدى
فى سبيل السيطرة على مصر وليبيا نجد انه فكر فى بلاد أخرى من البلاد العربية
الاسلامية ، فقد اختار رجلا اسمه عبد الله الكحال ، وعينه « عاملا له على بلاد
الشام »(٤) ، كما استجاب لجماعة من « اهل مراكش المستوطنين مصر ، كتبوا اليه
يصرحون له بتصديقهم مهديته ويسألونه تسمية احدهم وهو السيد محمد الغالى اميرا

١ — مصر والسودان — شكرى ٢٦١
٢ — المصدر نفسه ٢٦٢
٣ — تاريخ السودان ، نعوم شقير (بيروت) ٩٥١
٤ — نفس المرجع

على مراكش لنشر دعوته فى بلادهم » وكتب المهدى لهذا الرجل (السيد محمد الغالى) خطابا بتوليته ، كما كتب إلى اولئك الذين طلبوا اليه توليته خطابا قال فيه « وبعد فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدى بن عبدالله إلى احبابه المكرمين السيد ابراهيم السنوسى الحسنى ، ومحمد عبد السلام الحبابي وعبد السلام البناني ومحمد قاسم الحلو وفقهم الله وسددهم والهمهم الصواب وأرشدهم آمين . أيها الاحباب اهدى لكم جزيل السلام الممزوج بالرضا عنكم وجليل الاكرام واعرفكم بأن خطابكم المؤرخ ٧ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ قد وصلنى وما احتوى عليه من حسن تسليمكم لامر المهدية ورغبة وصولها اليكم ونشرها بجهاتكم الغربية مع تولية السيد محمد الغالى عبد السلام على فاس وجهاتها إلى آخر ما بخطابكم قد أحطت به علما وجزاكم الله عن دينه وعنا احسن الجزاء وشكر سعيكم ، وأدام هديكم وجعلكم مفتاح كل خير وقد سرنا حسن رشادكم زادكم الله رشادا ومحبة وها نحن قد اجبناكم إلى ما طلبتم وحررنا الاوامر بامـــارة السيد محمد الغالى وها هى واصـــلة اليكم . . . . (١)

ان السلطان عبد الحميد صاحب السلطة الزمنية والروحية فى ذلك الزمن اهتم بامر المهدى واغتم كذلك لدعوته و « شعر بأنه قد اهين فى شخصه كخليفة للمسلمين وذلك نتيجة لتصريحات الامام محمد أحمد علاوة على ان ثورة السودان كانت تهدف ــ بمحاولتها تغييرا للوضع القائم ــ رفع كل سيادة لتركيا على السودان وكما اعلن السلطان أن عرابي كان ثائرا وخارجا على النظام فانه لم يتوان عن ان ينعت محمد أحمد بأنه نبى مزيف وانه متمهد ، وانه شقى دنقله »(٢) ولعله نعته بهذه الصفات فى « المنشور الرسمى الذى كذب فيه دعواه ونشره فى جميع البلاد الاسلامية »(٣) . ويبدو ان السلطان الخليفة كان قلقا لظهور المهدى وسرعة انتشار دعوته داخل السودان وهو جزء من الامبراطورية العثمانية التى تدين له بالولاء وكان ايضا مصمما على سحقها أو حصرها داخل الحدود السودانية لذلك « استفتى علماء الازهر فى شأن محمد أحمد المهدى فافتوا بتكذيبه ، ونشر مجلس النظار

١ ــ تاريخ السودان ، نعوم شقير (بيروت) ٩٢٦ ــ ٩٢٧

٢ ــ الثورة المهدية ، جلال يحيى

٣ ــ تاريخ السودان ، نعوم شقير (بيروت) ٩٥٢

منشورا بذلك »(١).

وفى مصر ثارت ثائرة رجال الحكومة الخديوية ، وبدأوا يعدون العدة ويرسمون الخطط للقضاء على حركة محمد أحمد المهدى لانهم « قد رأوا منذ اول انتصار للمهدى انهم مهددون فى ممتلكاتهم السودانية »(٢) . ومن بين ما اعدوه لاخماد الحركة ارسال اعدادمن الجنود لتعزيز القوات المقاتلة ، وكان ان اختاروا تلك الاعداد من جنود جيش عرابي الذى قضى عليه بالتسريح بعد القضاء على ثورته ، الا ان معظم اولئك الرجال لم يكن « يرغب فى السفر إلى السودان خصوصا وانهم كانوا يتوقعون ان ترسلهم الحكومة إلى تلك الاقاليم كسجناء للتخلص منهم ، كما انهم — كرجال ثورة وطنية — كانوا لا يؤمنون بضرورة فرض سلطة الخديوى على ثوار السودان »(٣) وهذا يبين لنا مدى عطف اولئك الجنود على حركة محمد أحمد المهدى ناهيك بقائدهم نفسه (احمد عرابي) الذى « لم يخف وهو فى منفاه تأييده وميله للمهدى بل اعلن انه كان ينوى تعيينه حاكما عاما على السودان »(٤).

يتضح من كل ما سقنا فى الصفحات السابقات ان دعوة المهدى التى بثها فى السودان الخاضع لخديوى مصر وخليفة الاستانة، تلك الدعوة التى أيدها بحرب طاحنة انتصر فى معاركها واحدة بعد الاخرى حتى اضطرت الحكومة المصرية إلى سحب جنودها ورجالها جميعهم من السودان ، تلك الدعوة هزت العالمين الاسلامى والعربي بمضمونها ، كما جذبت اليها الانظار بمقدرة صاحبها العسكرية وبما شاع عنه من زهد وورع وتقشف ، وقد اعلن للناس انه « المهدى المنتظر »(٥)وانه جاء لازالة الظلم واحلال العدل محله ثم أعلن الجهاد وحمل السلاح وقاتل إلى أن اظهره الله على خصومه .

ان العالم الاسلامى تسود اجزاء كثيرة منه الافكار الشيعية ، ومنها فكرة المهدى المنتظر التى انتشرت فى البيئات المسلمة ووجدت قبولا وراجت بين العاطفين

---

١ — تاريخ السودان ، شقير (بيروت) ٩٥٢

٢ — الثورة المهدية ، جلال يحى ٤١

٣ — المصدر نفسه ٤٦

٤ — المصدر نفسه

٥ — المهدى والمهدوية ، أحمد أمين ٢٧ — ٢٩

على البيت العلوى لأن اساسها اعادة الخلافة إلى احد اعضائه لانها حقهم انتزعه منهم خصومهم ظلما وغدرا ، وكان من نتائج انتشار فكرة « المهدى المنتظر » وتغلغلها فى نفوس وعقول كثيرين من المسلمين قيام ثورات وحركات سياسية كثيرة فى انحاء متفرقة من العالم الاسلامى خصوصا فى العصر العباسى ، وقيام دولة عظيمة كدولة الفاطميين(١) ودولة الموحدين فى الاندلس فليس بغريب والامر كما ذكرنا ان يهتز العالم الاسلامى لظهور « محمد أحمد المهدى » وذيوع امره ، بل ان المألوف والطبيعى ان تسافر اليه الوفود من عامة مسلمى البلاد الاخرى كما حدث بالفعل مدفوعين بحب الاستطلاع والرغبة فى تأييده طمعا فى الثواب الاخروى أو النفع الدنيوى » وطبيعى ايضا ان يتخذ السلطان ما اتخذ ، وان تفعل الحكومة الخديوية ما فعلت لان حركة كهذى — وقد حفل تاريخ البلاد الاسلامية بمثيلاتها — تستند إلى افكار دينية واضحة لابد ان تستشرى وتعرض كيان الدولة إلى خطر جسيم ، ولا سيما وان زعيم هذه الحركة اخذ يكتب لولاة المسلمين فى البلدان المجاورة لبلاده ، يعرض عليهم دعوته ويتهددهم بالغزو .

نجح المهدى وقامت دولته فى السودان ، وبسقوط الخرطوم فى السادس والعشرين من يناير ١٨٨٥ ثبتت دعائمها واطمأن المهدى وانصاره ، وبدأ التفكير فى غزو مصر الا ان الاجل لم يمهله فانتقل إلى رحمة مولاه بعد خمسة اشهر من استيلائه على العاصمة — الخرطوم — وخلفه عبد الله التعايشى خليفته الاول فى رئاسة الدولة الجديدة التى قامت فى عالم لم يرحب بها ، ولم تجد منه التأييد وقد سعت اليه بوسيلتها التى ارتضتها وظنت انها تكفله لها ، تلك الوسيلة هى كتابة رسائل تتضمن شرحا للدعوة ثم مطالبة بالدخول فيها وتختم احيانا بشىء من التهديد . ذهب عدد من تلك الرسائل إلى بعض بلدان العالم الاسلامى كما ذكرنا من قبل ، وكان نصيب مصر رسالتين واحدة للخديوى وقد تحدثنا عنها فيما سبق ، وثانية لاهل مصر(٢) عامة انذرهم فيها بالغزو ودعاهم إلى نصرته .

كتب خليفة المهدى عبد الله التعايشى رسالة إلى خديوى مصر واخرى إلى

---

١ — المصدر نفسه ٣٥ — ٣٩

٢ — تاريخ السودان ، نعوم شقير — بيروت — ٩٢٢

حكومة مصر مطالبا بالدخول فى المهدية ومهددا بالغزو ، وكتب كذلك إلى السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين ، وجاء فى خطابه للسلطان قوله : « فقد حررنا هذا الكتاب انذارا لك من الوقوع فى سخط رب الارباب فامعن فيه نظرك ، وافدنا بما يوافق رأيك ، وليس بعد هذا الانذار إلا الاعذرا والسلام على من اتبع الهدى »(١). ونفذ الخليفة تهديد مصر بالغزو بأن ارسل جيشا بقيادة عبد الرحمن النجومى للاستيلاء على مصر وضمها إلى حكم المهدية الا ان الجيش هزم وقتل قائده .

كان نصيب السنوسى من تلك الرسائل رسالتين ، وقد تعرضنا لاحداها وهى التى استحثه فيها على التوجه إلى مصر غازيا وعرض عليه « كرسى عثمان بن عفان » فى خلافته ، وكان تعليق السنوسى عليها قوله للرسول الذى حملها اليه : « قل لمحمد أحمد اننا كلانا لا نساوى التراب الذى كان يطأه عثمان بن عفان »(٢). ذكرنا فيما تقدم ايضا ان محمد أحمد المهدى اختار رجلا اسمه الحاج عبد الله الكحال ليكون واليا له فى الشام ، وكلفه السفر اليها الا ان الرجل « جاء مصر بطريق وداى وعاد إلى تجارته فيها »(٣). اما عامله على مراكش السيد محمد الغالى ، وقد رشحه لهذا المنصب بعض المراكشيين المقيمين فى مصر فقد كتب له المهدى خطاب الولاية وخطابا آخر إلى أهل البلد وارسلهما « صحبة الحبيبين عبد الخالق السبتى والطيب البناني »(٤) الا ان هذه الكتب لم تصل إلى اصحابها لان الطيب البناني الذى عاد بها لم يبلغ بربر حتى كان المهدى قد مات ، وعلم الخليفة به فارسل فى طلبه واخذ منه الكتب وحبسه »(٥) .

وواصل الخليفة عبد الله كتابة الرسائل إلى جمهرة المسلمين فى البلاد الاسلامية العربية إلى بعض الولاة والوجهاء داعيا ومبشرا ، فكتب إلى — قبائل نجد والحجاز وعين حذيفة بن سعد عاملا له على الحجاز(٦) ، وكتب إلى قريش وإلى أهل المدينة

---

١ — نفس المرجع ١٠٢١ — ١٠٢٢

٢ — تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ٧٠٨

٣ — المصدر نفسه ٩٢٦

٤ — المصدر نفسه ٩٢٧

٥ — المصدر نفسه ٩٢٩

٦ — المصدر نفسه ١٠٢٢

وعين عبد الله بن فيصل بن مسعود عاملا له على نجد(١) ، واعاد الكتابة إلى السنوسى فى ليبيا ، فلم يتحرك السنوسى ، كذلك اتجه برسائله إلى البلاد الأفريقية الاسلامية فكتب إلى سلطان وداى محمد(٢) يوسف ابن السلطان محمد شريف ، وقد دارت بينه وبين محمد أحمد المهدى قبل مماته كتب كثيرة ، وكتب الخليفة إلى السلطان « حياتو بن سعيد(٣) سلطان سوكوتو أكثر من رسالة داعيا إلى الدخول فى الدعوة مذكرا بما دار بينه وبين المهدى فى حياته .

كتب المهدى رسائل إلى عدد من ولاة المسلمين قبل وفاته ، وتبعه خليفته فحرر عددا منها إلى حكام البلاد الاسلامية عربية وغير عربية ، وكتب كذلك إلى بعض الاهلين فى تلك البلاد ، الا ان جميع تلك الرسائل لم يأت بالثمرة الموجوة منها ، وذلك لان بعضها لم يصل كرسالتى مراكش ، أو لان ما وصل منها قد اهمل كرسالتى السنوسى ، أو كالرسائل التى بعثت إلى جهات معينة وإلى قبائل ومجموعات فى الحجاز وغيرها كالتى ارسلت إلى سلطان وداى والى سلطان سكوتو ، إلا أن سلطان سكوتو اتصل بالسنوسى مستشيرا لما وردت عليه الرسالة فاجابه ، اتركه وشأنه ماتركك ، فاذا دخل دارك فحاربه فانك منصور عليه بعون الله »(٤) .

ان بعض الذين اغفلوا رسائل المهدى وخليفته فلم يردوا عليها و يستجيبوا لما جاء فيها كانوا قد أرسلوا من قبل وفودا إلى السودان للوقوف على جلية الامر كعامل الحرمين(٥) وعبد الله بن فيصل ، كما ان بعضهم رد معلنا التصديق وارسل الهدايا كسلطان وداى محمد يوسف بن السلطان محمد شريف ، والسلطان حياتو بن سعيد بن محمد ، سلطان سوكوتو الا اننا لم نجـد فيما بين ايدينا من مراجع ما يدل على ان احد السلطانين زاد على ما فعل .

يمكننا ان نقول مما تقدم ان العالم العربي والاسلامى انقسم قسمين فى موقفه من المهدية ــ قسم عاداها عداء صريحا منذ الوهلة الاولى وعمل على خنقها فى

---

١ ــ المصدر نفسه ١٠٢٣ ــ ١٠٢٤

٢ ــ و ٣ المصدر السابة ١٠٢٧ ــ ١٠٢٩

٤ ــ المصدر السابق ١٠٢٧

٥ ــ تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ١٠٢٣

مهدها الا انه عجز ، وفشلت خططه فشلا ذريعا ، ويشمل هذا القسم تركيا ومصر ، واسباب العداء واضحة وقد تعرضنا لها من قبل ، ولا شك ان العداء قد تمكن بعد محاولة الخليفة عبد الله غزو مصر فى سنة ١٨٨٩ . وقسم استخف بها فلم يكترث لشيء مما جاء فى رسائلها ويشمل الحجاز والمغرب وبعض البلدان الاسلامية فى القارة الافريقية ، ونخلص من كل هذا إلى ان المهدية لم تجد فى العالم العربي والاسلامى المكان الذى ارادته اليه وسعت إليه ، فقد ارادت قبول دعوتها والدخول فيها والجهاد من أجلها ، الا انها لقيت عداء واستخفافا واهمالا .

الشعراء والمعارك التى حدثت فى هذه الفترة :

خاض المهدى بجيوشه معارك عديدة ضد جيوش الحكومة المصرية التركية ، وكان بعض تلك المعارك حاسما كمعركة الجزيرة ابا التى كشفت للحكومة مدى تمسك المهدى بفكرته ، ومدى اخلاص اتباعه له ، وكان بعضها حاسما وضاربا كمعركة شيكان التى انهت مقاومة الحكومة وسالت فيها دماء كثيرة ، وكان بعضها حاسما وضاربا وطويلا كمعركة الخرطوم اذ ثبتت بعدها اركان المهدية ، وقتل فيها الحاكم العام غردون باشا البريطاني الذى كان يمثل سلطة الخديوى فى السودان كما قتل فيها كثيرون من الاهلين ، وسبق كل هذا حصار طويل عاني فيه سكانها ما عانوا من جوع وخوف ، وعاني فيه جنود المهدى ما عانوا من متاعب نفسية وجسمية ، وقد سبق كل معركة من هذه المعارك احداث معينة مهدت لها أو أدت اليها ، فقبل ان ينشب القتال من معركة ابا جاء رسل الحكومة على ظهر باخرة خاصة إلى الجزيرة ليتحدثوا إلى المهدى فى امر خروجه على السلطة ، وتمت مقابلة ودار حديث بين الرسل والمهدى عاد بعده الوفد المرسل وجاءت فرقة من الجيش ثم دار القتال فى ليل بهيم وفوق ارض ممطورة كساها وحل كثيف وكان قتالا فريدا فى نوعه ونتيجته اذ واجه فيه السلاح الابيض الاسلحة النارية وتغلب عليها بعد هذا الغلب شاعت الفرحة فى الانصار وقويت عزائمهم وذاع خبر النصر واخذ الناس يفدون إلى ابا مبايعين متأهبين للجهاد . كذلك سبق معركة شيكان احداث لا تقل عما سبق معركة ابا وان اختلفت عنها ، فقد بث المهدى عيونه حتى علم بنبأ تحرك جيش هكس ، ثم رسم خططه وارسل سراياه فى جهات عدة ، بعضها

لاحتلال مواقع المياه قبل ان يحتلها جيش هكس ، وبعضها لمناوشته فى الطريق وهكذا إلى أن حصره فى « واد مفتوح شائك وعلى كل من جانبيه غابة كثيفة »[1] ثم انقض عليه ودارت المعركة بالتحام الجيشين فى قتال مرير قصير انتهى بابادة جيش هكس كله. وبهذا النصر الباهر كسب المهدى مكاسب مادية وادبية افاد منها فوائد جمة فى نضاله العسكرى والسياسى . كذلك حفلت معركة الخرطوم بأحداث مثيره سبقتها أثناء الحصار الطويل ، وأحداث أخرى وقعت والقتال مستمر كالهجوم على القصر – مقر الحاكم العام – ومصرع الحاكم العام البريطاني غردون باشا ثم خاتم الاحداث الحدث الكبير وهو تغلب جيش المهدى واستيلاؤه على مدينة الخرطوم .

ان كل هذا الذى ذكرناه عن المعارك الثلاث يكوّن – فى رأينا – مجالا خصيبا لخيال الشعراء ، ومادة غزيرة حية للموهبة الشعرية ، فهل استغل شعراء المهدية ذلك المجال الخصيب ، وهل صاغوا شيئا من تلك المادة الغزيرة الحية ؟ لقد نظم شعراء المهدية شعرا فى معارك خاضها المهدى بجيوشه ، ولنتناول الان ذلك القدر الذى خصوا به تلك المعارك لنجيب على السؤال الذى قدمناه ، فالشيخ الحسين الزهراء تعرض إلى بعض معارك المهدى فى اثنتين من قصائده ولم يسم معركة بعينها من معاركه الشهيرة ، قال فى همزيته المعروفة :

والله دمر من طغى وأبـــاده	حـتى تولى قتله الضعفـــاء[2]
ولقـــد تبــدد جسمه برماحهم	فكأنه مـــن خلقــه اشـــلاء
صالوا به وذويه بين حصونهم	فى خندق غرت به الاذواء
شادوه بالحصن القوى وأيدوا	بالنار من فى النار فهى جناء
فى كل مزغال شرارة بنــدق	رام طوى من فى يديه خـــواء
وكروبهم كالرعد بين صواعق	للمسلمين وكل ذاك عــــداء
الله اكبر ان يرد وجـــوهم	عن شـأنه او تمنع البأســاء
ولجوه عمـــدا باختيار صادق	ولهم يد فى فتكــة خرقــاء
وفت بذمـــة احمد ومحمـــد	مهديهم وجنـوده شهـــــدا

١ – تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ٧٢٣

٢ – شعراء السودان ١١ ، لعله يشير فى الأبيات الثلاثة الاولى إلى واقعة معينة .

فى جسد كل صريع منهم أثر ضربة سيف ، أو طعنة رمح ، أو اصابه رصاصة حتى غصت القبور بجثث الموتي . وفى المجموعة الثانية وهى سبعة أبيات من قصيدة « رفعها إلى المهدى » يشيد الشاعر بالمقاتلين وشجاعتهم وبذلهم النفوس فى سبيل ما حملوا السلاح من أجله ، ثم يتحدث عن اسلحتهم البيضاء — بيض رقاق وقنا سمر يحملها اولئك الجنود الذين يخطون يوم الوغى و كأنهم الآساد ليشنوا على عدوهم حربا تزلزل الاطواد الشامخة ، وهم لا يحاربون وحدهم انما تحارب معهم ملائكة السماء وجنود من الجن لا حصر لهم . انه يمتدح شجاعة الجنود المقاتلين ومقدرتهم الفائقة فى الحرب ، فى يوم الوغى لا فى معركة خاصة ، انما هم كذلك فى كل معركة يخوضونها.

تعرض الشيخ محمد عمر البنا فى بعض قصائده لحروب المهدى فقال فى تائيته المشهورة :

الحرب صبر واللقاء ثبات	والموت فى شأن الإله حياه(1)

وقال فيها

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم	شم الجبال وللضعيف حماة(2)
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم	شهدت به يوم اللقا الغارات
وخلوفهم صدأ الدروع لحزمهم	قتل الاعادى عندهم عادات
فى السلم تلقاهم ركوعا سجدا	اثر السجود عليهم وسمات
وتخالهم يوم الجلاد ضراغما	اسدا واسل رماحهم غايات
ركبوا الجياد وغادروا شلو العدى	رزق النسور ولحمهم اقوات
والخيل ترقص بالكماة كأنها	تختال فى ميدانها فتيات
فأثرن نقع الموت فى عرصاتها	وأغرن صبحا اذ علت اصوات
وذباب اسياف المنية فوقها	رعفت دما وجلاؤها الهامات
والارض سالت بالدماء وما بها	غير الجماجم والشعور نبات
ظنوا جبالهم المنيعة تقية	وتوهموا ان الصعود نجاة *
....	....

1 — و 2 شعراء السودان 275 — 276

* لعله يشير الى معركة معينة

يا أيها الانصار ان صنيعكم ... شكر الاله له وتلك هبات
اعليتم دين الاله وما بكم ... الا الثبات تزينه الوثبات
وشرحتم صدر الرسول محمد ... بالفتح وانكشفت بكم ظلمات
ورهبتم العلج الكفور بسيفكم ... والدين تصلح شأنه الرهبات
وسقيتم الاعداء كأس منية ... عبراتها ما مثلها عبرات

وقال فى قصيدة أخرى :

فسيوفهم مسلولة ورماحهم ... مسنونة وعديدهم مرهوب(1)
ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا ... أو غولبوا فعدوهم مغلوب
واميرهم عثمان اهلك ملة ... عدم النصير صريخها المكروب
ان صال فالفرسان تحجم دونه ... فرق الهلاك وللسنان لعوب
أوجال فى الميدان تحسب انه ... اسد تفرس والرجال تثوب
أو جرد السيف المهند مؤمنا ... لاولى القساوة فالرؤوس تجيب

ان الشيخ البنا خص معارك المهدى بستة عشر بيتا فى تائيته ، وفى هذا القدر اليسير بدأ بمدح الجنود فاشاد بقوتهم وصمودهم فى الميدان أثناء القتال ، واثنى على بأسهم الذى تشهد به « الغارات يوم اللقاء » ثم وصفهم بالحزم وباعتياد قتل الاعادى وبالتعبد والاكثار من الصلاة فى وقت السلم ، وعندما يدخل هؤلاء الجنود ساحة المعركة ماذا يفعلون ، وما الذى يحدث ، ونحن نعلم ان الجنود عصب المعركة ولا معركة بلا جنود . انهم يمتطون صهوات الجياد ، وتتقدم بهم جيادهم ورماحهم مشرعة ، وينهالون على عدوهم فيردون جنوده قتلى وتنتشر جثثهم كثيرة ، وتسيل دماؤهم غزيرة . لتكون فيما بعد طعاما شهيا للطيور الكاسرة ، وتذهب الخيل وتجيء وترتفع السيوف وتنزل ملطخة بالدماء ، والغبار يعلو ، والرؤس تتناثر تتناثر فى الارض .

هذا ماكان يفعله جنود المهدى فى المعارك كما حدثنا الشاعر البنا فى تلك
[illegible] اقر الشاعر – اعلوا دين الاله [illegible] صدر [illegible]

واخافوا العلج الكفور ، وسقوا اعداءهم - اعداء الله - كأس المنية .

اما فى البائيه التى بدأها بقوله :

ما بال طرفى للدموع سكوب   شوقا وقلبى للملاح طروب[1]

فقد تناول المعارك بابيات ستة فقط ، وقد اوردناها من قبل ، وفيها يمتدح الجنود ويخص « اميرهم عثمان » ويتبع ذلك بوصف المعركة التى يخوضها ذاك الامير أو الميدان الذى يحارب فيه ، واذا دخل الميدان « تحجم الفرسان » خوفا من الموت لانه اعتاد ان يلاعب اسنته فيغمدها فى الاجساد ، ويجرد سيوفه فتتساقط الرؤس فهو وجنوده مظفرون فى معاركهم بشجاعتهم وقوتهم وأسلحتهم الفتاكة ، فالسيوف المسلولة والرماح المسنونة فى ايديهم أثناء المعركة وهم اسد تكفل النصر ، وتحقق لهم الغلبة والتفوق ، فمن يلاقيهم فى معركة ميت لا محالة ، ومن ينوى لقاءهم يحجم خوفا .

ان الشاعر البنا لم يسم معركة معينة لا فى ابيات التائية ، ولا فى ابيات البائية الستة بل وصف المعارك من حيث هى معارك خاضها جنود شجعان مستبسلون كثيرون ، يحملون اسلحة كثيرة فتاكة ويحسنون استعمالها ، وهم فوق هذا وذاك اتقياء يؤمنون بالله وبالغرض الذى يقاتلون من اجله ولذلك انتصروا وقتلوا اعداءهم تقتيلا ..

ثمة شاعر ثالث تعرض لمعارك المهدى فى شعره ذلكم هو محمد الطاهر المجذوب حيث قال :

هندوب تعرف صبرنا	كيف ارتكبنا للمصاعب[2]
وهشيم تشهد عزمنا	كيف ادرعنا للمصائب
يا طالما صدنا بها	صيد الغضنفر للثعالب
جيشا يرن سلاحه	كالرعد اذ ما المزن صائب
وسواكن تدرى بنا	انا لدى الهيجا نضارب

نلاحظ ان الشاعر سمى ثلاثة أماكن – هندوب وهشيم وسواكن(١) – واتخذ كل واحد منها شاهدا على احداث معينة – ففى هندوب لاقوا مصاعب بل تعمدوا لقاءها وصبروا عليه ، وفى هشيم عزموا ولبسوا دروعهم استعدادا لملاقاة ما كانوا يتوقعون من مصائب ، وكانوا جيشا كثيفا قضى على الاعداء وجندل ابطالهم . وفى سواكن خاضوا الهيجاء وضاربوا واصابت سيوفهم اعداءهم فى المقاتل وانقضت عليهم الضربات انقضاض الصواعق ، اما هم فكانوا يتحركون فى ارجاء المكان كالليوث الظافرة ، وكلما برزت لهم مجموعة من عساكر العدو وكتائبه انقضوا عليها ورموها « رمى الثواقب » واعملوا فيها سيوفهم . من كل ذلك ذاع صيتهم ووصلت أنباء معاركهم مصر وكتبت عنها احدى الصحف .

ان الشاعر فى ابياته تلك يصف ما دار فى تلك البقاع من عراك فى شيء من التفصيل فهو يبين نوع الضرب ، ويحدد نوع السلاح وصوته وحركته ، ولا يغفل حركة الجنود وحركة الخيول ، انه يفعل كل ذلك فى فخر واعتداد نلمسهما فى الابيات الثلاثة الاولى ، وتلمحها ايضا فى البيت السابع والثامن ، وانا لنحس فخر الشاعر واعتداده أيضا فى اربعة أبيات أخرى من هذه القصيدة هى :

حتى اتت اخبارنا ... من مصر تكتبها الجوائب
وأقر ويك بفضلنا ... الاعداء فى كل المكاتب
وتحققوا ألا نبا ... لى بالمشقة والمتاعب
نحيى لدين الله بل ... فى شأنه نلقى المعاطب

نعود بعد هذا إلى ما نظم هؤلاء الشعراء الثلاثة – الحسين بن الزهراء ومحمد عمر البنا ومحمد الطاهر المجذوب – فى معارك المهدى فنلاحظ انه لا يتناسب من حيث الكثرة مع المعارك العديدة الهامة التى خاضها المهدى وانتصر فيها ، فكله لا يزيد عن ثمانية واربعين بيتا ، وقد جاءت ابيات كل من الشاعرين الاولين فى أكثر من قصيدة أما الثالث فجاء بها فى قصيدة واحدة، كما ان الشاعرين الاولين لم يخصا

---

١ – هندوب مدينة فى شرق السودان كانت آنذاك مقر عثمان دقنة ، هشيم ، مكان غرب هندوب كانت به حرب هائلة بين جند المهدية والجيوش الانجليزية المصرية ، وقد أبلى انصار المهدية فيها بلاء حسنا – نفثات اليراع ٩٣ .

فعلـــوا وما فعلوا ولكن لابهم رام بهم ولهم بذاك سخـــاء
وسموا خراطيم الشـــقا بجوازم بيض بكت آثارها بيضـــاء

وقال فيها أيضا :

فسل الطلول هناك عن اسيافهـــم ورماحهم فى الكافرين رواء[1]
وامرر بهم وعلى الديار فحيها ان الديار من الدمـــار هبـــاء
واغش القبـــور بمنحة وهـــدية ان القبور ببعضها شهـــداء[2]
واستجوب الاطـــواد صرعى بينها ماذا الرغام وفى النفوس اباء
وتخط خط النار تعرف خط من مح الهـــدى لما نهاه شـــقاء
والنار ترعى فى الجسوم كأنها عشـــب لعمرى ان ذاك بـــلاء
ما النار شأن النار اعجب ماأرى تجرى بهم وجسومهم سوداء

وقال فى أخرى :

مهج تقعقع فى شتات جسومها فكأنهـــا بنشيدها اعـــواد[3]
وكأنها يوم الوغـــى فى كربها بخطـــوبه تخطـــو بها الآســـاد
وعيـــونها مغضـــوضة بعيوبها والحـــق ابلج والورى اشهـــاد
بين الرقاق البيض والسمر القنا بحـــلومها تتراقص العبـــاد
حرب بمحراب الهدى من بأسه بشتاتها تتزلزل الاطـــــواد
لم لا واملاك السموات العـــلا فى جيش مهدى الورى اجناد
والجن والانس الذين عهـــدتهم ســـوى الذين وماهم اعـــداد

هذا هو ما وصلنا من شعر الشيخ الحسين فى وقائع المهدى الحربية ، ابيات لاتبلغ الثلاثين عدا فى قصيدتين مختلفتين ، ففى المجموعة الاولى وابياتها ثمانية عشر لا يسمى الشاعر معركة بعينها ، انما يصف قتالا ابلى فيه جنود المهدى بلاء حسنا لانهم صالوا واقتحموا وحطموا الدور ، واعملوا سلاحهم فى عـــدوهم ، وقذفوا برصاص بنادقهم فلم تطش منهواحدة حتى تساقط جند الاعداءقتلى والنار مشتعلة

---

١ – المصدر السابق ١٢
٢ – شعراء السودان ١٢
٣ – المصدر نفسه ١٣ – ١٤

بوصفهما معارك أو معركة معينة بل ارسلاه مسبوقا أو متبوعا بالثناء على الانصار المقاتلين ثناء يثير الحماس ويوضح دور الانصار فى الجهاد من اجل المهدية . غير ان محمد الطاهر المجذوب سمى ثلاث مواقع - هندوب وخصها ببيت واحد هو مطلع قصيدته ، وهشيم وخصها بالأبيات الثلاثة بعد المطلع ، ثم سواكن وخصها بثمانية أبيات . اما الباقى فكله فخر واعتداد . نلاحظ ايضا ان الوصف فى كل الحالات وعند كل شاعر يكاد يكون متشابها بصفة عامة ، فكل منهم ذكر الجيش الكثيف والسلاح الكثير المتنوع واشاد بالشجاعة والاقدام والاستبسال ثم المقدرة على الفتك بجنود العدو .

اننا نعتقد ان هذا الوصف الذى جاء فيما نظمه اولئك الشعراء الثلاثة وصف حسى - وصف لعملية القتل والتقتيل التى تتم فى ارض المعركة ، وليس تسجيلا فنيا لحوادث دامية هامة ذات أثر سياسى ودينى واجتماعى ، بل هو ايضا وصف سطحى ، اننا نقول ذلك لاننا لم نجد فيه اثرا واضحا قويا لشعور عميق داخل الشاعر ، ولو حدث ذلك لوجدنا فى الابيات وصفا لما حل بالانفس من سرور أو ضيق أو أسى ، ولو تم ذلك لوجدنا فى شعر كل منهم صورة لما فى نفسه خاصة ، ولبعض مافى المجتمع من صدى ، ولقالوا كلهم أو لقال واحد منهم كما قال ابو تمام فى تصوير الفرح بانتصار الخليفة المعتصم على جيوش الروم فى وقعة عمورية المشهورة :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... منك المنى حفلا معسولة الحلب[1]
ما ربع مية معمـــورا يطيف به ... غيلان ابهى ربا من ربعها الخرب
ولا الخدود وقد ادمين من خجل ... اشهى إلى ناظر من خدها الترب
سماجة غنيت منا العيـــون بهـــا ... عن كل حسن بدا أو منظر عجب

اننا نقول ذلك لاننا لم نجد فى شعر أى منهم شيئا ولو يسيرا من الصور الحية تكشف عن انفعال قوى وشاعرية ناضجة ، وتدل على سعة الخيال ، تلك الصور التى نجدها فى بعض قصائد أبي الطيب المتنبى التى وصف بها معارك الامير سيف الدولة الحمداني وذلك مثل قوله فى احد قواد الروم الفارين من قتال ذاك الامير العربي .

---

١ - ديوان ابي تمام - عبده عزام - ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٧

مضى بعد ما التف الرماحان ساعة كما يلتقى الهدب فى الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى وشعث النصارى والقرابين والصلبا

أو مثل قوله فى القائد الرومى نفسه لما هرب وترك ابنه :

نجوت باحدى مهجتيك جريحة وخلفت احدى مهجتيك تسيل
أتسلم للخطية ابنك هاربا ويسكن فى الدنيا اليك خليل
بوجهك ما انساكه من مرشة نصيرك منها رنة وعويل

انهم لم يأتوا بشىء من هذا ، أو بشىء قريب منه ، يبدو أنهم كانوا بعيدين من المعارك بعدا حسيا اذ لم ، نجد فى مابين ايدينا من كتب ان أيا منهم صحب المهدى فى جهاده كله من ابا إلى الخرطوم أو فى بعض ذاك الجهاد ، وكانوا بعيدين عنها بعدا معنويا لانهم لم يستطيعوا تسجيلها بالشعر تسجيلا فنيا يوضح اجواءها واحداثها ويبرز ما ظهر فيها من بطولات وأعمال حربية . ويكشف كذلك عما اكتنفها من صراع فكرى ونفسى ، انهم لم يستطيعوا ايضا تصوير ما كان يعقب تلك المعارك فى اوساط الجنود وفى المجتمع السوداني بصفة عامة . لقد كان فى تلك المعارك وما أحاط بها وحدث فيها وأعقبها موضوعات شعرية حية يتسع المجال فيها للنظم والاجادة .

قد قلنا من قبل ان الشعر الذى نظم فى معارك المهدى قليل ، ويمكننا ان نضيف الآن انه ليس بالجودة المرجوة ، كما أن ذاك الشعر سكت عن معارك كثيرة خاضتها جيوش المهدية بعد وفاة المهدى اى فى عهد الخليفة عبد الله ، فقد « كتب عليه ألا يساير الابطال فى حرب الحبشة كما ينبغى وألا يشيد بانتصارهم الذى دوت به الآفاق .. ثم هو لم يواكب الانصار فى مصادمة الجيش الفاتح بل تخلى عنهم وهم فى اشد المعارك اثارة للشاعرية واستدعاء الشعر »(١).

المستوى الأدبي للشعر فى هذه الفترة من ناحيتى الشكل والمضمون :

ان اول ما نلاحظه فى شعر المهدية انه أكثر مما نظم فى العهد التركى ، بل

١ - الشعر السوداني فى المعارك السياسية م . م . عل ٢٨٨

بل انه أكثر مما نظم فى عهد الفونج والعهد التركى ، وعلة هذه الكثرة قيام الثورة المهدية ، فقد اطلقت تلك الثورة الشعر من عقاله ، فانطلق الشعراء ينظمون القصائد الطوال والقصار فى موضوعات مختلفة .

من شعراء المهدية الشيخ الحسين بن الزهراء ، ومن قصائده همزية طويلة رفعها للمهدى وقال فيها :

برح الخفا ما الحق فيه خفاء   وتوالت الآيات والانباء (١)
فالامر جد والقلوب مريضة   والداء داء والدواء داء

وقد رفع هذا الشاعر قصيدة ثانية للمهدى ، قال فيها :

الامر جد والخطوب جداد   وجنود مهدى الورى امجاد
نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر   فبدت لهم من حاجر ازواد

ورفع قصيدة ثالثة للمهدى قال فيها :

أهاجك وصل بالاباطح يلمع   لها فيه ما شاء السراب الململمع
أم البرق فى شطر العقيق ولعلع   فهاجك يا هذا العقيق ولعلع
أم الواقع المبتول بين اجادع   عليه بها طير المنية وقع

ومن شعر الشيخ الحسين هذه القصيدة :

بنفسى فتى بالشمس رأد الضحى أزرى   ونورا يفوق النور من كان والبدرا
تبدى لنا من ذيل آفاق غيبه   إلى ان تراءى فى العلا بيننا جهرا

ومن شعراء المهدية كذلك الشيخ محمد عمر البنا ، ومن شعره التائية الطويلة المشهورة التى قال فيها :

الحرب صبر واللقاء ثبات   والموت فى شأن الاله حياة(٢)
الجبن عار والشجاعة هيبة   للمرء ما اقترنت بها العزمات

وقد مدح الشيخ البنا عثمان دقنة بقوله :

---

١ – شعراء السودان ، ٧ .
٢ – شعراء السودان ٢٧٥

ما بال طرفى للدمــوع سكوب شوقا وقلبى للملاح طروب(١)
ولقد فتنت وما ظفرت وربما فتن المشــوق وفاته المطلــوب
انا فى هوى الغيد الحسان معذب وسواى ينعم باله ويطيـــب

وقد بدأ هذا الشاعر قصيدة مدح بها الامير الزاكي بأبيات الغزل الآتية :

ابدا يؤرقنى عبير شــــذاك ويزيدني قلقا دوام جفــاك(٢)
ويردني من حــالة العقلا إلى حال الخيال تذللى وابــاك

كما بدأ قصيدة اخرى بقوله :

دعــوني اجتنى ثمر الرقـــاد وخلــونى اميل إلى الوساد(٣)
الا ياحــادى عيسهم رويـدا سلمت من الملمات العـــواد

كان من شعراء المهدية الشيخ ابراهيم شريف الدولابي ، وقد رثي المهدى بالقصيدة الآتية :

كيف التئام فؤادى المفطور ورقوء دمع محاجرى المفجور(٤)
ام كيف ينفك الضنا عن مهجة احشاؤها تصــلى على تنـور

ومنهم أيضا الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتى الذى وصف قبة المهدى بقوله :

سمت قبة المهدى مجدا وسـؤددا ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا(٥)
وصيغ من الاكليل تاج لهــا مها وســال بها نهــر المجرة مزبدا

أما الشيخ عمر الازهرى(٦) فقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم بالقصيدة التى جاء فيها :ـ

---

١ – شعراء السودان ٢٧٨
٢ – شعراء السودان ٢٨١
٣ – شعراء السودان ٢٨١
٤ – نفس المصدر ٢٧
٥ – شعراء السودان ٤١
٦ – شاعر وعالم سوداني ولد ١٢٧٠ ﻫ درس القرآن ومبادىء الفقه واللغة العربية على شيوخ سودانيين ثم سافر إلى الأزهر وانقطع للدراسة فيه واشتغل بالتدريس بعد عودته . توفى ١٣٣٣ ﻫ . شعراء السودان ٢٤٩

تألق البرق من نجـــد فاشجـــاني   قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني(١)

والضحك منه التوى فى البرق تعرفه العشاق لم يختلف فى ذاك اثنـــان

ومن مدائحه فى النبى صلى الله عليه وسلم قوله :

باد هـــواه وزائد خفقـــانه   صب تفرق بالنوى اخدانه(٢)

فجرت بوادر مقلتيـــه لما جرى   حمرا وحن إلى الوصال جنابه

ولهذا الشيخ الشاعر قصيدة نشرتها مجلة « الجوائب » المصرية لانها نالت جائزة تلك المجلة ، يقول فيها :

سلوا عن فؤادى مسبلات الذوائب   فقد ضاع من بين القلوب الذوائب(٣)

فلا سلمت نفس من الحب قد خات   ولا كان جفن دمعه غير ساكـــب

من الذين عرفوا بنظم الشعر فى هذه الفترة المضوى عبد الرحمن(٤) ، فقد نظم قصيدة يثنى بها على الزبير باشا ، قال فيها :

أوميض برق أم سنا مصبـــاح   أم ضوء فجر صادق الاصباح

ام بدر تم فى الدياجى ناشـــر   بيض الملاء على ربي وبطـــاح

ومن شعراء المهدية كذلك محمد الطاهر المجذوب الذى رثي المهدى بقوله :

دهتنا دواه يضرس القلب نابهـــا   ويوقد فى الاحشاء نارا مـــنابها(٥)

غداة نعى الناعـــون مهدينا الذى   به ملة الاســلام جـــل مصـــابها

ومن شعر هذا الشاعر قصيدته التى وصف فيها بعض المعارك التى خاضتها جيوش المهدية بقيادة عثمان دقنة ، حيث قال :

هندوب   تعرف   صـــبرنا   كيف ارتكبنا للمصاعب(٦)

---

١ – المصدر نفسه ٢٥٠

٢ – شعراء السودان ٢٥٢

٣ – شعراء السودان ٣٥٨

٤ – ولد فى قرية العيلفون ، بدا تعليمه فى السودان ثم هاجر إلى مصر ودخل الازهر ولما عاد بدا يعلم الناس فى كركوج ثم لحق بالمهدى وصحبه مدة من الزمن ، وبعد وفاته عاد إلى مصر وفيها لقى الزبير باشا نفثات اليراع ٩٧ .

٥ – شعراء السودان ٣١١

٦ – نفثات اليراع ٩٣٠

وهشيم تشهد عزمنـــا كيف ادرعنا للمصائـــب

ومنهم ايضا عبد الغنى السلاوى ، وقد رفع قصيدة للمهدى جاء فيها قوله :

راق الصبوح ورقت الصهباء مذ كان فيها للعليل شـــفاء(١)

ربيـــة نبوية مسكيـــة مهـــدية روحـــية وسماء

هنالك شاعران نظم كل منهما قصيدة فى اواخر العهد التركى الا ان القصيدتين قريبتان من شعر المهدية ــ احداهما تشبه شعر المهدية من الناحية الفنية ، والثانية قيلت فى المهدى ودعوته لما جهر بها وظهر امره. الاولى من نظم «احمد مدني»(٢) فى رثاء السيد عبد العال بن السيد احمد بن ادريس المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ ، وقد قال فيها :

مالى أرى رونق البلدان قد ذهبا والنور اضحى عن الاكوان منسلبا

والناس مشغولة الافكار حـــائرة يا صاح ماذا بهم هل تعرف السببا

ــ أما القصيدة الثانية فمن نظم الشيخ محمد شريف(٣) ، قيلت فى انكار دعوة المهدى والتقليل من شأنها وشأن صاحبها ، وقد جاء فيها :

لقد جاءني فى عام « زع » لموضع على جبل السلطان فى شاطىء البحر(٤)

يروم الصراط المستقيم عـــلى يدى فبايعته عهـــدا على النهى والامر

تلكم هى نماذج اخترناها من شعر المهدية ، وهى نماذج يسيره وسيجد القارىء الكريم النصوص كاملة فى آخر الكتاب . ان اول ما نلاحظه فى تلك النماذج هـو ان اولئك الشعراء لم يخرجوا عن موضوعات الشعر القديمة المعروفة ، ونعنى بها الاغراض التى نظم فيها شعراء العرب الاقدمون وهى ــ المدح والرثاء والحماسة والوصف والهجاء والغزل ، الا انهم قصروا نظمهم على بعض تلك الاغراض وهى المدح والرثاء والحماسة والوصف ، ولم يفردوا للغزل قصائد بعينها ،

١ ــ نفثات اليراع ٨١ .

٢ ــ أحمد مدني ــ ولد فى شندى سنة ٩٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) تتلمذ على كبار العلماء ، وصار اماما خاصا لمدير دنقلا ابان العهد التركى . نفثات اليراع ٩٦ .

٣ ــ حفيد الشيخ الطيب صاحب الطريقة السمانية ، تتلمذ عليه المهدى وصحبه مدة طويلة الا انهما اختلفا وافترقا .

٤ ــ تاريخ السودان نعوم شقير ، بيروت ، ٦٤٠

كما ان شعرهم الذى وصل الينا خلا من الهجاء تماما الا قصيدة واحدة نظمت فى اواخر العهد التركى واوائل ايام المهدى ، ولنتناول الآن ما قالوه فى كل غرض من تلك الاغراض بالنقد .

المدح :–

أقبل الشعراء على المهدى يخصونه بمدحاتهم ، وفيها يثنون على شخصه كقول الحسين بن الزهراء :

فهل دون مأواك الخصيب فناؤه ... لحاج ذوى الحاجات يا عيش مربع (١)
أنادى فلم يذهب ندائي لمذهب ... شقائي ولم يجمع شتاتي مجمع
واثنى لعل الصوت يبلغ احمدا ... فيعلم ما بي او يعيه فيسمع

وكقوله ايضا فى قصيدة أخرى :

بنفس فتى بالشمس رأد الضحى ازرى ... ونورا يفوق النور من كان والبدرا

وكقول الشيخ محمد عمر البنا فى تائيته المشهورة :

حاشا جنابكم المبرأ ان ارى ... ضيما ولى فى حبكم سكرات

وكقول الشيخ عبد الغنى السلاوى :

اضحى به روض المعالى يانعا ... وعلا لرواد الضلال رداء(٢)
امست به آثار طه نورها ... يعلو ولا يعلو عليه سناء
فالمجد فيه مؤثل والفضل منه ... مؤمل والناس فيه سواء

وفيها كانوا يمجدون نسبه تأكيدا وتأييدا لمهديته ، وذلك كقول الحسين بن الزهراء فى المهمزية المشهورة :

السابق ابن السابقين إلى الهدى ... من معشر نتجت بهم زهراء
وبهم تبلج كل غصن مثمر ... بجلاه تزهو روضة خضراء

كما انهم ضمنوا تلك المدحات تأييدهم دعوة المهدى ، وكثيرا ما كانوا يسوقون ذلك التأييد فى قوالب المدح ومن ذلك قول الحسين بن الزهراء :

بالآية الكبرى التى بظهورها كمل الرضا وانجابت الاسواء
مهدى رب العرش منتظر الورى وإلى الولى والاكرمون وراء

وكقوله فى قصيدة أخرى :

عماد الهدى أس الجدى معدم العدا بدا واليه الناس فى الارض نجع
ملاك اساطين الخلافة كفوها المعد لها الحصن الحصين الممنع
امام الهدى الهادى لكل مرشد بهامته التاج النفيس المرصع

وكقول عبد الغنى السلاوى فى قصيدته الهمزية :

ان كنت من انصار مهديها لنا مهدى الورى من فاض عنه هداء
ما هديه غير الكتاب وسنة والتاركون لذاك هم كفراء

ومع مدحهم المهدى وتأييدهم دعوته فى ذاك المدح نجدهم يمدحون اصحابه ــ المقاتلين والقواد ، ومن ذلك ما جاءفى تائية البنا من اشادة بجنود المهدى حيث قال :

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم شم الجبال وللضعيف حماة
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم شهدت به يوم اللقاء الغارات
وخلوفهم صدأ الدروع لحزمهم قتل الاعادى عندهم عادات
فى السلم تلقاهم ركوعا سجدا أثر السجود عليهم وسمات

وقد قال الشاعر نفسه فى مدح عثمان دقنة بعد ان اشاد بجنوده الذين قادهم لنصرة الدعوة المهدية فى شرق السودان ، قال :

واميرهم عثمان اهلك ملة عدم النصير صريخها المكروب
ان صال فالفرسان تحجم دونه فرق الهلاك وللسنان لعوب

ومدح البناء كذلك اميرا آخر من امراء المهدية هو الامير الزاكى(١) وقد تعرض معظم هؤلاء الشعراء إلى فكرة المهدية فى مدائحهم . فقد قال الحسين بن الزهراء فى احدى قصائده :

به اخبرت من قبل وقت ظهوره صحاح رواها هبرزى موضع

---

١ ــ شعراء السودان ٢٨١

وكقوله فى الهمزية :

انعم بامر كان من جد القضا جار وقد حكمت به الاسماء
وله الاشارة من ألست بربكم طوعا له وليسمع العلمـــاء

كما تعرضوا لبعض ما عرف بين الناس فى ذلك الزمن من كرامات المهدى ولما اورده المهدى فى منشوراته كاشتعال[1] النار فى جسم العدو عند ما تصيبه ضربة أو طعنة من جنود المهدى ، وقد ذكر ذلك الحسين بن الزهراء فى همزيته التى عرضنا ابياتا منها فى الصفحات السابقات حيث قال :

والنار ترعى فى الجسوم كأنها عشــب لعمرى ان ذاك بلاء
ما النار شأن النار اعجب ما ارى تجرى بهم وجسومهم ســوداء

وكاشتراك جنود من الجن[2] ومن الملائكة مع جنود المهدى فى القتال ، وقد ذكر هذا الحسين بن الزهراء فى داليته التى رفعها للمهدى ، وذلك حيث قال :

لم لا واملاك السموات العــلا فى جيش مهدى الورى اجناد
والجن والانس الذين عهدتهم ســوى الذين وما لهم اعــداد

كما ذكر البنا فى قصيدته التى مدح بها عثمان دقنه اذ قال :

وامدهم جيش الملائك ناشرا رايات نصر للبلاد تجــوب

كذلك مدح بعضهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالشيخ عمر الازهرى الذى نظم قصائد عدة فى مدحه صلوات الله وسلامه عليه ، وقال فى واحدة منها :

محمد صفوة البارى وخيرته المختـــار من رســله للانس والجـــان
ذو المعجزات التى قد اعجزت عدداً من رام عدا بالفى الف ديوان

وقال فى أخرى :

هذا الذى اعجز الفصحاء والبلغـــاء عجزا ظـــاهرا قـــرآنه
نطق الذراع له وحن الجــذع وانسكب السحاب اذا اشار بنانه

---

١ — كتاب المهدى إلى يوسف الشلالى ، منشورات المهدية — أبو سليم ٣١٢

٢ — خطاب المهدى إلى محمد ود البصير . منشورات المهدية ، أبو سليم ١٨ ومنشور الدعوة ، المصدر نفسه ٢٤ ومنشور الحضرة ، المصدر نفسه ١١١ .

جمعت خصال المرسلين له كما　　　جمع الذى فى كتبهم فرقــانه
متواضع والزهــد فيه سـجية　　　يطـوى ويصعب والاوان اوانه

وقال فى ثالثة :

محمد المحمود فى الارض سـيرة　　　وفوق الطباق السبع الملأ الاعــلى
اذا ذكر اسم الله يقـرن باسمه　　　لتعظيمه فى كتب اتت تتــلى
نبى اتي الخالق بالحـق داعيــا　　　فمن لم يجب بالنار يصلى وأن صلى

من الشعراء الذين نظموا قصائد فى مدح الرسول الشيخ أبو القاسم(١)أحمد هاشم والشيخ الطيب(٢) احمد هاشم والشيخ ابراهيم(٣)احمد هاشم الاانا نكتفى بماوردنا من شعر الشيخ عمر الازهرى امثلة للمدائح النبوية ، لأن الشعر الذى يعنينا فى هذا المقام هو الشعر المتصل بالمهدى ودعوته ، لكننا نرى الا بد من ذكر بعض ابيات من قصيدة الشيخ المضــوى(٤) عبد الرحمن التى نظمها فى مدح الزبير باشا لان شعراء ذلك العهد لم يتجهوا بمدائحهم للافراد العاديين ــ قال المضوى :

اوميض برق ام سنا مصباح　　　ام ضؤ فجر صادق الاصباح(٥)
أم بدر تم فى الدياجى ناشـر　　　بيض الملاء عــلى ربا وبطاح

واذا تأملنا هذه القصائد نجد ان الشاعر فى كل واحدة منها يعدد فضائل الممدوح بل يسردها واحدة تلو الاخرى فى شكل تقريرى ظاهر ، وتتساوى فى ذلك مدحات النبى ومدحات المهدى ومدحات الأفراد العاديين . فعمر الازهرى قال مادحا النبى صلى الله عليه وسلم :

محمد صفوة البارى وخـيرته المخـتار من رسله للانس والجـــان

---

١ – عالم سوداني عمل كاتباً فى المهدية وقاضيا فى عهد الحكم الثنائي ثم اختير شيخا معلماء ولد ولد فى برى ١٢٧٨ ﻫ شعراء السودان ٣١

٢ – ولد فى بربر ١٢٧٣ ﻫ عالم سوداني ، عرف فى المهدية بعلمه وتقواه ، وكان قريباً كبار رجالها . تولى القضاء والافتاء فى عهد الحكم الثنائي ، المصدر نفسه ٤٣

٣ – ولد فى بربر ١٢٨٩ ﻫ وعمل فى دور المحاكم الشرعية ابان الحكم الثاني .

٤ – ولد ١٢٧٣ ﻫ (١٨٥٧ م) تتلمذ على علماء كثيرين ، اتصل بالمهدى وصار داعية له فى الخرطوم هرب إلى مصر بعد وفاته ، نفثات اليراع ، ٩٧ .

٥ – المصدر نفسه ٩٧ .

ذو المعجزات التى قد اعجزت عددا　　من رام عدا بالفى الف ديـوان

ان الشاعر فى أبياته تلك – بل لعله فى قصائده كلها – يقدم لنا بيانا بالصفات الحميدة الفريدة النبيلة التى تحلى بها سيدنا محمد ، فهو يقول انه صفوة البارى ، وخيرته المختار ، وانه صاحب المعجزات المعجزة ، وانه يبز الفصحاء والبلغاء بقرآنه ، وانه قد فاق المرسلين بما حوى من صفاتهم كلها ، وان كتابه قد فاق كتب المرسلين الذين سبقوه لانه احتوى ما جاء فيها واربي ، وفوق هذا وذاك فهو محمود فى الارض وفى السموات السبع . اذا رجعنا إلى قصائد المدح التى قبلت فى المهدى نجد الشعراء يسردون صفاته سردا ويقررونها تقريرا كقول الحسين ابن الزهراء فى العينية التى عرضنا أبياتاً منها فيما تقدم ، قال :

عماد الهدى اس الجدى معدم العدا　　بدا واليه الناس فى الارض نجـع
ملاك اساطين الخـلافة كفوها　　المعد لها الحصن الحصـين الممنع
امام الهدى الهادى لكل مرشد　　بهامته التاج النفيس المرصـع

وكقوله فى قصيدة أخرى :

للحق جـاء وللمناكر فـاتك　　وعلى الفعال من المقـال مزاد

او كما قال البنا فى مدح عثما دقنة :

واميرهم عثمان اهـلك ملة　　عدم النصير صريخها المكروب
ان صال فالفرسان تحجم دونه　　فرق الهـلاك وللسنان لعـوب
. . . .　　. . . . .
فالحلـم فيه سجية مغروسـة　　اما لدى حرم الاله غضـوب

وكقول المضوى فى مدح الزبير باشا :

ضخم الدسيعة ما خلت ابوابه　　من قاصـد به فى مساء وصباح
من دوحة العباس عم المصطفى　　اكرم به من سيد جحجـاح

فنحن اذا تأملنا هذه الأبيات نرى انها تعد الصفات عدا ، فالمهدى عماد الهدى ثم اس الجدى ثم معدم العداء ، وهو بعد ذلك ملاك اساطين الخلافة وهو كفؤها ،

وعثمان دقنة اهلك اعداءه ، فهو فارس تهابه الفرسان ، وهو فوق كل هذا حليم غيور ، والزبير باشا ضخم الدسيعة ، ابوابه تزدحم فيها الناس ونسبه ينتهى إلى العباس عم النبى . هكذا كان الشعراء يمدحون – يقدم الواحد منهم سلسلة من الصفات وكانه يقدم « كشفا » منظوما أو مجموعة عبارات جافة لا أثر للشعور فيها ولاحظ لها من خيال ، وشخصية الممدوح لا تكاد تبين أو تتحدد بين تلك الصفات المسرودة .

الرثاء :

لما انتقل المهدى إلى الرفيق الاعلى رثاه بعض الشعراء وقد حفظت لنا المراجع اسماء وقصائد ثلاثة منهم هم ابراهيم شريف الدولابي ومحمد بن الطاهر المجذوب واسماعيل عبد القادر الكردفاني ، ولم نجد فيما بين ايدينا من مراجع رثاء للمهدى من نظم الحسين بن الزهراء او من نظم محمد عمر البنا مع انهما ايداه بالقصائد الطوال واشادا بشخصه وبرسالته وبانصاره المقاتلين – ولم نجد كذلك رثاء فى تلك المراجع لغير المهدى وبعض من قواده مثل « حمدان أبو عنجة) فقد رثاه محمد بن الطاهر المجذوب ويبدو لنا من هذا ان الرثاء كان مقصورا على فئة خاصة ، ولم يخرج عن دائرة تلك الفئة ليشمل ذوى القربي أو أهل المودة وعيون المجتمع من غير الحكام .

ابتدأ ابراهيم شريف الدولابي مرثيته بتصوير فداحة الخطب بالتعبير عن مدى حزنه لوفاة المهدى فقال :

كيف التئام فؤادى المفطور	ورقوء دمع محاجرى المفجور(١)
أم كيف ينفك الضنى عن مهجة	احشاؤها تصلى على تنور
اسف على المهدى من مهد الصبا	قد كان معصوما عن المحظور

لقد وفق الشاعر فى هذه البداية لانه اعلن فيها عما اصابه . ولا يمكن ان يصيب احدا لموت آخر أكثر واعظم من انفطار الفؤاد وانفجار الدمع واضناء المهجة ثم احتراق الاحشاء ، واعلن فى نفس الوقت ان الذى اصابه لا يزول ، ونستفيد

١ – شعراء السودان ٢٧ .

هذا من ذاك الاستفهام الذى يدل على النفى ، ولعله من تمام التوفيق ان ينتقل الشاعر بعد اعلان ما اصابه واعلان استحالة برئه منه إلى الاشادة بالمهدى وبيان بعض ما تحلى به ويذكر فى غضون ذلك المشهد الذى نصب فيه مهديا ، ثم يشيد بدعوته وبجهاده وبفضل تابعيه المهتدين بهديه وذلك حيث يقول :

فدعا إلى الدين الحنيف مجاهدا بالسيف والانذار والتبشير
فتح الفتوح ودمر الكفار فى كل البلاد بجيشه المنصور
ومن انتمى لسواه اصبح حائرا ضل الطريق بليلة ديجور

ولا نشك ان مثل هذه الاشادة المفصلة الشاملة مما يزيد فى تصوير فداحة الخطب وعظم الفقد ، وبعدها ينتقل الشاعر إلى مكانة المهدى الدينية مشيدا بزهده وتقواه وكرمه فيقول :

طلق المحيا خاشعا متواضعا كهف الفقير وجابر المكسور
وتفيض بالجود الكثير يمينه ابدا بلا منء ولا تكدير
ويبيت طاوى الكشح جوعا وهو قد اعطى الكنوز بجمعها الموفور
لا يبتغى جاها ولا مالا و لا عز الملوك ولا ارتفاع الدور

هنا ايضا جاءت الاشادة مفصلة شاملة فقد تطرق الشاعر إلى علم المهدى بالشريعة والحقيقة وجعله بحرا فى كلتيهما ، ثم تعرض إلى « صوفية » المهدى أو « تصوفه » فقال انه « سر الوجود » و « ترجمان الحضرة العليا » وهو « مظهر الغيب » . بعد ذلك ذكر بعض ما خصه الله به ـ « والله اكرمه بطيب تحية » ومن هذا التفصيل الذى شمل عبادة المهدى وكرمه وعطفه على الفقير والمكسور ، وشمل أيضا زهده وتواضعه انتقل الشاعر إلى رسالة المهدى وتحقيقها فقال :

ما همه الا اجتذاب الخلق من درك الشقاوة عميهم والعور
لما ابان لنا السبيل ولم يدع ايضاح منهى ولا مأمور
والدين عز واهله بلغوا المنى وتقلبوا فى نعمة وحبور
تاقت إلى الذات العلية روحه وسعت لمقصد صدقها المذخور
فمضى واودع كل قلب حسرة وحشا الحشا ببلابل وسعير

فى هذه الأبيات يعلن الشاعر اهداف رسالة المهدى ويحصرها فى — اجتذاب الخلق جميعهم مما انحدروا اليه من شقاء وايضاح السبيل ليعرّف الناس ما يأمر به الله وما ينهى عنه ، واعزاز الدين واهله حتى يتقبلوا فى « نعمة وحبور » ويعلن انه قد بلغ تلك الاهداف ، وبعد بلوغها انتقل إلى جوار ربه تاركا فى كل قلب حسرة وفى كل جوف نارا مستعرة . لم يقل الشاعر « مات » أو « قضى نحبه » او مثل ذلك مما يقال عادة لكنه قال « تاقت إلى الذات العلية روحه » و « سعت لمقصد صدقها » ، قال ذلك تمييزا للمهدى عن غيره وتقديرا لمكانته الدينية ورسالته التى جاهد فى سبيلها إلى أن حققها ، فالشاعر يؤمن به ويعتقد صحة دعواه ، اليس هو القائل فيه فى نفس القصيدة :

ومن اهتدى بهداه اصبح داخلا	سور الرضى اعظم به من سور
ومن انتمى لسواه امسى حائرا	ضل الطريق بليلة ديجور
ماشئت فيه من الثناء فقل ولا	تاخذك لومة لائم مدحور
ما اطنبت مداحه الا وهم	عن وصف بعض حلاه فى تقصير

من هذه الأبيات ومن بعض ما قدمناه قبلها نرى ان هذه المرثية حوت تأييدا للمهدى فى دعوته وفى جهاده وتأكيدا لمهديته ويكفينا دليلا على ذلك الابيات :

لازال فى كنف العناية يغتذى	بدقائق التبصير والتنوير
حتى انتهى لمقامه الاعلى الذى	عنه النهى فى حيرة وقصور
واقامه المختار عنه خليفة	خلعت عليه ملابس من نور
ورقى إلى كرسيه متسنما	فى مشهد بالاوليا معمور

فى ختام هذه المرثية أخذ الشاعر يعدد مواطن البكاء او ينسب البكاء والانتحاب إلى امكنة كان يغشاها المهدى ، وهى اليق به واشبه ، كما اثنى على الارض التى حوت جسمه ففاق طيبها مما حوت ما يفوح من المسك والكافور ، قال :

تبكى المساجد والمحارب فقده	ومواطن الاذكار والتذكير
يا طيب ارض ضم جسمك تربها	تزرى بعرف المسك والكافور

وبعد التعداد شرع في العزاء فقال :

يا آل بيت المصطفى صبرا وان — جل المصاب وعز عن تصبير
فلكم تجمع في مصيبة جدكم — خير الانام الحى والمقبور

انه يعزى آل المهدى ويسميهم « آل بيت المصطفى » مريدا بذلك نسبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفى هذا يكشف الشاعر عن ايمانه بالمهدى والمهدية لان المهدى حسب رأى الشيعة لا يكون الا من آل البيت ، ولعله اراد ان جدهم رجل اصطفاه الله وفضله على الاحياء والاموات من الانام ، وفى هذا ايضا ايمان به وتأييد لدعوته . يقرر بعد كل ذلك انه شمس توارت ، واذا ما توارت فى الثرى تلك الشمس التى يهتدى بضيائها السائرون ، وينتفع باشعتها كل كائن حى فالعزاء والعوض فى بدر نوره عظيم ذلكم هو الخليفة عبد الله بن محمد ، ثم يأخذ بعد ذلك فى مدحه وامتداح سيرته ، وينتقل من بعد إلى بقية الخلفاء مشيدا بموقفهم وافعالهم ، ويعلن انهم « قوام الدين بعد امامه » وهم ايضا « تمام ظهوره » ، واننا لنحس فى كل ما قال عنهم تأييدا للمهدى وتأكيدا لصحة دعواه ، ويكفى دليلا على ذلك انه يسمى احدهم « خليفة الفاروق » ويسمى الثاني « خليفة الكرار » كما سماه المهدى ، ثم يقول عنهم كلهم انهم « قوام الدين » بعد موت المهدى « امامه » كما يقول انهم « تمام ظهوره » ، وفى البيت الاخير دعاء بالصلاة على الضريح الذى ضم رفاة المهدى ، صلاة طيبة تردد كل صباح وتتكرر كل مساء .

أما محمد بن الطاهر المجذوب فقد سلك نفس النهج تقريبا بدأ بتصوير فداحة الخطب فقال :

دهتنا دواه يضرس القلب نابها — ويوقد فى الاحشاء نارا منابها(1)
غداة نعى الناعون مهدينا الذى — به ملة الاسلام جل مصابها

انه يمثل النعى والحزن الذى اعقبه جمع من الدواهى لها ناب او أنياب انغرست فى القلب فأحدثت ألما ممضا أنتقل إلى الأحشاء وانتشر فيها نارا حامية وبعد هذا التمثيل يعلن الشاعر ان المصاب جلل وانه فقد للاسلام والمسلمين ، ثم يشرع فى

---

1 - نفثات اليراع ٩٤

تعداد محامده ليؤكد فداحة الخطب وليدلل على ان المصيبة حلت بالمجتمع الاسلامى كله ، وذلك بقوله :

امام الهدى المهدى افضل من دعا ... إلى الله مفتاح النجاة وبابها
ألا قد اصبنا اذ عدمنا حبيبنا ... وضاقت بنا الارض الوسيع رحابها
لبيك له الدين الحنيف وملة ... ابان هداها حين تم خرابها
فقدناك يا هديا يتمنا بفقده ... فقدناك يا شمسا دهانا غيابها

فى هذه الابيات الاربعة يقرر الشاعر ان الفقيد « امام الهدى » وانه « افضل من دعا إلى الله » وانه « مفتاح النجاة وبابها » فكيف لا يكون فقده عظيما والمصاب فيه جللا ، وكيف لا يحزن لفقده المجتمع الاسلامى كله وقد هداه إلى السبيل السوى واعاد إلى الدين هيبته بعد « خراب » ، وقد كان لهم « هديا » كما كان « شمسا » ان الشاعر بقوله هذا لا يصور عظم الرزء بموت المهدى فحسب ، انما يؤيده ويؤكد مهديته .

يأخذ الشاعر بعد ذلك فى مراجعة نفسه وتذكيرها بربها وحكمه فيقول :

إلى الله انا راجعون هو الذى ... اليه نفوس العالمين ايابها
هو الفاعل المختار باق وانما ... نفوس الورى جمعا اليه انقلابها

ويتطرق إلى ما كان يتوقعه من لقاء المهدى ويأسى لان ما كان يتوقعه لم يتم ، ويدعو لقبره بالسقيا ، وذلك فى قوله :

وكنا نرى انا نفوز بوصله ... بذى الدار حتى صاح فينا غرابها
فلم يبق فيها الآن ما يبتغى له ... بقاها فقد اضحى سرابا شرابها
سقى الله ارضا ضمنته بقاعها ... به فاقت العرش العظيم قبابها

ويختم مرثيته بالعزاء يقدمه إلى خلفاء المهدى وإلى اهله ، ويخص كل خليفة كما يخص اهل الفقيد بشىء من الثناء فى الابيات التالية :

عزاء إلى الصديق نائبه الذى ... به الملة الغراء شد انتصابها
عزاء إلى الفاروق من كان دأبه ... لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها

عزاء إلى الكرار ذى الناصر الذى — لديه يهاب الباترات ذبابها
عزاء إلى الآل الكرام اولى التقى — على الله هاتيك الرزايا احتسابها

وفى الختام يسأل الله ان يلحقه بالمهدى فى جنة العلا ، ويبعث اليه تحيات ربانية فى البيتين :

والحقنا المهدى فى جنة العلا — ليذهب عن هذى القلوب إكتئابها
الا ابلغوا عنا ضريح ابى الهدى — تحايا إلى الله الكريم انتسابها

مرة أخرى نلمح تأييد الشاعر المهدية فى الثناء الذى يخص به الخلفاء ويقدم اليهم مع العزاء ، ونلمحه ايضا فى الرغبة التى يعلنها فى آخر المرثية حيث يطلب إلى الله ان يلحقه بالمهدى فى الجنة لتذهب عن قلبه تلك الكآبة التى اصابته لانه لم يفز بلقاء المهدى كما كان يأمل ، كما اصابته بموت المهدى .

ان المرثية الثالثة من شعر الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، وقد جمع فيها بين الرثاء ووصف فيه المهدى ، وسنتناول الآن جانب الرثاء ونترك الوصف إلى حين . بدأ الرثاء بتعداد محامد المهدى وسرد افضاله فقال :

خلاصة صفو المجد من آل هاشم — وافضل من فى الخير راح او اغتدى
امام له فى كل مجد وسؤدد — مآثر فضل ما أجلَّ وامجدا
محمد المهدى بشرى محمد شفيع — الورى فى الحشر من طاب محتدا
ببشراه غنى بلبل السعد مطربا — وقام على غصن المسرات منشدا

انه يرجع نسبه إلى بنى هاشم آل بيت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقرر انه افضل من « راح واغتدى » ، وهذا يعنى انه افضل البشر ، بل افضل من سعى للخير وجاهد فى سبيله ، ثم يقرر ايضا انه « بشرى محمد » ، ولعله يريد بذلك تأكيد ما يعتقد من صلة بين رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين ما جاء به المهدى ثم ينتقل إلى رسالة المهدى وجهاده فى سبيلها فيقول :

به الله احيانا واظهر دينه — واولاه افضالا ونصرا مؤيدا
وقد أحرز الدين الحنيفى بالظبى — ودمر جبارا طغى وتمردا
وجاهد من قد حاد عن شرع أحمد — وقد فل جيش المعتدين وشردا

وهنا يعلن ان الله احياهم به ، واظهر به الدين الاسلامى ، وهذا اقرار بانهم كانوا « امواتا » قبله ، واعتراف بان الدين خفيت معالمه وخفت ضؤوه ردحا من الزمن إلى ان جاء المهدى وآتاه الله افضالا وأيده بنصر منه — ومن هنا يدخل الشاعر فى مجال جهاد المهدى فيقول :

وقد احرز الدين الحنيفى بالظبى ودمر جبارا طغى وتمردا
وجاهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشردا

وفى هذا القول اشادة بجهاد المهدى او « كفاحه المسلح » فى سبيل اعلاء كلمة الله وتشريد خصوم الاسلام والمسلمين . اما وفاة المهدى فيقول الشاعر انها كانت استجابة لدعوة من الله عز وجل إلى المهدى إلى دار الفوز العظيم الخالد :

ولما دعاه الحق جل جلاله لدار بها الفوز العظيم مخلدا
اجاب الندا فالقلب بعد فراقه يذوب اسى والصبر عز وابعدا

لم يقل الشاعر انه مات او ان أجله انقضى ، بل قرر ان الله دعاه إلى دار الخلود ، وهذه الدعوة تحمل فى طياتها معنى القرب من رب العرش العظيم ، ولا يتأتي الا لمن اوتي مكانةً خاصة واحرز فضلا عظيما ودرجة كبرى. ثم ان المهدى أجاب حبافى دار « الفوز العظيم المخلد » ورغبة فى القرب من ربه الذى دعاه ، وزهدا فى الدنيا الفانية فذهب وخلف بعده اسى ، وصار الصبر على فقده وبعده عزيزا لايكاد يناله او يبلغه احد . ان الشاعر بقوله هذا يكشف لنا عن تأييده المهدى وايمانه بدعوته والا لما قرر ان موت المهدى خلل اصاب الوجود ، وان الله « جبر الوجود » بخليفته وذلك فى ابياته الآتية ؛ :

وقد جبر الله الود بأسره واعلى منار الدين حقا وشيدا
بهدى الذى قد قام فينا مقامه خليفته هادى الورى قامع العدا
فقام بامر الدين حق قيامه واعمل فى اهل الضلال المهندا

ان هذا الذى جاء فى هذه الابيات هو بداية مدح الخليفة والاشادة بموافقة فى السير بالدعوة والدفاع عنها وقد استرسل فى ذلك قائلا :

قلوب الورى تعنو جميعا لهديه ... فلا تنثنى الا وعنها انجلى الصدا
امام اجل الله فى الكون قدره ... وتوجه تاج القلوب وأيـــدا
مآثره فى الدين يعسر حصرها ... فغاية ما عندى القصور وقد بدا

يثبت الشاعر هنا ان قلوب العالمين تسترشد بهديه وتخضع له وهو يزيل ما علق بها فتعود نقية صافية خالصة لانه الامام الذى منحه الله جلال القدر وأيده والقى اليه محبة الناس ، اما مآثره فى الدين فلا حصر لها ، وان اراد احد ذلك فالامر عسير والشاعر نفسه عاجز عن ذلك فلا يستطيع . ان الشاعر بهذا المدح الذى يقرره تقريرا يثبت تأييده المهدية وولاءه للحاكم الجديد الذى خلف المهدى بعد وفاته . ينتقل بعد ذلك إلى بناء القبة ذاكرا ان الخليفة هوالذى أمر ببنائها وخاطب الانصار وحثهم على تشييدها ابتغاء الثواب ، ثم اشرف على البناء إلى ان اكتمل وبرزت القبة شامخة عظيمة . كل ذلك فى الأبيات التالية :

ومن بعده الانصار تحت اشارة ... له وهو بدر فى سماء العلا بدا
فجاءت بحمد الله اعظم قبـــة ... حوت كل مجد لا يعد وسؤددا

فى ختام القصيدة خاطب الشاعر زوار القبة اللائذين بفضل المهدى المتوسلين به ، وبشرهم ببلوغ المقاصد والظفر بالحسنى ثم ارخ للقبة فى البيت الاخير ، قال :

فيا زائرا تلك البنيـــة لائذا ... بقبر حوى الفضل الجسيم المؤبدا
توســـل ببشرى المصطفى متأدبا ... لتظفر بالحسنى وتبلغ مقصـــدا
وقف خاضعا وارج القبول مؤرخا ... بقبة مهدى الانام ترى هـــدى

لما مات القائد حمدان أبوعنجة رثاه محمد بن الطاهر المجذوب بقصيدة لم نعثر منها الا على الابيات التالية :

حمدان إنك طالما سمت العدا ... ذلا وذكرك فى المحافل يرفع (1)
ما وجهت رايات نصرك وجهة ... الا وبالظفر المؤكـــد ترجـــع
فلك الهنا بلقاء ربك شـــاهرا ... سيف الجهاد وكل قرم تقمـــع
فسحائب الرضوان تغشى تربة ... ضمتك ما نجم يغيب ويطلـــع

---

1 – تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ۱۰۷۷

وانّنا لنجد فى هذه الابيات على قلتها بعض السمات التى وجدنا فى المرثيات الاخرى فالشاعر يعدد محامد المتوفى ، وهو اذلاله العدو وسير ذكره فى المحافل ثم انتصاره فى كل معركة يتجه اليها ثم يدعو له بالهناء فى جوار ربه بعد ان شهر سيف الجهاد واردى به « كل قرم » ، ويدعو له بالرضوان ما طلع نجم وغاب .
كذلك نجد بعض السمات فى قصيدة احمد مدني التى رثي بها السيد عبد العال ابن السيد احمد بن ادريس ، فقد بدأها بتصوير الفاجعة فى الابيات الاربعة الاولى وفيها قال ان « رونق البلدان قد ذهب » و « النور انسلب عن الاكوان » ثم « انشغلت افكار الناس وحارت » وتساءل بعد ذلك عن السبب ثم رد بان وفاة « الاستاذ مصيبة نزلت فاشعلت فى القلوب الحر .. » واسهرت العيون وابكتها دمعا « يفوق البحر والسحبا » بعد ذلك انتقل إلى بيان الافضال وتعداد المحامد ، وبعد ان سرد مجموعة منها حث على زيارة قبره للفوز «بنيل المرام » و « ازالة الهم والنصب» ثم اختتمها بالدعاء لنفسه وتاريخ عام الوفاة .

يمكننا الآن ان نقول ان شعراء المهدية اتجهوا بمراثيهم إلى طبقة الحكام ، ولم نجد فيما وصل الينا من شعر أبياتا لأى منهم يبكى فيها قريبا او حميما او جارا ، او شخصا من عامة الناس تربطه به صلة شخصية او عاطفة انسانية لذلك جاءت قصائدهم خالية من حرقة المكلوم ولوعة الثاكل لكنها اكتظت بمحامد المتوفى مسرودة سردا ، وتتابعت هذه المحامد وتعددت فرسمت للمرثي صورة اوضح من صور المدح ، هذا وقد تضمنت تلك المراثي التى قيلت فى المهدى تأييدا واضحا للمهدية وايمانا بفكرتها .

الوصف :

لم يخرج شعراء المهدية عن بيئتهم فى شعرهم الوصفى ، فقد وصف بعضهم معارك المهدى ، وسنعرض لهذا الوصف عندما نتحدث عن شعر الحماسة .
ووصف احدهم قبة المهدى وهو الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتى الكردفاني بالابيات الآتية (وقد رثي المهدى فى باقى ابيات القصيدة) قال :

سمت قبة المهدى مجدا وسؤددا ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا
وصيغ من الاكليل تاج لهامها وسال بها نهر المجره مزبدا

يتحدث الشاعر ههنا عن مظهر البناية التى يرقدتحتها المهدى فيقول انها سامية ، سمت بالمجد والسؤدد ، وتحلت بالكواكب عقداً منظوما ، وشعت منها انوار الهداية وانتشرت فى الكون . يقول بعد ذلك انها بنية مجد — بناها الحلم والتقى ، وفى هذا مدح للخليفة عبد الله الذى امر ببنائها وللانصار الذين بنوها ، وللرجل الذى يرقد اسفلها ، وهو افضل من ورث النبى صلى الله عليه وسلم ، والا فلم تكن كما قال سامية بالمجد والسؤدد متحلية بالكواكب والنجوم ، ومهما يكن من شيء فان هذا الوصف فى جملته وصف لمظهر القبة ، ومعظمه مستوحى من شخصية الرجل الذى بنيت له ودفن فيها ، ومن شخصية الرجل الذى امر ببنائها واشرف عليه ، اما البناية نفسها ، وما توحى به او تثيره فى النفس فلم تكن مما يحفل به الشاعر او يستهوى خياله وشاعريته من قريب او من بعيد .

الغزل :

لم يكن لهم شعر غزل بالمعنى المفهوم من هذا التعبير لكنهم صدروا مدائحهم بمقدمات غزلية ، فقد قال الشيخ محمد عمر البنا فى صدر احدى قصائده التى مدح بها « عثمان دقنة »

ما بال طرفى للدموع سكوب	شوقا وقلبى للملاح طروب
ولقد فتنت وما ظفرت وربما	فتن المشوق وفاته المطلوب
انا فى هوى الغيد الحسان معذب	وسواى ينعم باله ويطيب
عثمان دقنه من رقى اوج العلا	....

وابتدأ احدى مدحاته فى الامير الزاكى بقوله :

ابدا يورقنى عبير شذاك	ويزيدنى قلقا دوام جفاك
ويردني من حالة العقلا إلى	حال الخبال تذللى واباك
ويزيدنى طربا وحسن مسرة	برق تألق من ضياء سناك

وقال فى مطلع مدحة اخرى :

دعونى اجتنى ثمر الرقاد	وخلوني اميل إلى الوساد
الا يا حادى عيسهم رويدا	سلمت من الملمات العوادى

ويا دار الأحبّـة خبريـنى ... سقتك هوامع السحب الغوادى
كأن ضـياء انجمه علينـا ... أيادى الشهم عثمان الجـواد

ومثل هذه المقدمات الغزلية جاءت فى معظم المدائح النبوية التى نظمها شعراء هذا العهد ، فالشيخ عمر الازهرى قال فى احداها :

تألق البرق من نجد فاشجـاني ... قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني
والضحك منه التوى فى البرق تعرفه العشاق لم تختلف فى ذلك اثنـان
فان اشار بطرف العين هم حملوا ... او البنان فقد بانوا عن البـان

وقال فى ثانية :

باد هـواه وزائد خفقـانه ... صب تفرق بالنوى اخـدانه
فجرت بوادر مقلتيه لما جرى ... حمرا وحن إلى الوصـال جنانه
قد خانه حسن التصبر بعدما ... بانوا ووفـت بالبكاء اجفـانه
لم يدر قبل البين ان فـؤاده ... رهن لهـن وطيفهن رهـانه

وقال فى ثالثة :

فؤاد عن التبريح والوجـد ماكلا ... عـلى م يقول العاشـقون له كلا
وعين نجيع الدمع خدد خـدها ... ففى اى شرع صاح تأنيبها حـلا
عيوني عيوني والدمـوع مدامعى ... فما لعذولى ان بكيت دعا مهـلا
قفوا خبروني آل ودى عن الهوى ... وكيف يكون الحب حسبى به جهلا
لئن كنت فى دعوى التصابي مقصرا ... فقد فاق حبى للذى ختم الرسـلا

انهم ينظمون هذه الابيات من الغزل فى مقدمة قصائد المدح لا لانهم عشاق متيمون بالحسناوات انما هم يتبعون نهجا سار عليه الشعراء فى قديم الزمان اذ كان يصدرون قصائدهم بمقدمات غزلية ، فغزل هؤلاء الشعراء – شعراء المهدى – اتباع لسنة قديمة لا تعبير عن اعجاب بالجمال او وصف له ، ومهما يكن الحال فان غزلهم هذا تضمن شكوى الشوق والفراق ، وتباريح الوجد ، كما حكى عما يلاقيه الواجد منهم من ارق وقلق يسببهما الجفاء ، وما يجده من عذاب الصد ومرارة الحب ، وقد يعرض بعضهم إلى ما ينجم عن كل ذلك من بكاء متصل ودموع تمازجها

قطرات الدم ، تسيل فتحدث فى الخدود آثارا واضحة ، إلى غير ذلك من خفقان القلب وذهاب الصبر ، كما أن بعضهم تحدث عن عفته فى حبه ، وعن ترفعه وبعده عن الريب ، اما المحبوب ففى كل هذه الحالات عازف لاه ، لا يكاد يستجيب ، ولا نكاد نحس له اثرا ، كل ما هنالك هو هيام شديد الا أنه « فارغ » لا تجربة فيه ، فقد كان كل اولئك الشعراء فقهاء . نشأوا فى اول حياتهم نشأة دينية ثم تثقفوا ثقافة دينية مازجها شيء من التصوف ، وصاروا فيما بعد رجال الدين والقضاء والشرع ، ورجال العلم فى البلاد ، فلم يكن من الممكن ان يزدهر او يظهر شعر غزل من انتاجهم مثل ذلك الذى عرفناه فى عصور الادب المختلفة ولم يكن من الممكن ان يصدر عن سواهم لان التعليم كان محصورا فيهم ، وكان تعليما دينيا ذا مسحة صوفية .

بعد هذا الاغراق فى وصف الهيام و « التهالك على المحبوب »[١] يتخلص الشاعر إلى موضع القصيدة فى براعة ظاهرة كما يتضح من النماذج التى سيقت .

شعر الحماسة :

لقد اثار ظهور المهدى المجتمع السوداني وحرك فى أفراده شعورهم الوطنى وعاطفتهم الدينية لان المهدى كان تقيا وورعا يدعو للاصلاح ، ولانه كان قوى الشخصية شجاعا ، وقد تجلى ذلك فى صموده امام حملات الحكومة العسكرية كالفرقة التى ارسلتها اليه فى ابا ، وحملاتها الدعائية كالمنشورات التى اصدرتها ضده وكالرسائل التى حررها العلماء يكذبونه فيها ، وبالاضافة إلى كل ذلك لم تكن الامة السودانية راضية عن الاتراك وحكمهم ، وجاء المهدى بشخصيته وتقواه وورعه وصموده ثم اعلن الجهاد لذلك انقلب الشعب السوداني إلى « مجتمع محارب وتحول الشعراء إلى قوى تعبىء الشعور العام ، وانطلق الشعراء يصفون حروب المهدى ، ومن ذلك قول الحسين بن الزهراء فى همزيته :

والله دمر من طغى وأباده	حتى تولى قتله الضعفاء[٢]
ولقد تبدد جسمه برماحهم	فكأنه من خلقه اشلاء

---

١ — الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٢٨٩

٢ — الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٣١٥

صالوا به وذويه بين حصونهم في خندق غرت به الاذواء

ومنه ايضا قول البنا في تائيته :

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم شم الجبال وللضعيف حماة(١)
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم شهدت به يوم اللقا الغارات
وخلوفهم صدء الدروع لحزمهم قتل الاعادى عندهم عادات
فاثرن نقع الموت في عرصاتهم واغرن صبحا اذ علت أصوات
وذباب اسياف المنية فوقها رعفت دما وجلاؤها الهامات
والارض سالت بالدماء ومابها غير الجماجم والشعور نبات

ومنه ماجاء في قصيدته التي امتدح بها عثمان دقنة :

ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا او غولبوا فعدوهم مغلوب(٢)
واميرهم عثمان أهلك ملة عدم النصير صريخها المكروب
ان صال فالفرسان تحجم دونه فرق الهلاك وللسنان لعوب
او جال في الميدان تحسب انه اسد تفرس والرجال تثوب
او جرد السيف المهند مؤمنا لاولى القساوة فالرؤوس تجيب

ومنه ايضا قصيدة محمد بن الطاهر المجذوب التي يقول فيها :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصاعب
وهشيم تشهد عزمنا كيف ادرعنا للمصائب
يا طالما صدنا بها صيد الغضنفر للثعالب
جيشا يرن سلاحه كالرعد اذ ما المزن صائب

ومنه كذلك ماجاء في احدى قصائد الحسين بن الزهراء :

الامر جد والخطوب جداد وجنود مهدى الورى امجاد
مهج تقعقع في شتات جسومها فكانها بنشيدها اعواد
قضب يحرك معبد اوتارها يزهى به الانشاء والانشاد

---

١ – شعراء السودان ٢٧٥
٢ – نفثات الراع ، ٩٣

نلاحظ ان بعض شعر الحماسة هذا يحوى وصفا للقتال ، اى انه يصور لنا بعض ما حدث فى منازلة بين جنود المهدى واعدائهم وذلك كالذى جاء فى همزية الحسين بن الزهراء ـ الابيات التى اوردناها فيما مضى ، كما ان بعضه يصف قوة الجند ، ويصور حماسهم ويشيد ببلائهم فى ميادين القتال كالذى جاء فى تائية البنا ودالية الحسين بن الزهراء ، وهذا كله نجده فى قصيدة محمد الطاهر المجذوب ـ « هندوب تعرف صبرنا » ففيها اشادة بالجند لانهم صابرون ذوو عزائم قوية ، وفيها ايضا وصف لمعاركهم وبلائهم فيها ، وفى القصيدة كذلك اعتزاز بمواقف معينة ، واعتداد واضح بقوة العزيمة والبراعة الحربية .

لم ينظم شعراء هذا العهد قصائد فى الهجاء ، لكن حفظت لنا المراجع قصيدة واحدة نظمها الشيخ محمد شريف يهجو فيها المهدى ويكذب ما جاء به ، وقد اوردنا ها فى ملاحق هذا البحث . بين الشاعر فى اول قصيدته هذى بدء الصلة بينه وبين المهدى وقال ان المهدى جاءه « يروم الصراط المستقيم » ثم حدثنا بعد ذلك عن حياة المهدى وسيرته فى الفترة التى قضاها معه متتلمذا عليه ، ومنها انتقل إلى دعوة المهدى فقال عنها :

بصحبة شيطان من الجن آيس	وشيطان انس وافقاه على الضر(١)
ولاتنس داعى الاحتياج فثالث	وكم ساقط فى الشر من ألم الفقر
فقال انا المهدى قلت له استقم	وهذا مقامفى الطريق لمن يدرى
وخادعنى بالقول كالمهد ابنكم	ومحسوبكم فى الحب فى عالم الذر

هنا يعلن الشاعر رأيه فى الدعوة فيقول انها من وسوسة شيطان من الجن وآخر من الانس ، ويقول كذلك ان الحاجة بالاضافة إلى الشياطين ـ دفعت المهدى لادعاء المهدية ـ يأخذ الشاعر بعد ذلك فى وصف ما دار بينهما من حوار فى شأن هذه الدعوة وما انتهى اليه ذلك الحوار ، يقول :

فقلت له دع ما نويت فانه	وتالله شر قد يجـر إلى الخسر
وقال له الشيطان بشر ولا تخف	فانك منصـور على البر والبحر
وقد فهم القولين فهم أولى النهى	ومال إلى حب الرياسة والجبر

---

١ ـ تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ٦٤٠

ان هذه القصيدة فى جملتها تفنيد منظوم لما كان يبشر به المهدى ، وفيها ذم لشخصه ، وهى نموذج للمعارضة التى واجهت المهدى من العلماء بايعاز من الحكومة ، وقد اطال الناظم اذ اخذ يعدد بعض ما قال به المهدى واصفا اياه بانه « اكاذيب ابداها .. »(١) وفى ختامها حكم على المهدى « بالجهل المركب »(٢)..

نعود بعد الذى قدمنا عن موضوعات شعر المهدية موضوعا موضوعا ، لنتناول ذلك الشعر وننظر فى مضمونه ككل فنقول انه دار حول الدين والسياسة وان معانيه هى نفس المعاني القديمة التى عبر عنها الشعراء الاقدمون ، فشاعر كالشيخ محمد عمر البنا مثلا لما اراد ان يثير حماس الجنود للقتال قال فيما قال :

والصبر عند البأس مكرمة ومقدام الرجال تهابه الوقعات

حاثا اياهم على الصبر عند الشدائد لان ذلك مما يحمد ، وحثهم ايضا على الاقدام لان الجرىء المقدام يخشاه عدوه ، وترهب ملاقاته فى ساحات القتال ، وكل هذا مما جاء فى شعر الاقدمين ، كذلك لما اراد وصف قوتهم او امتداح ثباتهم قال فى نفس القصيدة :

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم شم الجبال وللضعيف حماة

وهذا الوصف او هذه الصفات التى يخلعها عليهم مما تعاوره شعراء العرب الاقدمون وهو يفعل ذلك بالطريقة التقريرية ولا يغوص فى المعنى ليجعل له ظلالا او يولد منه معاني أخرى ، ومثل هذا كثير ، لا فى شعر محمد عمر البنا وحده بل فى شعرهم كلهم ، فابراهيم شريف الدولابي مدح الخلفاء فى القصيدة التى رثي بها المهدى بقوله :

هو ذاك عبد الله نجل محمد	وسع الورى بالحلم والتدبير
وخليفة الفاروق نجم ثاقب	بضيائه يجلو ظلام الزور
وخليفة الكرار سيف منتضى	بالحق يقطع هام كل كفور

فالمعاني الواردة ههنا هى ايضا مما شاع فى شعر شعراء العصور المتقدمة ، وفيها ايضا مبالغة بعضهم ، فالخليفة عبد الله فى اول الابيات يأخذ شيئا من صفات الله

---

١ - و٢ الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٢٢٧٧

سبحانه وتعالى ، وليست هذه المبالغة بغريبة على شعراء المهدية فقد بلغوا بالمهدى نفسه درجة التقديس ، من ذلك قول البنا فى تائيته :

يا سيدا وسع الانام بحلمه   واستمطرتهم بالمهدى بركات

وقد تلونت معاني شعر المهدية بلون ثقافة شعرائها وكانت اسلامية عربية ، فنراهم احيانا يأخذون من القرآن الكريم كقول الحسين بن الزهراء :

وله الاشارة من «ألست بربكم »(١)   طوعا له وليسمع العلماء

وهو يعنى بهذا ان فكرة المهدية قديمة ازلية – من يوم (اذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)(٢) كما يبدو اثر القرآن واضحا جليا فى أبيات محمد عمر البنا الآتية :

والعمر فى الدنيا له اجل متى   يقضى فليس تزيده خشيات(٣)
ان الجهاد فضيلة مرضية   شهدت بمحكم اجرها الآيات

وفى قوله من نفس القصيدة :

الفخر كل الفخر بيع النفس لله العلى واجرها الجنات

وقوله :

والحور تنتظر اللقا فرحا بهم   وتزينت لقدومهم جنات

وقوله :

فاثرن نقع الموت فى عرصاتهم   واغرن صبحا اذ علت اصوات

وفى قوله :

وزجرت للبكرات دامية الخطا   قد مسها نحو الحبيب لغوب

ونراهم كذلك يذكرون الرحيل وتقويض الخيام فى بعض قصائدهم ، كما يذكرون لعب ايدى النوى وطى الفلا – كمثل قول الشيخ عمر الازهرى فى احدى قصائده التى يمدح فيها النبى :

١و٢ يشير إلى الآية ١٧٢ من سورة الأعراف

٣ – شعراء السودان ٢٧٥–٢٧٨

من هنا

عجبا لربع باللــوى لعبت به   ايدى النوى فتفرقت سكانه
نادوا الرحيل وقوضوا لخيامهم   والصبح قد صدع الدجى سرحانه
يا ظاعنا يطوى الفلا رفقا فان   الركب ضل من السرى وحدانه

وكل تلك المعاني مما ورد فى الشعر العربي القديم ، ونلاحظ كذلك ان بعض شعراء المهدية اخذ من الحديث الشريف لبعض قصائده كالشيخ ابي القاسم احمد هاشم فى احدى مدحاته حيث قال :

ان يرد الوصــل منها ليزيل   حرارات الجفا فى كل حــين
مثلما الجنة حفـــت بالمكاره   لكن بها حــور وعــين

كما انه كان للفقه اثر واضح فى شعر بعضهم ، كقول الشيخ عبد الغنى السلاوى فى قصيدته التى مدح بها المهدى :

هلا رأيتم موجبات الصدق فيما يدعى أو ليس فيه خفاء

ومنه ايضا قول الشاعر الشيخ الحسين بن الزهراء :

اجملت فيها لا أرى اجماله   حقا ولكن للامــور مضاء
ومواضع التفصيل دوني شأوها   لعبت بها من دوني الاهواء

ومن الحديث قول الشيخ عمر الازهرى :

ومن جنده فى الحرب ريح الصبا مع الملائك غير الهاشمى قل الفصــلا
وقد صح ان المصطفى قال فى غد   ستفتح حقا ثم صــدقه المــولى

واذا عدنا إلى قصيدة البنا التائية وانعمنا النظر فى بعض ابياتها نجد انه تأثر ببائية ابي تمام فى فتح عمورية :

السيف اصدق انباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

يقول البنا :

السيف اصدق ناصح فى حقهم   والفتك فيه حسنته أساة

ويقول ابو تمام :

فتح تفتح ابواب السماء له   وتبرز الارض فى اثوابها القشب

ويقول البنا :

فتحت لكم فتحا مبينا واضحا سرت به الارضون والسموات

ويقول ابو تمام :

سماجة غنيت منا العيون بها عن كل حسن بدا او منظر عجب

ويقول البنا :

فنكاية الاعداء احلى من عنا ق خريدة لعبت بها نشــوات

وقد تعرضوا لبعض الافكار الصوفية لكنهم مسوها مسا رفيقا ، ولم يقصروها على قصائد بعينها ولذلك وجدناها فى مدح المهدى ، وها هو ذا الشيخ الحسين بن الزهراء يذكر « الفيض الالهى » فى ابيات من احدى قصائده فى مدح المهدى — يقول :

بنفسى فتى بالشمس رأد الضحى ازرى ونورا يفوق النور من كان والبدرا
تبـدى لنا من ذيل آفاق غيبــه إلى ان تراءى فى العلا بيننا جهرا
و ماكان ذاك الغيب من فرط صوته لذاك السنا من قلبه يظهر الســرا
ولكن فيض الفضل من نفحة الرضا جدير باعطاء المنى العبــدا والحرا
وهيهات كتم الغيب اشراق ضـوئه واسفار وحى فى الدجى يشرح الصدرا
ولما تبدى لى وفاض شعاعــــه تذكرت من نور الهداية لى ذكرا
وامكث ان لم الق من جانب الحمى رفيق بروق عند ذاك الحمى دهرا
وارقــب من فيض الرحيم مراحما ونعماء من ضراء لا تنتهى حصـرا

ويقول الشاعر فى نفس هذه القصيدة معبرا عن تعلقه بالانتقال إلى « العالم العلوى » :

اظــل بذات الضال فى جرع رامة اصلى بظل الضال لى الظهر والعصرا
ارى مغرب الاغيــار اعــتم ظلمة فهيهات هيهات انتقالى ولا بــدرا
اراقب نور الشمس من كوة الحمى طوال الليالى علــنى ان ارى الفجرا
اردد فى تلك الطلول عــــلى الربا تردد ذى حاج ليدركها شهــرا
وان هى لم تفتح مغلــق بابهــا عكفت بذاك الباب اطلبها عشــرا
وامكث ان لم ألق من جانب الحمى رفيق بروق عند ذاك الحمى دهرا

ووجدناها ايضا فى مثل هذا الابتهال الذى نظمه محمد بن الطاهر المجذوب

متضرعا مظهرا ضعفه ازاء قوة ممدوحه :

نور بدا من قبل نشـــأة آدم   منه الوجــود جميعه متخلق[1]
فأبو الحقيقــة احمد ان رمته   وابو المجــاز آدم قد حققوا
سبق الوجود جميعه فى الفضل بل   فى الحشر ايضا قد يسود ويسبق
وهو المنير اذا القيامة اظلمت   وهو الشفيع اذا الرؤوس تطرق
وهو الشجاع اذا العدا قد اقبلت   وهو الجواد اذا الورى يتضيق
يا سيدى اني مدحتك قاصـــدا   من فيض جاهك اننى قد اعتق

وهنالك ما يدل على تأثرهم بفلسفة الاقدمين كاشارة الشيخ الحسين بن الزهراء إلى ما قاله ابن سينا عن النفس ، وذلك فى همزيته الشهيرة بقوله :

عاش ابن سينا جهده او صافها   بشــفائه فاذا هى العنقـــاء
دقت ورقت وارتقت فى سكرة   بلمى شــفاه دونه الصــهباء
كيف التوصل والقوى نهت السرى   اذ مسها من ضعفها الاعيـــاء
فتنزلت حاجاتها فى سوح من   بحمولهـم تتنزل الضعفــاء
وتركتها وكفى لقــائي مرة   اذ لايـدوم مـع الزمان لقاء
تلك التى جهد الزمان لوصلها   وله بذلك غـــدوة ومساء
حتى بالطاف المهيمن مكنـت   اغراضــه منها يد بيضـــاء

وسواء اكان مراد الشاعر من ابياته هذى ان «يربط ما قاله ابن سينا بفكرة المهدية» (٢) أو « ان يقول ان النفس كانت حائرة ضالة عزّ فهمها على ابن سينا وغيره من الفلاسفة . وانها ما تزال تجاهد والقوى المادية تحول بينها وبين غاياتها الروحية السامية حـــتى لطف الله فوصلها بالمهدى فبلغها ما تريد»(٣) فان الابيات تشهد لنا باثر الاقدمين وثقافتهم فى معاني شعراء المهدية ، وغير هذه الابيات كثير مما يثبت هذا، ومما يدل على انهم اغترفوا من تلك البحار الزاخرة ، الا اننا نقول ان معانيهم مع انها قديمة ، فانها ليست « معاني مستعملة قد فقدت لمعانها » لاننا نجد فيها ما كان

---

١ – تاريخ الثقافة العربية – عابدين ١٩٥
٢ – الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٢٨٣
٣ – الشعر السوداني فى المعارك السياسية مم على ١٨٢

عليه اولئك الشعراء من علم ، ومن حماس لافكارهم وغيره على دينهم ، واحيانا يدل بعض تلك المعاني على ماكان يخالج الانفس كبعض قصائد الشيخ الحسين بن الزهراء بابياتها الغامضة ، وبعض ابيات البنا فى التائية التى عبر بها عن استيائه مما فى الخرطوم ، وعلى ايه حال فاننا نرى بل نعتقد ان القارىء المتخصص أو المثقف لا يمل قراءتها لانها وان كانت متأثرة القديم الا انها لا تخلو من لمحات تكشف عن الشعراء وعن البيئة السودانية فى ذاك العهد وتدل على خلق اصيل فى اهل السودان الا وهو التعلق بالتراث والاعتزاز به، ومنها نعرف ان البيئة السودانية بصفة عامة كانت بيئة متدينة ، للتصوف فيها سلطان قوى ، وقد وضح اثر الدين والتصوف فى الشعر لان الشعراء كانوا من رجال الدين ، بل كانوا فقهاء ، اساس ثقافتهم القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، وقد اضافوا إلى ذلك ما درسوه من الفقه وفروع الدراسات الدينية الاخرى . وقف هؤلاء الشعراء بجانب المهدى يؤيدون دعوته ويدللون على صحة مهديته فى قصائد المدح وقصائد الرثاء والوصف وبما ان هذه الدعوة دينية وصاحبها زاهد تقى ورع فقد زاد هذا من الاثر الدينى فى معاني اولئك الشعراء كما رأينا فى الامثلة المتقدمة . وقد صبغ هذا التأييد المعاني أو القصائد بصفة عامة مدحا كانت أو رثاء أو غير ذلك بالصبغة السياسية لانهم كانوا يذمون خصوم المهدى ويعيبون على الترك أساليب حكمهم ، كقول الحسين بن الزهراء :

والله دمر من طغى واباده حتى تولى قتله الضعفاء

وكقول الشيخ محمد عمر البنا :

ورهبتم العلج الكفور بسيفكم	والدين تصلح شأنه الرهبات
....	....
فانهض إلى الخرطوم ان بسوحه	اهل الغواية والمفاسد باتوا
بطروا وراءوا ثم صدوا معشر	فى الله لم تعرف لهم رغبات
وتكبروا وعتوا عتوا فائقا	والله اكبر والسيوف عداة

وكما كان للمهدى شعراء يواجهون خصومه كذلك كان للحكومة شعراء واجهوا المهدى بالهجاء والتكذيب ، ويكفينا من ذلك ما جاء فى قصيدة الشيخ

محمد شريف :

لقد جاءني في عام « زع » لموضع على جبل السلطان في شاطىء البحر (١)

والعجيب ان هذه القصيدة التى نظمت للتقليل من شأن المهدى وتكذيب دعوته بايعاز من الحكومة حوت وصفا مفصلا لمظالم الاتراك التى رفض الناس من أجلها حكمهم ، وهذا هو الوصف :

وما أبت السودان حكم حكومة ... إلى ان اتي ضعف المطاليب من مصر

فكالثلــث والثلثين للمير وحده ... وللشيخ والنظار اضعافه فــادر

بضرب شديد ثم كتف مــؤلم ... ومن بعده الالقاء في الشمس والحر

واوتاد ذى الاوتاد من بعض فعلهم ... واشنع من ذا كله عمل الهـــر

ان ما قلناه عن معاني شعر المهدية يمكن ان يحدد ولو بصفة عامة نوع اخيلة ذلك الشعر ، فالمعاني كما بينا قديمة أو سائرة فى نهج القديم فالشجاعة تقرن دائما وابدا بالاسد ، والثبات يمثل فى كثير من الحالات بالجبال الشماء ، والفصاحة والبيان يقاسان بمقياس اهل العصور الماضية ، وثقافة العصر وعلمه يشدان شاعر المهدية اليهما شدا ويحكمان وثاقه فلا يستطيع ان ينطلق ويجوس فى رحاب البيئة السودانية ليبتكر أو يجدد تلك المعاني القديمة التى يتعلق بها ويشغف باصحابها . فهل يمكن مع هذا ان تكون اخيلة شعراء المهدية من النوع المجدد ، انهـا لم تكن كذلك ، كان الخيال فى شعر كل منهم خيالا مقلدا ، ولم يكن الخيال ليتسع أو يعمق ليصور لنا بعض التجارب الشخصية ، فحياة شاعر كالشيخ الحسين بن الزهراء الذى نشأ فى احدى قرى ارض الجزيرة بلد الزراعة والاخضرار ومجرى النيل الأزرق العاتي لم تبرز لنا ، بل لم يلح لنا من بعيد شيء عنها . اننا نعلم ان هذا الشاعر هاجر إلى مصر وعاش فيها فترة من الزمن ، لكن شعره لم يسجل أى حدث من الاحداث ، مع ان الرحلة فى ذاك الزمن وبتلك الوسائل رحلة شاقة لان الطريق طويل ، ومثيرة لتعدد البقاع أو الاماكن التى يجتازها المسافر . ثم اقامته فى مصر مغتربا عن أهله ، ومصر بما فيها تكوّن مجتمعا فريدا اذا قيست بالبلدان التى عرفها الشاعر أو رآها او عاش فيها ، لقد اكتنف تلك الاقامة جو اجتماعى خاص كما

---

١ - تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ٦٤٠

انها تمت فى جو طبيعى مختلف عن جو موطن الشاعر ، الا ان ذلك كله لم يترك اثرا ولو يسيرا فيما وصل الينا من شعر الشيخ الحسن . ألم يلفت نظر الشاعر أو لم يثر اهتمامه اى شيء من كل الذى ذكرنا ، الم يقع له أى حادث طريف ؟ وشاعر مثل الشيخ محمد عمر البنا ولد فى مدينة رفاعة الواقعة على ضفة النيل الازرق الشرقية وهى مدينة زراعية تحيط بها اراض خصبة شاسعة يملكها الاهلون ويشتغلون بزراعتها بعد هطول الامطار فى فصل الصيف ، وموسم الزراعة المطرية فترة محببة لسكان تلك المدينة لان الحركة تنتشر فى مجتمع المدينة ، الباعة يحضرون البذور الجيدة والحدادون يحضرون آلات الحفر والجرف والتنظيف والنساء والخدم فى داخل المنازل يعدون اواني المياه والطعام ، والرجال يجندون العمال الزراعيين من اولادهم واقاربهم وأهلهم أو من الاجراء ويشرفون على تزويدهم بالآلات ونقلهم إلى مناطق الزراعة واعادتهم . وهكذا تفيض رفاعة حركة وحيوية إلى ان تحيط بها الخضرة – خضرة سيقان الذرة ثم يأتي الحصاد لينشغل الناس أكثر وأكثر ، ولقد ظلت هذه المدينة هكذا منذ فجر تاريخها ، تعنى بالزراعة المطرية وتحتفل بها كما تعنى بزراعة الشواطى بعد ان يغمرها نهر النيل فى زمن الفيضان وينحسر عنها . هذه البيئة الزراعية هى مسقط رأس الشاعر محمد عمر البنا لكننا نبحث عنها فى شعره فلا نجدها ، ولا نجد تجربة من تجاربه أو تجارب غيره فيما بين ايدينا من شعر . سافر الشاعر ايضا إلى مصر واقام هناك لكن شعره لم يرو لنا عن رحلته إلى مصر أو عن اقامته أو علاقاته الاجتماعية فيها .

ان كل الذى ذكرنا حافل بالصور الحية ، ويمكن ان يكون كله أو بعضه مثيرا للخيال ، محركا الشاعرية ، كما يمكن أو يحوى كله أو بعضه كثيرا من التجارب الشخصية والاحداث العامة او الفردية ، لكن خيال هذين الشاعرين لم يكن من النوع الذى يمتد او يغوص ليبتكر ، لم يكن كما قلنا من قبل من النوع المجدد بل كان مقلدا . وما قلناه عن هذين الشاعرين يصدق على شعراء المهدية الآخرين ، فكل منهم عاش فى بيئة ذات سمات اجتماعية وطبيعية خاصة ، وكل منهم خاض تجارب شخصية وشهد حدثا فرديا واحداثا جماعية معينة لكنهم لم يتركوا لنا صورا لشيء من ذلك فى شعرهم ومهما يك من شيء فاننا نجد من الصور

الشعرية عامة قدرا يسيرا يتمثل فى قول الحسين بن الزهراء حين اعلن فى مطلع همزيته عن الابتهاج بظهور المهدى حث قال :

والشمس فى اوج العلا من مغرب ... بهرت عليها هيبة وبهـــاء
والبدر قابلهـــا فتم كمالـــه ... وتقلـــدت بعقـــودها الجوزاء
ودرار افلاك العلا درات على ... اقطابها فزهت بها العليـــاء
وتكاملـــت فى كل مجد انجد ... لما استقام زمانها الاشـــياء
ما ان ترى الا جميـــلا زاهرا ... بهرته فى حـــلل البها زهـــراء

وهذه الصور كلها مفردة اعتمد الشاعر فى تركيبها على الاستعارة وبعضها غامض لا يتضح للقارىء وان تمهل وانعم النظر ، وفى قوله من نفس القصيدة :

وسموا خراطيم الشقا بجوازم ... بيض بكت آثارها بيضـــاء(١)
نوح الحمام(٢) تنوح غير موسد ... بعد الوســـاد وعينها وســـناء
تنشاق بعد عبير عنبر مسكها ... رمم الانام وذا التراب وطـــاء
وبنات آرام ترامت من ذرى ... اوج العـــلا ما عندهن غطاء

نرى فى هذه الابيات الاربعة صورا مفردة قوامها الاستعارة ، وفى بعضها ايضا غموض يضيق به القارى أو يحار فيه ، ونجد كذلك شيئا من هذه الصور المفردة التى تعتمد على الاستعارة والتشبيه فى تائية محمد عمر البنا ، وذلك كقوله :

والخيل ترقص بالكماة كانها ... تختال فى ميدانها فتيـــات
فأثرن نقع الموت فى عرصاتهم ... واغرن صبحا اذ علت اصوات
وذباب اسـياف المنية فوقها ... رعفت دما وجلاؤها الهامـــات
والارض سالـت بالدماء وما بها ... غـــير الجماجم والشعور نبات

ومن الصور المفردة التى تقوم على الاستعارة قول البنا فى بائيته التى مدح بها عثمان دقنة :

والدين اصبح ضاحكا فى ثغرهم ... والشرك حـــل بربعه التخريب

---

١ – شعراء السودان ١١ – ١٢
٢ – لعله يريد « نواح »

بعثت لهم همم الجهاد ملابس النصر العزيز يزيده التصويب

فلطالما عين الشريعة اسهرت ذلا وذرف دمعها المصبوب

....

يتفجر العرفان من اسراره للرائدين ومن اليه يؤوب

ومنها ايضا ماجاء فى مرثية الشيخ ابراهيم شريف الدولابي :

ومن اهتدى بهداه اصبح داخلا سور الرضى اعظم به من سور

وتفيض بالجود الكثير يمينه ابدا بلا منّ ولا تكدير

واذا توارت فى الثرى شمس الهدى فهناك بدر هدى عظيم النور

احيانا نجد فى شعر المهدية صورا مفردة قوامها التشبيه ، ويتمثل هذا فى قول الشيخ ابراهيم شريف الدولابي فى مرثيته :

طلق المحيا خاشعا متواضعا كهف الفقير وجابر المكسور

وخليفة الفاروق نجم ثاقب بضيائه يجلو ظلام الزور

وخليفة الكرار سيف منتضى بالحق يقطع هام كل كفور

ويتمثل ايضا فى احدى قصائد الشيخ عمر الازهرى التى مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم ، حيث قال :

بحر الصفا ذاك المصفى من مصاص شيبة الحمد غدا جثمانه

وكذلك فى قصيدة أخرى من قصائده :

اذا ضل عقلى فى ظلام شعوره هداني محيا منه مصباح راهب

وحبى له لم يخف فى الكون امره كحب العلا مصباح افق الجوائب

ونجد امثلة أخرى للصور المفردة القائمة على التشبيه فى شعر الشيخ محمد عمر البنا ومن ذلك :

متواصل الاحزان ألجأ للبكا سهر الجفون كانني يعقوب

ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا او غولبوا فعدوهم مغلوب

ما ضر عثمان الهزبر اخا التقى   من بعدما اسداه قط عصيب

وكقوله ايضا فى احدى مدحاته :

كأن ضياء انجمه علينا   ايادى الشهم عثمان الجواد

ومن الامثلة ايضا قول الشيخ الحسين بن الزهراء :

عماد الهدى اس الجدى معدم العدا   بدا واليه الناس فى الارض نجع
ملاك اساطين الخلافة كفوها المعد   لها الحصن الحصين الممنع

ادرت سراج الفكر فى افق خاطرى   فلم الق من فيه الكمال مجمع

وفى احدى قصائد محمد الطاهر المجذوب نجد امثلة للصور المفردة التى رسمها الشاعر بالتشبيه ، قال :

يا طالما صدنا بها   صيد الغضنفر للثعالب
جيشا يرن سلاحه   كالرعد اذ ما المزن صائب

بالمشرفى كأنه   وقع الصواعق فى المضارب

ونثز فى ارجائها   كالليث اذ نشب المخالب

فتجاذبتهم خيلنا   ترمى بهم رمى الثواقب

ان الامثلة على هذا الذى ذكرنا من الصور المفردة التى تعتمد على الاستعارة والتشبيه كثيرة فى شعر المهدية لا تكاد تخلو منها قصيدة لاسيما صور الاستعارة ، لكننا على اية حال نرى ان شعراء المهدية خطوا بالشعر العربي الفصيح خطوات فاق بها ماقيل فى العهدين السابقين – عهد الفونج والعهد التركى ، فاذا انعمنا النظر فى معاني محمد عمر البنا والحسين بن الزهراء ومحمد الطاهر المجذوب . و « قسناها بما نظم » فى ذينك العهدين فاننا نجد « فيها م[illegible] ائع »(١) ، ومصداق ذلك نجده فيما

---

١ – الشعر السوداني فى المعارك السياسية م . م على ١٨٤

قاله البنا عن معارك الانصار وجهادهم فى تائيته . وما قاله الحسين عن « النفس » والمهدية فى همزيته . وفيما تكشف عنه بائية محمد الطاهر المجذوب (هندوب تعرف صبرنا) من اعتداد وحماس واعتزاز ، كما اننا نحس شيئا من حرارة العاطفة فى بعض مراثي المهدى ، ولا نجد تلك الحرارة أو نحس شيئا مثلها فى مراثي ذينكم العهدين . الا ان هؤلاء الشعراء ، مع انهم خطوا بالشعر خطوات فاق بها ما نظمه الشعراء الذين سبقوهم ، قصروا فى حق مجتمعهم اذ لم تحظ بيئاتهم الخاصة أو العامة بتسجيل شىء من ظواهرها أو حوادثها فى شعرهم ، ولم تجد الصلات الشخصية أو العلاقات الانسانية مجالا فيما نظموا من شعر ، لذا خلا شعرهم من « ملامح الشعب هذه الملامح الحقيقية التى كان يجب ان تتضح وتظهر[1] » ولم يتعرض ذلك الشعر لالآم وآمال المجتمع السوداني .

ان شعراء المهدية جميعهم عنوا باوزان قصائدهم عناية فائقة فيما يبدو اذ جاءت تلك القصائد فى مجموعها سليمة الوزن مطابقة للقواعد العروضية المعروفة كما جاءت سليمة القافية . ولحرصهم الشديد على صحة الوزن والقافية اضطر بعضهم احيانا إلى الحشو لاقامة الوزن كقول الشيخ الحسين ابن الزهراء :

اظل بذات الضال فى جرع رامة اصلى بذات الضال لى الظهرو العصرا

فليس هنالك ما يدعو للجار والمجرور « لى » لان الفعل « اصلى » يتعدى مباشرة فيقالى « اصلى بذات الضال الظهر والعصرا » والمعنى يستقيم تماما ، الا ان الوزن لا يستقيم بغير الجار والمجرور ولذا اضطر الشاعر لاقحامه ولعل مرد ذلك إلى سلطان اللغة العامية السودانية ، اذ كثيرا ما نستعمل فى حديثنا الجار والمجرور « لى » بعد الفعل المسند المتكلم او المخاطب . فى شعر محمد بن الطاهر المجذوب شىء قريب من هذا فهو يعدى الفعل بحرف الجر والمعنى لأ يقتضى حرف الجر لانه يستقيم بغيره غير ان الوزن يضطر الشاعر للاتيان باللام وذلك فى قوله :

هنـــدوب تعرف صـــبرنا كيف ارتكـــبنا للمصاعب

يـاطـــالما صـــدنا بهـــا صـــيد الغضنفر للثعـــالب

---

١ – الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٣١٥

نحيي ..دين الله بـــــل   في شـــأنه نلقـى المصاعب

حيث استعمل لام الجر بعد متعد ثلاث مرات اذ قال « ارتكبنا للمصاعب » والفعل هنا يتعدى مباشرة فيقال « ارتكبنا المصاعب » ، وقال ايضا « صيد الغضنفر للثعالب » والمصدر ههنا يتعدى كفعله فيقال « صاد الغضنفر الثعالب » او في حالة استعمال استعمال المصدر « صيد الغضنفر الثعالب » ، كذلك الفعل « نحيي » اذ يقال « نحيي دين الله » دون حاجة إلى لام الجر لكن الشاعر يعرف ان الوزن سيختل اذا عدى الفعل مباشرة لذلك جاء باللام بعده ليسلم له الوزن كما سلم له في البيتين السابقين ، وقد فعل مثل هذا عمر الازهري في قوله :

نادوا الرحيل وقوضوا لخيامهم   والصبح قد صدع الدجى سرحانه

فعدى قوض « باللام » وقوله : و

واذا وعى لكتابه يلقى غدا   معه كتاب منك فيه امانه

حيث عدى الفعل « وعى » باللام ، ولاستقامة الوزن لابد من ضم الدال في « نادوا » مع أن الفعل معتل بالالف .

اننا نجد شيئا من ذلك في قصيدة عبد الغني السلاوي الهمزية التي رفعها للمهدي — قال :

الله أكبر لا ارتياب لديه   والجاحدون له اذن اعـــداء

فجاء بالجار بعد اسم فاعل ينصب المفعول مباشرة كفعله ، فقال « الجاحدون له » بدلا عن « الجاحدوه » وقد اضطر لذلك لاقامة الوزن ، كما اقحم الشاعر الجار والمجرور « لي » في بيت من ابيات القصيدة نفسها حيث قال :

ان الزمان هو المحاول صرعتي   ويدي لدفع اذاه لي شـــلاء

والمعنى لا يحتاج اليهما ، بل انه ليستقيم اذا قيل « ويدى لدفع اذاه شلاء » بالاستغناء عنهما تماما ، وهذا يعنى انهما حشو أو زيادة اريد بها اقامة الوزن ليس غير ، ولعل الشاعر كزميله الحسين ابن الزهراء لم يستطع التخلص من سلطان اللغة العامية

السودانية التي يكثر فيها استعمال « لى» بمعنى « نيابة عنى » او « من اجلى » بعد الفعل المسند إلى المخاطب ، ومهما يك من شيء فان هذا الاستعمال فى أية صورة من صوره ، أو ايه حالة من حالاته يكشف ضعفا فى النظم لكن النحاة استثنوا حالات تأتي فيها اللام بعد المتعدى كقوله تعالى : « الذين لربهم يرهبون » ويسمونها لام التقوية . ومن الوزن غير السليم قول عمر الازهرى :

وليس له وقت ولا آخر يرتجى ولا أول حتى تظن الهوى سهلا

ان الشيخ الحسين بن الزهراء — رغما عن علمه ومقدرته — وقع فى خطأ ، نحوى ظاهر لا يغتفر لمثله ولا يفسر الا بحرص الشاعر على قافيته ، وقد جاء هذا الخطأ فى قوله :

وهمى وجاد على الانام بما ترى من غيثه الهامى عميم سماء

حيث تقضى قواعد النحو بان تكون كلمة « سماء » مجرورة بالاضافة بالكسرة الظاهرة ونحن نعلم ان قافية هذه القصيدة مضمومة :

برح الخفا ما الحق فيه خفاء وتوالت الآيات والانباء(١)

ولذلك اضطر الشاعر إلى ان يرفع المجرور كما يضطر القارىء ، ليستقيم القافية والا كان اقواء

من الاخطاء النحوية ايضا ما وجدناه فى احدى قصائد الشاعر محمد عمر البنا حيث قال فى البائية :

قد سالمته يد النوائب فانثنت جذلانة بوداده وتطيب

اذ ربط الجمله الحالية (تطيب) وهى مبدؤة بمضارع مثبت . ربطها بالواو وهذا يخالف قواعد النحو ، اما « جذلانة » فعلها تصح فى لغة بعضهم غير أن القياس « جذلى » وفى قوله منها :

لا شك ان الله اكرم ذا الفتى واقامه للدين نعم رقيب

برفع مخصوص نعم « رقيب » وهو اسم نكرة ، وقواعد النحو تقضى بان يجىء منصوبا فى هذه الحالة فنقول « رقيبا » ولم تخل قصائد الشيخ عمر الازهرى من

١ — شعراء السودان ٧

بعض الاخطاء النحوية فنراه يقول فى احداها :

وبعد ذا مـلأته حكمة وكـذا   علما وسرا خفيا كان رباني(١)

رافعا « رباني » ومن حقها ان تكون منصوبة خبرا لكان ، ولايمكننا ان نظن ان الشاعر اعتبر كان فى هذا التركيب تامة ، يقول الشاعر نفسه فى قصيدة أخرى :

والظبية اشتكت الوثاق فحلهـا   واتى البعـير له يجر جـرانه
ولام معبـد آية رحلـت بها   من كل حى يا فتى فتيـانه(٢)

والقصيدة التى أخذنا منها هذين البيتين مضمومة القافية ، لكن « جرانه » مفعول به منصوب بالفتحة ، ولا يمكن ان تكون مرفوعة الا اذا تعسفنا وبنينا الفعل قبلها للمجهول ، اما « فتيانه » فهى مجرورة بالاضافة ، ولا سبيل إلى ضم آخرها الا اذا اقوينا . وفى قصيدة الشيخ عبد الغنى السلاوى نجد هذا الخطا النحوى فى البيت :

آياته نسجت بمحكم ناسج   ولواؤه بالنصر نعم لـواء(٣)

حيث جاء بمخصوص نعم مرفوعا وهو نكرة :

فى بعض قصائد المهدية اخطاء لغوية منها ما نجـده فى قصيدة عبد الغنى السلاوى سابقة الذكر فقد جمع « كافر » على كفراء فى البيت :

ما هديه غير الكتـاب وسنة   والتاركون لذاك هم كفراء

واستعمل فى القصيدة نفسها كلمة « اعواء » ، ولسنا نعرف من هذه الماد الا عوى – يعوى – عواء ، والبيت الذى وردت فيه هذه الكلمة هو :

بل مقصدى نظر بعين رضائه   عنى وان لى فى الهواء اعواء

والبيت مع هذا مكسور مما يحملنا على الاعتقاد بأن خطأ مطبعيا قد وقع فيه ، وانه يجب ان يقرأ هكذا :

.. ..   عنى وان لى فى الهواء عواء

ليستقيم الوزن ويزول الخطأ اللغوى :

---

١ – شعراء السودان ٢٥١
٢ – شعراء السودان ٢٥٤
٣ – نفثات اليراع ٨١ .

من اخطاء اللغة ايضا اللجوء إلى الالفاظ العامية كما فعل الشيخ الحسين بن الزهراء عندما قال في رائيته :

وعانيت فيه كل صعب وساهل　　فما شرحت تلك المعاناة لي صدرآ

فكلمة « ساهل » اى وزن فاعل من « سهل » كلمة لا تعرفها اللغة الفصحى ، انما هي عامية ليس غير ، ورودها في شعر فصيح خطأ لغوي لا شك فيه ، وربما يكون من الخطأ اللغوي ايضا استعمال كلمات لا يتضح المراد منها وتتعذر معرفتها مثل ذلك كلمة « امات » في قول محمد عمر البنا في التائية الشهيرة :

قوموا لهم وتأهبوا للقائهم　　ولتقصدنهم في الديار أمـــات

ومثله ايضا الفعل « اردد » في بيت من احدى قصائد الحسين ابن الزهراء وهو :

اردد في تلك الطلول على الربي　　تردد ذي حاج ليدركها شهرا

ان سياق المعنى واللفظ يقتضي ان يكون الفعل « اتردد » لكن كيف اباح الشاعر لنفسه ان يحذف التاء ولا يوجد ههنا ما يبيح هذا الحذف وعليه فيكون هذا الذى وقع فيه الشاعر خطأ لغويا لان سياق المعنى واللفظ لا يقبل غير « اتردد » اما اردد أو اردد فلا تفسدان الوزن ولكنهما لا تنسجمان مع المعنى العام إلى حد ما .

هنالك ظاهرة أخرى اتسم بها شكل الشعر في المهدية ، وهي ظاهرة قصر الممدود . وهي وان كانت من الضرورات المباحة في الشعر الا ان كثرتها لا تحمد ، وكثرة اللجوء إلى اية ضرورة من الضرورات تدل على الضعف ، وها هي ذى بعض امثلة . في شعر الشيخ الحسين نجد قصر الممدود في الهمزية :

برح الخفا ما الحق فيه خفاء
فغدابها يختال في حلل البها
رسم ترقرق بالسنا فله الهنا
وسموا خراطيم الشقا
على القلوب ذوى الذكا
اهل الولاية والصفا الامراء
انعم بامر كان من جد القضا

.. ..

وسمت له رتب الولاء على السما

يضل بها الخريت عن ساحة الزهرا

.. ..واسمعت   خطوب الليالى ذا الندى لبنى الغبرا

.. ..   من الذل يا بن العز يعزى إلى زهرا

أما الشاعر محمد عمر البنا فقد جاء فى شعره من قصر الممدود :

شهدت به يوم اللقا الغارات

والحور تنتظر اللقا فرحا بهم

وتعمرت بثناكم الابيات

.. ..

متواصل الاحزان الجأ للبكا

ويردني من حالة العقلا إلى

والشيخ عبد الغنى السلاوى قصر فى المواضيع الآتية :

وسمت به فوق السما علياء(1)

لاعين النظرا له اضواء

وقد كان مد القصور قليلا جدا ، ولم نجد له الا مثالين فقط واحد فى شعر الحسين **ابن الزهراء وفى الهمزية على وجه التحديد وهو :**

ظهر الهدى وانجاب عنه قذاء

والآخر فى قصيدة عبد الغنى السلاوى وهو :

مهدى الورى من فاض عنه هداء

ومما اتسم به شعر المهدية الزخرف اللفظى ـ أى المحسنات البديعية ، فالشيخ الحسين ابن الزهراء استعمل الجناس بنوعيه الناقص والتام ، وجاء منه فى همزيته :

ولها عليه من الثناء سناء

رسم ترقرق بالسنا فله الهنا

---

1 - نفثات اليراع ٨١ - ٨٢

طارحتها تحف الكلام فنوعت   تحف الملام وهاجها ادلاء
واذا نسيمات الصبا دعت الصبا
دقت ورقت وارتقت فی سکره
تخط خط النار تعرف خط من
هم كالنجوم هدى وفى الجدوى ندى
ما حالهم ما بالهم لم يسمعوا
ما ان ترى الا جميلا زاهرا   بهرته فى حلل البها زهراء

وقد جاء منه فى الدالية ايضا :

يزهى به الانشاء والانشاد
يخطو به تخطو بها الآساد
وعيونها مغضوضة بعيوبها
يوما ولا نوما يراد سهاد

وفى العينية :

قصـور وحور والحبور ونعمة   ومال وآمـال وخـير منـوع
ومالذ فى عينى وقلبى وقالبى   لحسن واحسان له اتضـرع
انادى فلم يذهب ندائي لمذهب   شقائي ولم يجمع شتاتي مجمع

وفى الرائية :

افى الحشر بعد النشر انت منازل
خذوا مَنْ من التبريح ذاب مفارقا
نهاية اعقال العقـول معاقـل

ـــالم يخل شعر الشيخ الحسين من المحسنات المعنوية فقد رأيناه يطابق فى الهمزية ويقول :

يعطى ويمنع من يرى ويشاء
فعلو وما فعلوا ولكن لابهم   رام بهم ولهم بذاك سخاء
من يحفظ التنزيل من يدرى   الذى فيه ومن لم يدر ذاك سواء
ويرى القبيح بداية ونهاية

...... وطورا شدة ورخاء

ويطابق ايضا فى الرائية فيقول :

ايادى عرف لا يرى بعدها نكرا

من الذل يابن العز يعزى إلى زهرا

وليس من الدنيا يعد ولا الاخرى

احيانا يميل الشيخ الحسين إلى تكرار بعض الفاظ بعينها ، كما تتكرر بعض الحروف فى ابيات متفرقة من قصائده ، وهو بهذا التكرار اشاع فى قصائده تلك الموسيقى[1] اللفظية التى تقوم على تكرار اللفظة . فمن تكراره الالفاظ قوله فى الهمزية :

والداء داء والدواء دواء

والارض ارض والسماء سماء

ويرد اشكال الامور اشكلها

علماء امة احمد ناشـــدتكم ردوا جـوابي انكم علماء

ا رضى وترضون الضلال بعدما ظهر الهدى وانجاب عنه قـذاء

أنكون دون الدون من بين الورى

انا عبد عبد استعيـذ بذمـتى

هم والذى برأ الورى هم لاسوى كل النفوس لهم سواى فـداء

خفض عليك فللخطوب ترسل طورا وطورا شـدة ورخـاء

وفى الدالية :

نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر فبـدت لهم من حاجر ازواد

ما بعد طيف خيال ظل خيالها . . . .

فاخبر بنفسك خل اخبار الورى والزاد خـل ولا يعقك بعـاد

. . . . انقى نقى ما عليه سـواد

وفى العينية :

ام البرق فى شطر العقيق ولعلـع فهاجـك يا هذا العقيق ولعلـع

---

1 تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، عابدين ، ٢٠٤

.... وكل بطـــل ذى هموم موجـــع

وفى الرائية :

ونورا يفوق النور من كان والبدرا

اظل بذات الضال فى جـــرع رامة اصلى بظل الضال لى الظهر والعصرا
.... فهيهـات هيهـات انتقـالى ولابدرا
وامكث ان لم ألق من جانب الحمى رفيـق بروق عند ذاك الحمى دهـرا
سبرنا بها بحر المعاني فلم نجـــد لنـا بعد ذاك السبر من احد خـبرا
ألا ليت ذاك السبر ما كان حاصلا ....
فعش هكذا ما هكذا غـــير ماتري من الامـر لاترفـع بامر تـرى امـرا
وسيرت نهج السير مع كل شاحب فمـا رمت امرا قـط لى يسر الامرا
ودوني ودون الملتقى كل شاهـق ....

ومن تكراره الحروف قوله فى الابيات الآتية من داليته حيث ترد الجيم فى البيت الاول اربع مرات والدال خمس مرات ، وفى البيت الثاني ترد الجيم ثلاث مرات وفى الاخير مرتين :

الامر جد والخطوب جـــداد وجنود مهدى الورى امجـــاد
نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر فبـدت لهم من حاجر ازواد
مهج تقعقع فى شتات جسومها فكأنهـــا بنشـــيدها اعواد

كما تكررت القاف خمس مرات فى البيت :

اقضى المقالة فيه حق كله انقى نقى ما عليه ســـواد

وثلاث مرات فى البيت :

الحق جاء وللمناكر قاتل وعلى الفعال من المقال ممزاد

وفى عينيته تكررت الكاف ثلاث مرات فى شطر من بيت :

كذا فليكن من شاء اعلى مكانته

وفى الرائية كرر الضاد ثلاث مرات فى شطر من بيت ايضا :

ـــــ ولكن فيض الفضل من نفحة الرضا

أما الشيخ عمر الازهري فقد حفلت قصائده التي وقفنا عليها بالجناس ، ولعله أكثرهم استعمالا لهذا الضرب من التحسين اللفظي . ومن ذلك قوله :

تألق البرق من نجد فاشجاني ... قرب البعاد وهاج اليوم اشجـــاني
فان اشار بطرف العين هم حملوا ... او البنان فقد بانوا عن البـــــان

ـــــــــ

هاجوا وماجوا كأن قامت قيامتهم ... .
وبعد ذا قيل اموا الجزع ثم ولا ... علم ولا علم عن حبهم ثاني
فصرت أحير من ضب واذهل من ... صب عدمت الذي في الحب يلحاني

ـــــــــ

مستفتيا جئت فتيانا فتنت بهم ... فما فتى فات بي عنهن افتـــاني

ـــــــــ

وحسن ظني بسكان العذيب فمذ ... وردت ماء العذيب العذب اظماني

ـــــــــ

وكم اطلت وقوفي بالهضاب وكم ... سفحت بالسفح عنهم دمعي القاني

ـــــــــ

. . . . غاضت فغاظت جميع القاصي والداني

ـــــــــ

وهو الذي جازت الجوزا مراتبه ... .

ـــــــــ

. . . . غدا القصور قصارى كل انسان

ومنه ايضا ما جاء في قصيدة أخرى من قصائده :

عجبا لربع باللوى لعبـــت بـه ... ايدى النوى فتفرقت ســـكانه

ـــــــــ

. . . . الا وخـــد خــده هـتانه

ـــــــــ

. . . . افتى فـتاك بذاك او شيطانه

ـــــــــ

لولاه ما كان الوجود ولم يكن ... ملك ولا ملك ولا اعـوانه

ـــــــــ

ونجـا نجي الطـور موسى باسم ... .

.... قد ساسه فى فرسه ساسانه

وقصارى قيصر انه قد قصرت ....

ومجى سراقة لاستراق السمع ....

خضعت لعزته الطغاة فاصبحوا لم يغن كلا منهم طغيانه

كما جاء فى قصيدة ثالثة قدر غير يسير من الجناس فى الابيات :

فؤاد عن التبريح والوجد ما كلا علام يقول العاذلون له كلا

عيوني عيوني والدموع مدامعي ....

فقالوا الهدى او هى من الوهم يافتى

محمد المحمود فى الارض سيرة ....

فمن لم يحب بالنار يصلى وان صلى

حمته حمامات الحمى بمغارة وحاكت تحاكيها العناكب جانقلا

وناهيك شق البدر حتى رآه من بمكة او من كان بالحل قد حلا

.... وقد زاد طغيانا ابو مجهل جهلا

نظير نضير فى الشقاء قريظة ويا بدر بدرا ما رأوا مثلها مثلا

بحفى حنين باء جيش حنين ....

.... ليوم الفصل صل سببى وصلا

ولم تخل من المجانسة تلك القصيدة التى نظمها الشيخ عمر وحاز بها جائزة مجلة الجوائب فقد بدأها بقوله :

سلوا عن فؤادى مسبلات الذوائب فقد ضاع من بين القلوب الذوائب

وجانس فى ابيات أخرى منها حيث قال :

رقيق رحيق خصره ورضابه ....

أما وعيون العين لاشيء في الدنى ....

هذا وقد طابق الشيخ عمر مرات قليلة في أبيات متفرقة نذكر منها :

.... غاضت فغاظت جميع القاصي والداني

فان شئت عزا لا يزال مجـــددا لدى اهـــل هذا الفن مـــت ذلا

ان الشعراء الآخرين ، وهم الشيخ محمد عمر البنا ومحمد الطاهر المجذوب وابراهيم شريف الدولابي واسماعيل عبد القادر المفتى الكردفاني وعبد الغنى السلاوى لم يلجأوا إلى التحسين اللفظى الا فى القليل النادر ، ولعلهم لم يلجأوا اليه بل جاء وليد الطبع أو الفطرة البسيطة ، ولذا جاء قليلا نادرا ، وجاءبسيطا فى نفس الوقت تقبله النفس ولا ينفر منه الذوق لانه فيما نرى ينسجم فى التركيب اللفظى العام ويقوى المعنى وها هى ذى بعض امثلة نختارها من شعرهم ونبدأ بابراهيم شريف الدولابي فى مرثيته وابياتها تسعة وثلاثون . فنجد فيها اربع مجانسات ، قال :

اسف على المهدى من مهد الصبا قد كان معصوما عن المحظور

فتح الفتوح ودمر الكفار فى كل البلاد بجيشه المنصـــور

ومن اهتدى بهداه اصبح داخلا سور الرضا اعظم به من سور

فمضى واودع كل قلب حسرة وحشا الحشا ببلابل وسعير

فالمجانسة فى البيت الاول بين « المهدى ومهد » ، وفى الثاني بين « فتح والفتوح » وفى الثالث بين « اهتدى وهداه » ثم فى الأخير بين « حشا والحشا » بسيطة فى فى التركيب لا نجد منها حروفا ثقيلة النطق ، ولا نحس مشقة أو افتعالا فى الصياغة كما ان كل واحدة منها تكاد تكون ضرورية لتقوية المعنى الذى يريد الشاعر التعبير عنه . ثم ننتقل إلى اسماعيل عبد القادر المفتى الكردفاني إلى قصيدته التى وصف فيها قبة المهدى ورثاه بها أيضا . ان ابيات هذه القصيدة تبلغ الثلاثين . ولم يجانس الشاعر الا فى بيتين منها وهما :

بهدى الذى قد قام فينا مقامة   خليفته هادى الورى قامع العدا
امام اجل الله فى الكون قدره   وتوجه تاج القلوب وايدا

وهنا ايضا لا نجد ما نأخذه على هذه المجانسات من حيث الكم او الكيف ، بل اننا نرى انها تزيد المعنى وضوحا وتؤكده . اما اذا انتقلنا إلى محمد الطاهر المجذوب فاننا نجده يجانس فى بعض ابيات مرثيته وهى من سبعة عشر بيتا فيقول :

دهتنا دواه يضرس القلب نابها   ويوقد فى الاحشاء نارا منابها
غداة نعى الناعون مهدينا الذى   به ملة الاسلام جل مصابها
امام الهدى المهدى افضل من دعا   إلى الله مفتاح النجاة وبابها

انه يجانس مرتين فى البيت الاول ـ دهتنا ، دواه ، ونابها ، منابها ، ومرة واحدة فى الثاني ـ نعى ، الناعون وكذلك فى الثالث حيث يجانس بين الهدى والمهدى ، كما ان قصيدته الحماسية ـ « هندوب تعرف صبرنا » وهى من عشرين بيتا . تحوى جناسا فى بيتين فقط ، وهما :

يا طالما صدنا بها   صيد الغضنفر للثعالب
فتجاذبتهم خيلنا   نرمى بهم رمى الثواقب

حيث جانس « صدنا وصيد » فى البيت الاول ، و « نرمى ورمى » فى الثاني ، وهذه المجانسات جميعها وان كثرت فى بعض الابيات ونعنى بذلك بيت المرثية الاول :

دهتنا دواه يضرب القلب نابها   ويوقد فى الاحشاء نارا منابها

الا انها ـ فيما نرى ـ بعيدة عن التكلف والافتعال مكملة للمعنى ، ومجال الرثاء والفخر يحسن فيه المعاني القوية الكاملة ، وكلما كان المعنى قويا كاملا امتلك نفس القارىء او السامع امتلاكا .

نجد فى قصيدة عبد الغنى السلاوى التى يبلغ طولها اثنين وثلاثين بيتا ، جناسا فى اربعة ابيات هى :

معصومة عما يحرم كأسها   فاشربه ثم ادر هناك هناء

ان كنت من انصار مهدينا لنا   مهدى الورى من فاض عنه هدا

فالمجد فيه مـؤثل والفضـل ... منه مؤمـل والناس فيه سواء

امسيت فيه حـليف ود لا ارو ... م به بديلا ان بـدت بـدلاء

فقد جانس بين « هناك وهناء » ثم « مهدى ومهدى » و « مؤثل ومؤمل » واخيرا بين « بديل » « بدت وبدلاء » غير ان مجانسة البيت الاول « هناك . هناء » لا تجدى المعنى شيئا ، ومجانسة البيت الاخير – بديل ، بدت ، بدلاء – متكلفة ولا تضيف إلى مراد الشاعر ما يوضحه أو يزينه .

بقى شاعر واحد من هذه المجموعة التى نتحدث عن الجناس فى شعرها وهو محمد عمر البنا ، وقد وجدنا فى شعره الذى حفظته لنا المراجع قدرا يسيرا من الجناس فى ابيات قليلة وهى :

وتخالهم يوم الجـلاد ضراغما ... اسـد واسل رماحهم غابات

ولقد فتنت وما ظفرت وربما ... فتن المشـوق وفاته المطلوب

فسيوفهم مسلولة ورماحهـم ... مسنونة وعـدوهم مرعوب

وافاد ثغر سواكن امنا وايمانا ... ويمنا ليس فيه عـزوب

نلاحظ فى هذه الابيات ان البنا لم يخرج فى مجانساته عما اتسمت به مجانسات مجموعته من حيث القلة والبساطة وتقوية المعنى وخير دليل على ما نقول مجانسة البيت الاخير (أمن – ايمان – يمن) فلسنا نجد فى وضع الحروف أو الكلمات ما يعتبر تنافرا أو مايسبب عسرا أو صعوبة فى النطق بل ان اختلاف الحركات وحركة الحرف الاول فى كل منها من الفتح إلى الكسر إلى الضم ثم إلى سكون بعد كل من هذه الحركات يشيع فى التركيب شيئا من الموسيقى ، والفرق بين كل كلمة والاخرى فى المدلول يوضح مراد الشاعر ويؤكده .

ابقى بعض شعراء المهدية على شيء من تقاليد النظم التى كانت سائدة فى العصر التركى ومن امثلة ذلك ما التزمه الشيخ الحسين بن الزهراء من اختتام معظم قصائده التى وقفنا عليها بالصلاة على النبى كما كرر الشطر الاول من المطلع فى

واحدة منها وهى الهمزية ، وها هو ذا ختامها :

وعلى النبى وآله صلى الذى | وصل الصلاة فطالها العظماء
وكذاك سلم ذو العلاما انشدت | برح الخفا ما الحق فيه خفاء

كما زاد فى احداها - وهى الدالية - الصلاة على المهدى حيث قال :

وعلى النبى محمد خير الورى | جمل الصلاة كذا السلام يزاد
ولآله والقائم المهدى ما | فتحت باسياف الرشاد بلاد

والصلاة على المهدى امر جديد استحدثه بعض شعراء المهدية ، وقد ختم به هذا الشاعر - الحسين بن الزهراء - قصيدة أخرى من قصائده قائلا :

عليه صلاة دون كيف وعدة واسنى سلام ماتلألأ يلمع

وصلى ابراهيم شريف الدولابي فى ختام مرثيته المهدى على ضريح المهدى قائلا :

صلى الاله على ضريح ضمه ازكى صلاة فى المسا وبكور

كذلك التزم الشيخ عمر الازهرى اختتام قصائده بالصلاة على النبى كما كان يدعو قبل الصلاة لنفسه واهله وغيرهم ويذكر اسمه ، ومن امثلة ذلك قوله :

الازهرى بن عبد الله ذا عمر | الصاردى فعامله باحسان
فاشفع له فى غد يا ابن العواتك | واستغفر له فهو عبد مسرف جاني
واشمل بفضلك اهلى والبنين مع | الزوجات ثم ذوى القربى والخوالى
صلى عليك الاهى يا ابن مدركة | والآل والصحب ما كر الجديدان
يارب واختم بخير فى الممات لنا | والمسلمين كذا واختم بايمان

وقوله فى قصيدة آخرى :

الازهرى الصاردى عمر الذى | زانت بمدحك فى الورى اوزانه
يرجو النجاة بفضل جاه محمد | مما جناه قلبه ولسانه
صلى عليك الله يا نور الهدى | والآل ما برق اضا لمعانه
وعلى الصحابة من اذا دعيت نزا | ل بيوم معركة فهم شجعانه
والتابعين وتابعيهم كلما | قد سح قطر أو اتي ابانه
واختم بخير ربنا لعمومنا | واغفر لنا ما يرتجى غفرانه

وقوله فى قصيدة ثالثة :

وصلى عليك الله يا خير خلقه ... ويا رحمة عمت صبيا كذا كهلا
وآلك والاصحاب والتابعين فى ... طريق الهدى والتابعين لهم فعلا
صلاة بها ترضى عن الازهرى فتى الصوارد فى الاخرى وترضى العلا الاعلى

هذا وقد بدأ قصائده هذى ـ وهى مدحات نبوية ـ بالغزل اما محمد عمر البنا فلم يختم ما وصل البنا من قصائده بالصلاة على النبى ، بل ختم التائية بالدعاء للمهدى ولنفسه وذكر اسمه قبل الختام فقال :

قد قلتها وانا الفقير محمـــد ... ارجو الاقالة ان بدت عثرات
ان لم اكن سلمان بيتـكم الذى ... سترت خطاه بحبكم مرضـاة
فانا الذى خسرت تجارتي التى ... ابغى واسوأ حـال الحسرات
حاشا جنابكم المبرأ ان ارى ... ضيما ولى فى حبكم سـكرات
دمتم ودام ثنـاؤكم متتابعـا ... ما هـب ريح النصر والنسمات

كما ذكر اسمه فى ختام البائية التى امتدح بها عثمان ولم يدع ولم يصل ، قال :

جاءت تخبر عن غرام محمد ... فيكم وتشهد ان ذاك عجيب

وقد لاحظنا ان البنا بدأ بعضا من قصائده التى وقفنا عليها بابيات من الغزل فقال فى مطلع مدحة رفعها للامير الزاكى :

ابدا يؤرقنى عبير شــذاك ... ويزيدني قلقا دوام جفـاك
ويردني من حـالة العقلا إلى ... حـال الخبال تدللى وابـاك
ويزيدنى طربا وحسـن مسرة ... برق تألق من ضـياء سـناك
....

وثانية ، وهى ايضا مدحة . بدأها بقوله :

دعـوني اجتنى ثمر الرقـاد ... وخـلوني اميل إلى الوساد
ألا يا حـادى عيسهم رويدا ... سلمت من الملمات العـوادى
ويا دار الاحبـة خـبرينى ... سقتك هوامع السحب الغوادى

كما لاحظنا ان محمد الطاهر المجذوب اختتم مرثيته المهدى بتعزية الخلفاء وآل المهدى

وفى البيتين الاخيرين من الخاتمة دعا ثم حيى الضريح وها هى ذى ابيات الختام :

عزاء إلى الصديق نائبه الذى	به الملة الغراء شد انتصابها
عزاء إلى الفاروق من كان دأبه	لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها
عزاء إلى الكرار ذى الناصر الذى	لديه يهاب الباترات ذبابها
عزاء إلى الآل الكرام اولى التقى	ليذهب عن هذى القلوب اكتئابها
الا ابلغوا عنا ضريح ابي الهدى	تحايا إلى الله الكريم انتسابها

والشاعر اسماعيل عبد القادر المفتى الكردفاني انهى قصيدته التى وصف بها قبة المهدى مخاطبا من يأتي لزيارة القبر وفى البيت الاخير ارخ للقبة ، وها هو ذا قوله :

فيا زائراً تلك البنية لائذا	بقبر حوى الفضل الجسيم المؤبدا
توسل ببشرى المصطفى متأدبا	لتظفر بالحسنى وتبلغ مقصدا
وقف خاضعا وارج القبول مؤر	خا بقبة مهدى الانام ترى هدى

بعد هذا يمكننا القول بان شعراء المهدية لم يلتزموا نهجا واحدا فى بدء قصائدهم اذ كان بعضهم يبدأ بالغزل احيانا واحيانا أخرى يبدأ بالحكمة كالشاعر محمد عمر البنا ، كما كان بعضهم يدخل فى الموضوع مباشرة دون تقديم فى بعض القصائد كالحسين بن الزهراء ، وكان بعض آخر يلتزم البدء بالغزل كعمر الأزهرى فى ما وصل الينا من شعره ، كما كان فيهم من بدأ بمقدمة خمرية وهو عبد الغنى السلاوى اذ قال :

راق الصبوح ورقت الصهباء	مذ كان فيها للعليل شفاء
ربية نبوية ملكية	مهدية روحية وسماء
شمسية قمرية ما فض	عنها ختمها فى دنها ورقاء

كذلك لم يتبع اولئك الشعراء نهجا معينا فى اختتام قصائدهم ، فعمر الازهرى التزم الختام بالصلاة على النبى ، وقد يسبق صلاته أو يلحقها أو يتخللها دعاء لشخصه واسرته أو دعاء لعامة الناس ، وكان يفعل ذلك فى قصائده التى مدح بها النبى ؛ اما اذا مدح فردا عاديا فانه يدعو لذلك الممدوح كما فى قصيدته التى مدح بها أحمد فارس الشدياق ، وكان يلتزم ذكر اسمه فى ابيات الخاتمة . ومحمد عمر البنا لم

يحرص فى قصائده على ختام معين بل كان احيانا يدعو لممدوحه أو يدعو لنفسه ويذكر اسمه واحيانا لا يفعل شيئا من ذلك ، وقد كان من هؤلاء الشعراء من يختتم بالصلاة على النبى وعلى المهدى فيكرر الشطر الاول من المطلع كالحسين بن الزهراء ، كما كان منهم من يختتم بالصلاة ع لىضريح المهدى ، أو من يضمن بيت الختام كلمات توافق ارقامها الابجدية تاريخ تأليف القصيدية ، وكان منهم كذلك من يتخير خاتمة تناسب موضوع القصيدة لمحمد بن الطاهر المجذوب لما عزى خلفاء المهدى واهله فى الابيات التى اختتم بها مرثية المهدى .

يجوز لنا ان نقول الآن بعد كل هذا الذى لاحظناه من عدم التزام شعراء المهدية نهجاً واحدا معينا محددا فى بدء قصائدهم وفى ختامها ، وما تبين لنا كذلك من التزام ذكر الاسم وعدم التزامه ، وما تبين من غير ذلك يجوز لنا ان نقول ان الشعر السوداني الفصيح بدأ يتخلص فى عهد المهدية من بعض تقاليد النظم التى ورثها من العهود السابقة .

الفصل الثالث

شعراء الحكم الثنائى

الحكم الثنائى قدم للموقف عنصرا جديدا غير اسلامى :

انجلت معركة كررى التى دارت رحاها فى الثاني من سبتمبر سنة ١٨٩٨ عن اندحار جيش الانصار فى وجه القوات الغازية المتفوقة اعدادا وعددا . بعد هذا الاندحار التجأ الخليفة عبد الله ، « رأس الدولة السودانية إلى بعض المناطق الغربية النائية وتبعته ثلة من جنود الغزاة فقضت عليه ، وانفتح الطريق امام اللورد كتشنر وجنوده إلى داخل البلاد ، إلى مدينة امدرمان حاضرة حكومة المهدية » ، الحكومة الوطنية التى اسسها سودانيون مسلمون وساروا بها سنين عددا ، ومنها إلى مدينة الخرطوم عاصمة دولة الترك العثمانيين التى اقامها لهم خديوى مصر فبقيت طاغية مستبدة تحكم الاراضى السودانية باسم خليفة المسلمين السلطان العثماني قرابة سبعين عاما . بقيت هكذا إلى ان قضى عليها الثوار السودانيون بقيادة محمد أحمد المهدى . وما ان تم للقوات الغازية النصر العسكرى فى كل المعارك حتى عمد كتشنر واقطاب السياسة البريطانية الى تثبيت دعائم الحكم الجديد باعلان نوعه وابراز مظاهره وتأكيد ذلك فى كل فرصة سانحة ، فعقب الانتصار « كان من اللازم لكتشنر [illegible] الخرطوم وتأدية فروض الذكرى لغردون فعقدت صلاة على انقاض السراى [illegible] واقيمت حفلة بسيطة رفع بعدها العلمان المصرى والانجليزى على السراى [illegible] لتعليمات تلقاها من كرومر »(١). ان رفع العلمين اعلان لسيادة بريطانيا ومصر ولاشتراكهما فى حكم البلاد ، وقد اكد ذلك اللورد كرومر عندما خاطب الاعيان والزعماء فى امدرمان وقال : « ترون امام اعينكم الآن تينك العلمين يرفرفان من اعلى هذا المنزل وفى ذلك دلالة واضحة على انكم ستكونون تحت جلالة ملكة انجلترا وخديوى مصر فى المستقبل .(٢)» اما الصلاة على غردون وقد اقامها القائد المنتصر والحاكم الجديد فلها دلالتان :

---

١ - السودان فى قرن ، مكي شبيكة ، ٢٨٩

٢ - المرجع نفسه ٢٩٩

اولاهما : ان غردون الجندى الانجليزى المسيحى المتعبد الذى كان فى خدمة خديوى مصر قد اعتبر شهيدا ، وهذا الاعتبار يعنى – فى رأى من اقاموا الصلاة ورؤسائهم – انه مات مظلوما فى سبيل هدف معين أو غرض ارادت قوة ما تحقيقه ، وهذا الاعتبار يعنى ايضا استنكارا لقتله وادانة لمن قتلوه ولمن قتل باسمهم أو فى سبيل نصرتهم ، ومن قتلوه ثوار سودانيون ، اتباع امام له دعوة معينة يرمى بمن ورائها إلى اعلاء كلمة الدين . هؤلاء الثوار حملوا السلاح بقيادة امامهم تأييدا للدعوة وتأكيدا لعزمهم على اعلاء كلمة الدين . ان القتيل من رعايا دولة اوربية كبرى ، ولا شك ان هذه الدولة شغلت بما لحق كرامتها من امتهان لان القتلة سودانيون مسلمون .

ثانيهما : ان لهذا الحكم الجديد سمات مسيحية ، وهذه السمات مظاهر تختلف عما الفه الاهلون من حكامهم فى العهدين السابقين – عهد المهدية وعهد الحكم التركى ، مظاهر لا تتفق مع ماربوا عليه وغرس فى نفوسهم وتناقلوه جيلا عن جيل .

بعد الانتصار والقضاء على ما تبقى من جنود المهدية وانصارها ، وبعد رفع العلمين اتفقت مصر وبريطانيا على تأسيس الحكم الجديد وادارته وحررت وثيقة بذلك سميت « اتفاقية سنة ١٨٩٩ » و « مقدمة الاتفاقية تبين بوضوح ان انجلترا لها ان تشارك فى ادارة السودان بحق الفتح .. وان السيادة تتركز فى انجلترا ومصر ، على ذلك فالسيادة التركية قد ازيلت قانونيا بعدما ازيلت فى الواقع بواسطة الثورة المهدية(١) » وبذلك زادت الشقة بين السودان ومصدر السلطة الروحية بعدا ، ولم يعد لنفوذ الخلافة الاسلامية مهما كان قدره وكيفما كان تصوره مجال فى هذه البقاع التى عرفت السلطان الزمنى مشوبا بالنفوذ الروحى امدا طويلا من الزمن – فى ملك الفونج وقد عرف عن مملكتهم انها « كانت ذات مسحة اسلامية وظاهرة دينية على وجه عام والا لما كانت تتمتع بهذا العدد الوفير من الرجال الدينيين والا لما كان لهؤلاء العلماء والصالحين هذه الحظوة عند سلاطين الفونج حتى ان الواحد منهم ليتوسط فى الامر الخطير ويتوسل به فى الحادث الجلل فينزل السلطان على رغبته

١ – السودان فى قرن ٣٠١

ويجيبه إلى طلبته مما يدل على ان للدين فى نفوس اولئك الملوك سلطانا قويا واثرا بينا »(١). كذلك عرفوه فى حكومة الترك العثمانيين ورثة السلطة الروحية ، وملكهم خليفة المسلمين ، عرفوه فى عهد الحكام الاتراك ، رغما عن ان بعض اولئك الحكام كانوا قساة يظلمون الناس ويستهينون بهم ، وكانوا فجرة لا يتورعون عن ارتكاب الحرام مما انتهى بحكمهم إلى الزوال بقيام ثورة المهدى . مع شيوع الظلم ، ومع ضيق الاهلين وحنقهم ، كان الدعاء لخليفة المسلمين ـ سلطان تركيا ـ يتردد فى المساجد ليثبت الصلة بين الراعى ـ خليفة المسلمين ورعيته فى هذى البقاع وليذكر بها حتى تبقى حيه فى نفوس الرعايا . من بعد هاتين الدولتين جاءت المهدية باسم الدين وحاولت اصلاح ما أخذته على الترك فبعثت الروح الاسلامية . واثارت الغيرة الدينية . كان ذلك فى شيء من التشدد والعسف الا انه احكم رباط السلطان الزمنى بالروحى فظلت الصلة وثيقة محكمة على أن المجتمع السوداني فى تلك الآونة وقبلها كان مجتمعا متدينا ـ آمن بالغيبيات وتعلق بالعلماء والفقهاء وذلك لانتشار الخلاوى والطرق الصوفية مما أدى إلى تغلغل الثقافة الاسلامية فى ذاك المجتمع مع كل هذا وقف كرومر وقال فى احدى خطبه التى درج على القائها كلماء جاء إلى السودان ، قال : « ... ان وقت السماح للمرسلين بالتبشير بين مسلمى السودان لم يزل بعيدا ، ولكن المساعى التى تبذل بين القبائل الوثنية فى المقاطعات الجنوبية تستحق كل ما يمكن من التشجيع والمساعدة »(٢) . بهذه القولة اعلن كرومر ان حكومة السودان الجديدة ومن خلفها بريطانيا تؤيد حركة التبشير فى جنوب السودان وانهما تعطفان عليها عطفا عظيما ، وان ذلك العطف سيترجم إلى عون مادى وأدبي ، وقد بدأ الادبي بهذا الكلام الذى القاه على مسامع علماء السودان وعمده ومشايخه واعيانه ، وتمثل المادى فى الاموال التى اخذت حكومة السودان ترصدها للتبشير والمبشرين وتقدمها هبات سخية مقتطعة من اموال مسلمى السودان وهم الكثرة الغالبة . ان فى هذه القولة تلميحا واضحا ببدء التبشير بين مسلمى السودان عندما يحين الوقت ومعنى هذا ان بريطانيا لم تكن لتكتفى بتأييد الدعوة للمسيحية بين القبائل الوثنية فى الجنوب تأييدا ادبيا وماديا ، بل انها تنوى بدء التبشير فى بقية

---

١ ـ النهضة السودانية مجلد ١ عدد ٢٠

٢ ـ الشعر الحديث فى السودان ، عبده بدوى ، ٣٦١ (عن نعوم شقير) .

اجزاء السودان الاخرى التى يقطنها مسلمون ، ولا يمنعها من تحقيق النية الا الزمن اما اذ حان الوقت وواتت الفرصة فانها ستبيحه وتقدم له عونها عن طريق ممثليها فى حكومة السودان .

ان الحكم الجديد كفل حرية العبادة والاعتقاد للناس . فقد « أكد كتشنر ترك الناس احرارا فيما يعبدون ويعتقدون ، وامر بتشجيع اشادة المساجد العامة فى المدن » وتطرق كرومر إلى اعلان تلك الحرية وتأكيدها فى احدى خطبه قائلا : « ترون ان العهد الذى عاهدتكم عليه وقتئذ من جهة احترام ديانتكم وعوائدكم الدينية قد روعى كل المراعاة .. »(١). الا ان الوفاق الذى تم بين مصر بريطانيا وتضمنته تلك الوثيقة المشهورة (اتفاقية يناير ١٨٩٩) لم يشر بالتصريح ولا بالتلميح إلى حرية العبادة والاعتقاد ، ولم يرد فيهشيء يشبه تأكيد كتشنر أو عهد كرومر الذى ذكر الاهلين به فى خطابه ، كذلك لم يرد فيه مايمنع التبشير أو يبيحه ، ان « الاتفاقية الثنائية لم تنص على أى قيد »(٢) لهذا اصبح للادارة الجديدة ، وقد سيطر عليها اياد بريطانية ، استقلال فى تصريف شئون البلاد وحرية بل حق فى انشاء مؤسسات تمكنهم من الحكم ، وادخال الانظمة التى تعينهم على تسير الاداة الحكومية وبسط نفوذهم فى القطر ـ ان من اول ما فكروا فى ادخاله التعليم المدني بفتح مدارس تعد موظفين يؤدون اعمال الحكومة الثانوية ، وبهذا تكسب الدولة الجديدة كسبا ماديا فالموظف الوطنى لا يكلفها ما يكلفها الاجنبى من اموال ، وكسبا أدبيا لانها بفتحها المدارس تلقى فى روع الاهلين انها تسعى لنفعهم ، وتعمل على ترقية مجتمعهم وتنقيته من كل شائبة . كان من « رأى اللورد كرومر انه لابد من التعجيل ببعض التعليم والتدريب للسودانيين وكان الهدف يرمى إلى غرضين :

١ ـ ربط التعليم بالخدمة المدنية بغية تزويد الجهاز الادارى بمستخدمين فى الدرجات الدنيا .

٢ ـ غرض سياسى المنحى والهدف ويتجه إلى اضعاف الاساس الدينى الثقافى واستبداله باتجاه علماني »(٣) .

---

١ ـ تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ١٣٣٥

٢ ـ الحركة الفكرية ، محجوب ، ٢٠

٣ ـ تقرير لجنة الخدمة ، ٣٣

دخل التعليم المدني السودان ، وقامت مدارسه وأخذت تتكاثر ، والتعليم من حيث هو ليس جديدا ولا غريبا على المجتمع السوداني فقد عرفه قبل مقدم الحكم الثنائي بسنين . عرفه فى الخلاوى العديدة التى انتشرت فى طول البلاد وعرضها تعلم مبادىء الاسلام وتقرىء القرآن وتعنى بحفظه فى الصدور وفوق هذا وذاك تعلم القراءة والكتابة والحساب . ان الخلاوى ، وهى مدارس فريدة فى نوعها ، نشأت وعاشت بجهود الاهلين . فالشيخ وهو الفقيه المدرس يبنيها فى ارضه أو بالقرب من مسكنه بعون تلاميذه وبعض سكان المنطقة ، وقديشيد بجنبها غرفة أو غرفتين للتلاميذ الوافدين من جهات نائية . وان كان للشيخ الفقيه مال ــ ارضا كان او بهائم ــ فانه يقفه على الخلوة ، وكثيرا ما يعيش الشيخ وتلاميذه على ما ياتيه من آباء التلاميذ وامهاتهم من غذاء ، ويقوم هؤلاء التلاميذ بخدمة معلمهم الشيخ ، وتنظيف غرف الخلوة . اما أكثر ما كانوا يقومون به فهو جمع الحطب لايقاد النار التى يدرسون على ضوئها ليلا. ان الشيخ صاحب الخلوة ومنشئها ومديرها ومن يتولى التدريس فيها لا يتلقى اجرا من احد او هيئة ، ولا يكلف الآباء او الامهات بدفع اقدار من المال نظير تعليم ابنائهم ، انه يفعل كل ذلك طلبا للثواب من الله ، ورغبة فى اخراج ابناء المسلمين من ظلمات الجهل ، وطمعا فى نشر المعرفة الدينية بين الناشئين ليشبوا على طاعة الله ورسوله فيكونوا بذلك بارين بوالديهم وذوى قرباهم . لم يكن عون الخلاوى منحصرا فى مجموعة الوالدين الذين ينتفع ابناؤهم منها بالتعليم فيها انما كان غيرهم من الاهلين يبذلون للخلوة وشيخها من مالهم الكثير . ومن هؤلاء عيون المجتمع وموسرو التجار وزعماء القبائل والسلاطين كلهم اغدقوا على الخلاوى وان لم يكن بين تلاميذها بنوهم ايمانا برسالتها وتقربا إلى الله عز وجل ، ورغبة فى منفعة المسلمين. بفضل ما قدم هؤلاء الشيوخ قامت الخلاوى واستمرت فى اداء رسالتها وظلت تفعل ذلك وهى امانة فى عنق المجتمع يرعاها وينفق عليها عن طواعية واختيار .

اولى الناس فى السودان الخلوة فى تلك الآونة عطفهم وعنايتهم ففيها يتعلم ابناؤهم وبفضل ما يتلقون من تعليمها يكونون مسلمين تقاة ورعين ، منهم من يسلك سبيل استاذه فيستزيد من المعرفة حتى يصير فقيها يشار اليه بالبنان ، ومنهم

من يكتفى بمعرفة ما يجب عليه كمسلم ثم يسلك سبيلا آخر ، وتؤدى به معرفته إلى النجاح فيما سلك . كذلك اولوا شيخها – الفقيه المعلم – احترامهم وثقتهم فقد كان يغسل موتاهم ويصلى على جنائزهم ويعقد زواج بناتهم وبنيهم . كما كان يسأل الله لكل منهم او لهم مجتمعين فى اوقات الشدة – يدعو الله لينزل عليهم الغيث ويرفع عنهم الادواء ويقيهم شرور الدنيا والآخرة ، وكان موضع الثقة يستشار فيشير بما يرضى الله ورسوله ، ومعين الطمأنينة يلجأ اليه الخائف أو المحزون فيجد عنده اى منهما ما يبدد المخاوف ويزيل الاحزان . لكل هذا كان للخلوة فى المجتمع السوداني سلطان ، وكان لكلمة الشيخ الفقيه وزن كبير بين الافراد والجماعات ، ولا شك ان انتشار الثقافة الاسلامية وتغلغلها فى المجتمع السوداني ناتج عن نفوذ الخلاوى ومكانتها فى ذاك المجتمع .

لما جاء الحكم الثنائى بنظامه التعليمى الجديد كان المجتمع السوداني على هذه الحالة التى وصفنا من سيطرة الخلوة وتمكن الثقافة الاسلامية . الا ان الحكم الثنائى لم يشأ ان يستغل ما وجد عليه البيئة السودانية من مستوى ثقافى فى مدارسه ، ولعله تعمد ذلك . انما اخذ يغرى الناس ببذل العون المادى للتلاميذ عند التحاقهم بالمدرسة الجديدة وبادخالهم فى وظائف الحكومة بجعل شهرى بعد اكمال الدراسة وبهذا « بدأ التعليم الدينى يذبل ، وتخلو المساجد والزوايا والتكايا من طلبتها .. بيد ان احتضار هذا الجانب التقليدى الهام فى حياة السودانيين كان بطيئا »(١) وكان انتشار التعليم المدني بتزايد المدارس الجديدة اقل منه بطئا فقد ظلت الحاجة إلى الموظفين متزايدة تبعا لاتساع اعمال الحكومة الجديدة عاما بعد عام ، لذلك ارتفعت اعداد السودانيين فى تلك المدارس التى « غلبت عليها الثقافة الانجليزية وخاصة فى القسم الثانوى والاقسام العليا ولم يكن من محيد عن انتشار آداب اللغة الانجليزية وآداب اللغات الاخرى المترجمة للانجليزية بين جمهرة المتعلمين من شبان هذه البلاد »(٢). وعلى هذا يمكننا القول بان معركة كررى لم تكن « هزيمة عسكرية لجيوش الانصار فقط ، بل كانت ايضا اندحار حضاريا لقيم الثقافة السودانية النابعة من الدين

---

١ – الشعر الحديث ، الشوش ، ٣٩

٢ – الحركة الفكرية – محجوب ٢٠ ..

والملتزمة بالمعتقدات الغيبية »[١].

صدى أحداث الثورة فى نفوس الشعراء :

لم يرض السودانيون الحكم الجديد ، ولم يتقبلوا ما جاءهم به الا تقبل المغلوب على امره ، بل ان هنالك بعض احداث تتابعت لتدل على ان بعضهم رفضه وقاومه بالسلاح . وقعت تلك الاحداث بين عام ١٩٠٤ وعام ١٩٢١ ، نذكر منها :

١ – ثورة عبد القادر محمد أمام ود حبوبه[٢]

٢ – ثورة عجبنا وثورة الفكى على فى جبال النوبة[٣]

٣ – تمرد على دينار مع انه استقل بحكم مديرية دارفور[٤].

لكنه لم يكن مطمئنا للانجليز ، بل اخذ يراسل الخليفة فى تركيا . ويصف الانجليز فى رسائله بالكفر والفسق ومعاداة الاسلام والمسلمين ، كما أخذ « يرسل محملا سنويا للحجاز شأن ملوك المسلمين »[٥].

قامت هذه الثورات ، والانجليز ماضون فى تعزيز موقفهم فى السودان فاخمدوها واستمروا فى تلك السياسة التى بدأوها فى نصوص اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، تلك السياسة الرامية إلى بسط سيطرتهم دون غيرهم واقصاء المصريين من مواضع السلطة ومناصب الحل والعقد ، فقصر ريجنالد ونجت الحاكم العام الذى خلف كتشنر وظائف « المديرين والمفتشين على الانجليز »[٦] وكانت نتيجة هذه السياسة ان غضب فريق من المصرين ، وشن الحزب الوطنى المصرى حملة شعواء على الاتفاقية وعلى سياسة الانجليز فى السودان ، ومهما يكن من شىء فقد كانت مصر بصفة عامة بركانا يغلى ويوشك ان ينفجر لاحتلال الانجليز ارضها ولغلبة نفوذهم فى سياستها الداخلية والخارجية ولتسلطهم على شئونها عن طريق حكام ضعفاء من بنيها . فى عام ١٩١٩ انفجر بركان مصر ، وعنف الانجليز فى مقاومته ، وقابل المصريون عنفهم بالاستماتة فاستشهد منهم عدد وشنق بعضهم وسجن آخرون كان لهذه الاحداث جميعها صدى فى «السودان ارتفعت الاصوات داعية للجهاد.

---

١ – تقرير لجنة الخدمة ٣٢

٢ إلى ٥ السودان فى قرن ، مكى شبيكة ص ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢، ٢٤٣

٦ – الشعر الحديث فى السودان ، ع . بدوى ٣٥٥ ، ٣٥٦

هتافات ومنشورات تحض على الثورة »(١) مع ان الحكومة احتاطت « فعملت من جانبها على عدم تسرب اخبار الثورة »(٢). لم ينفع الحكومة احتياطها ، وكان السودان مهيأ للتجاوب فقد حدث ما يقوم دليلا على سخط اهله كما اوضحنا من قبل ، فكان ان تكونت من بعض بنيه جمعيتان ـ جمعية الاتحاد وهى منظمة سرية ، وجمعية اللواء الابيض وكل منهما مناهضة للانجليز . اخذ اعضاء هاتين الجمعيتين على عاتقهم اعباء المناهضة ، وطفقوا ينفذونها بطرق مختلفة منها القاء الشعراء منهم القصائد فى المناسبات الدينية ، كما اشترك فى هذا شعراء من غير الاعضاء ، ونظموا كلهم القصائد الطوال والقوها على مسامع جمهرة المواطنين فى الأحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم او فى عيد الهجرة . كانت تلك القصائد فى الاغلب الاعم تبدأ باعلان الابتهاج ثم تأخذ فى التغنى بالمجد القديم والرثاء لحالة الاسلام والمسلمين فى ذاك الوقت ، واستنكار ما هم فيه من ضعف وما اصابهم من تسلط الغرباء ومن استكانة زعمائهم . نظم الشعراء قصائدهم تلك فى حماس معتدل احيانا ، وفى حماس عنيف احيانا أخرى الا انهم لم يصرحوا بذكر مصر وثورتها فى ما بين ايدينا من شعرهم وقد قيل ان « قصائد الاحتفالات العامة التى قيلت قبل ثورة ١٩٢٤ تعتمل بثورة غامضة، وهى على غموضها سطحية غير واعية ..»(٣) وإن لنا ان نقف ههنا عند امور ثلاثة ـ (١) اعتمال القصائد بالثورة (٢) غموض هذه الثورة ثم (٣) سطحيتها وقلة وعيها ونقول لماذا ظهرت الثورة فى شعر هؤلاء الشعراء ثم جاءت غامضة سطحية غير واعية ؟ اما الامر الاول فطبيعى لان المواطن أو الشخص العادى لا يقبل التسلط والاذلال من بنى وطنه وذوى قرباه فكيف يرضاه من أجنبى يدين بغير دينه ويترفع عليه ؟ ثم هو يسمع ان بعض من تربطهم به صلات قوية يعذبون ويقتلون ويسامون الخسف فى عقر دارهم ، افلا يتحرك المواطن الشاعر المتعلم لهذا ؟ ان غموض الثورة أو وصفها بالغموض وصف غامض فى ذاته فلسنا ندرى المراد منه أو معناه اذ يكفيها فيما نرى انها ظهرت فى الشعر لكثيرين من ادباء اليوم ودارسى الادب وانها جذبت اليها اعدادا من المواطنين وان ما قيل فيها من هذا الشعر اسر اولئك الذين استمعوا اليه فصفقوا للشعراء

---

١ و ٢ الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٣٨١ ، ٣٨٢

٣ ـ الشعر الحديث فى السودان ، الشوش ٥٥

وتكبدوا ما تكبدوا في سبيل جمع تلك القصائد واذاعتها . اما « السطحية وقلة الوعى » فمأخذان كبيران لا تستحقهما هذه الثورة التى ظهرت فى الشعر لأنها أقضت مضاجع الحكم الاجنبى ونشرت شيئا من الوعى الوطنى بين الاهلين وصارت بذلك معلما فى طريق الكفاح ومصدر الهام للمناضلين . لقد فعلت ذلك والحكم الاجنبى فى بداية عهده وهو معتد بقوته مزهو بانتصاره فاقلقته ايما اقلاق وايقظت الشعور الوطنى فى كثرة من المواطنين ، ولو تخطت هذا الذى فعلته إلى سواه لامكنت سلطات الحكم الاجنبى من خنقها فقد كانت كما اوضحنا فى اوج قدرتها وسطوتها وقد زادها قوة استمالة فريق من المواطنين إلى جانبها ، ولم يكن لثورة الشعر هذى سند قوى خارج القطر ، فكيف نتوقع منها ان تكون عميقة مدركة ترسم الخطط وتحدد المبادىء والمذاهب وتولد الافكار فى تلك القصائد، وتدعو إلى تنظيم الفرق المقاتلة وتجنيد المجموعات المحاربة ؟ يبدو لنا ان صفة « السطحية وقلة الوعى » الصقت بها لانها لم : تفعل ذلك ، لكنا نرى انها لو فعلت لقضت على نواة الحركة الوطنية ، فلم تكن سلطات الحكم الثنائى لتتسامح فى عمل كهذا ولو قام لبادرت بسحقه والقضاء عليه قضاء تاما . وبذلك تتأخر الحركة الوطنية سنين عددا ، وتبعا لذلك يتأخر ما تجنيه البلاد منها وهو ما قد جنته بالفعل .

لقد كانت الثورة التى « اعتملت فى الشعر » رد فعل لما حدث فى السودان ، كما كانت صدى لاحداث الثورة فى مصر ، وها نحن اولاء نعرض نماذج من ذلك الشعر الذى عبر به ناظموه عن سخطهم على الحكم الاجنبى واستنكارهم أساليبه مستغلين المناسبات الدينية والدين نفسه . ان هذه القصائد التى القوها « سلاح امتشقوه حين فقدوا اسلحتهم جميعا ، وهى مجال تبصرة واثارة وعى ناضر .. وقد كان معنى الدين هو معنى الوطن عندهم[1] . » لنبدأ هذه النماذج بقصيدة للشاعر عبد الرحمن شوقى فى احتفال نادى الخريجين بعيد ميلاد النبى ، وفى ذاك النادى فى امدرمان وقف الشاعر منشدا فى يوم من ايام عام ١٩١٩ :

نديمى من سلاف الخمر هات وشنفنى بذكرى الماضيات[2]

---

١ — الشعر السوداني فى المعارك السياسية . م . م . على ٣١٢ — ٣١٣

٢ — ملامح من المجتمع السوداني ، حسن نجيلة ، ٧١ عبد الرحمن شوقى مهندس شاعر توفى فى يوليو سنة ١٩٦٠ .



أترضى ان أضام وانت حر   وتسمح ان تلين لهم قناتي

وها هوذا أحمد محمد صالح يقول مخاطبا جمع الخريجين المحتفل بالعيد فى ناديهم :

عيد أغر محجل   والخير فيه اجزل[1]

والناس فى شكر الاله   مكبر ومهلل

فى احتفال بمطلع العام الهجرى عام ١٣٤١ هـ وقف الشاعر الشاب المسيحى صالح بطرس قائلا[2] :

يا من رأى طوق الهلال وقد بدا   يهدى لنا عاما اغر مشهرا

اكرم بطاعته وبهجة نوره   اذ بشرتنا ان سنحمد مخبرا

وفى خاتمة ليالى الاحتفال بميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وقف الشاعر الشاب مدثر البوشى والقى على المجتمعين هذه القصيدة :

نأت بك عن ذات الحجاب الرواسم   فقلبك مقسوم وقلبك قاسم[3]

مدامع تذريها من البين مثلما   همت من حصار المرسلات غمائم

من هذه القصائد كذلك قصيدة الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن [4] ، قال :

لسحرت القلب مما تسجعين   يا هتوف الدوح ، والسحر فنون

لاعدا مغناك منهل الحيا   وتخطتك عيون الراصدين

ومنها ايضا النونية المشهورة التى نظمها الشاعر الشيخ عبد الله محمد عمر البنا تحية للعام الهجرى ، قال :

ياذا الهلال عن الدنيا او الدين   حدث فان حديثا منك يشفينى[5]

حدث عن الاعصر الاولى لتضحكنى   فان اخبار هذا العصر تبكينى

فى أبريل عام ١٩٢٢ جاء إلى السودان زائرا لورد النبى مندوب بريطانيا السامى

---

١ – ملامح من المجتمع السوداني ، حسن نجيلة ، ٦٨ . أحمد محمد صالح معلم شاعر لمع اسمه فى ميادين الأدب والسياسة ، توفى فى مارس ١٩٧٣ .

٢ – ملامح من المجتمع السوداني ، ٧٥

٣ – المصدر السابق ، ١١٣ .

٤ – من علماء المعلمين وشعرائهم ، توفى ١٩٦٤

٥ – شعراء السودان ، ١٧١ – ١٧٢ .

فى مصر فاثارت زيارته الشعراء وجاءت نتيجة الاثـارة قصائد من ثلاثة شعراء توفيق صالح جبريل[1] ، حمزة الملك طمبل[2] وعبد الله عمر محمد البنـا . اما توفيق فقد نظم ابياته وارسلها إلى مصر لتنشر فى احدى صحفها ، وها هى ذى :

يا أيها القوم لا تجروا الذيـولا ... يأنف الحر ان يعيش ذليـلا[3]

سمتمونا العذاب ، ضيقـتم الا ... رض علينا حتى هوينا الرحـيلا

ان اردتم اصلاحنا ، قد فعلتم ... فاعـذرونا اذا مللنا الدخيـلا

ان جر الذيول للغواني ويكنى به عن الترف والدلال والاناقة ، لعل الشاعر اراد أن يقول للقوم لا تتيهوا وتتعالوا !!

والشاعر الثاني حمزة الملك طمبل نظم سينية تذكرنا سينية البحترى فى وصف ايوان كسرى ومطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى ... وترفعت عن جدا كل جبس

وتذكرنا سينية أحمد شوقى التى نظمها فى رحلته إلى الاندلس وقال فيها :

اختلاف النهار والليل ينسى ... اذكرا لى الصبا وايام انس

وكل واحدة من هاتين السينيتين تصور انفعال شاعرها عند وقفته امام بعض آثار عظمة الانسان اما سينية حمزة الملك طمبل فمنها :

انا اهوى الكمال فى كل نفس ... واجل الرجال من كل جنس[4]

واذا جاشت العواطف فى نفسى ... عمدت إلى دواتي وطرسـى

وقال عبد الله محمد عمر البنا :

هى الاخبار آفتها الـــرواة ... وصيقلهـا التثبت والثبات[5]

وفى الحـدثان آلام ، ولكن ... لنا فى كل حـادثة عظـات

---

١ – توفى عام ١٩٦٦

٢ – توفى عام ١٩٦٠

٣ – ملامح من المجتمع السوداني ، ٨٥

٤ – ديوان الطبيعة ٥٢ ، ٥٣ .

٥ – ملامح من المجتمع السوداني . ، ٨٠ – ٨٢ . عبد الله محمد عمر البنا من شعـراء المعلمين وعلمائهم ولد فى مدينة رفاعة عام ١٨٩١ .

فى ليلة من تلك الليالى وقف الشاعر صالح عبد القادر محييا ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :

يا صاحب القرآن نظرة مشفق — الدهر خان وحلت البأساء[1]
عطفا على الاسلام ان شعوبه — اجتيحت وقد لعبت بها الاهواء
عاثت به ايدى الطغاة فبدلت — ازياءه فتجاهل العلماء

هؤلاء الشعراء كل منهم غير راض بواقع قومه ، ساخط حزين لما آل اليه الحال فى بلاده ، لذلك يفزع كل منهم إلى الماضى البعيد المجيد يصف روعته ويعدد مآثره مشيدا برجاله ومدنه الشهيرة . يبغى بذلك استنهاض الهمم التى خارت والعزائم التى وهت ، كما يبغى تعزية نفسه وادخال الامل إلى نفوس اليائسين ، وكلهم فى غضون ذلك يذمون الحاضر ذما لا يخلو من ألم وايلام ، ويمدحون النبى صلى الله عليه وسلم مستغيثين به . سلك هؤلاء الشعراء فى التعبير عما خالج ضمائرهم ، وما أحسوا من سخط وحزن سبيلين مختلفتين — اولاهما سبيل الاعتدال ، والذين اتبعوها اكتفوا — بعد الاشادةبالماضى — بحث الشيب والشباب ومطالبة الحكومة بالاصلاح . فالبنا مثلا يصيح فى قومه :

احبتى ودعاء الحب مرحمة — لا يحزنكم بالنصح تلقينى
ترضون بالدون والعلياء تقسم لا — تدين يوما لراضى النفس بالدون

وفى الثانية يتخذ البنا سمت الحكماء فيتحدث حديث الناصح المجرب داعيا إلى التثبت والثبات « واستخراج العظة مما يحدث رغما عن الآلام . ينتقل من بعد إلى « تشخيص » ادواء المجتمع السوداني التى تفشت فى شيبه وشبابه فقعدت بهم عما يرجى منهم . انه يقدم كل هذا فى اسلوب سليم واضح تزينه رقة الأب العطوف ، وأكثر ما يشعر بهذه الرقة تساؤله :

فما لنفوسهم ذلت فظلت — يلذ لها من الخبز الفتات
وما للناهضين بها استراحوا — وهم فى يوم ازمتها الحماة

وانها لرقة تحمل نقدا وتوبيخا اذ يعرف من يسمع هذه الابيات مواضع الضعف التى يعرضها ويحس توبيخا لانه يعرضها فى قالب الدهشة والحيرة بسؤال محكم الصياغة

---

١ — ملامح من المجتمع السودانى ، ١١٦

كما يحس التوبيخ لان الشاعر يعرض الداء وسببه ويتبع ذلك بعرض ما يرجى من ابناء المجتمع السوداني ، ويتمثل هذا فى قوله :

وهم فى يوم زينتها رجـاء   وهم فى يوم شـدتها الكماة
وهم فى يوم ظلمتها بـدور   وهم فى نحر حاسـدها الرماة

فكأنه يقول لهم انتم اهل لكل خير ، وانتم جديرون بكل مكرمة . هبوا واعملوا لنفع امتكم ففيكم القدرة وبكم مناط الرجاء . يلتفت من بعد إلى لورد النبى مبتدئا الترحيب به قائلا :

وجاء اللورد يرفل فى ثياب   تضم بها المنافع والشكاة

انه ترحيب وقور ، لا يحمل فى عباراته بهجة ظاهرة ولا آمالا كبيرة مشرقة ، ولا يبدو فيه ما ينم عن استنكار الزيارة أو الامتعاض منها . انما يحاول الشاعر ان يستغلها لمنفعة بنى وطنه فيبسط للزائر بعض ما يحتاجون اليه فيقول له :

« انا نفوس للمعالى جائعات » . وفى مواضع أخرى من القصيدة يفصل حاجات بنى وطنه بعد هذا الاجمال ، ويتساءل عن قضائها كما تساءل عن تقصير مواطنيه فى ابيات سابقة من القصيدة بالاسلوب نفسه والروح ذاتها . لم يفت الشاعر مع كل هذا ان يغمز لورد أللنبى القائد المنتصر ، (أللنبى انتزع فلسطين من الاتراك ودخل القدس تائها مزهوا ، بعد الانتصار اصبحت فلسطين تابعة لبريطانيا) بهذا البيت بل بهذا السؤال :

فهل احرزت من عظة نصيبا   وخير الواعظين بها رفات

يواصل الشاعر المطالبة بالاصلاح ، ويلح على البريطانيين فى شخص اللورد الزائر ، ومطالبته تتسم بالتعقل لانها تقوم على شىء من المنطق وتنـأى عن الاستجداء والاستخذاء وذلك لانه يعتقد انهم قادرون على الاصلاح ، كما يعتقد ان الاصلاح يحفظ لهم جميلا عند بنى وطنه ، ويتجلى هذا فى قوله :

وعهـدى ان ايديكـم جميعا   عوامل فى الحوادث ناصبات
وانك ان عطفت افضـت فينا   ايادى تستقل بها الهبـات

يختم البنا قصيدته بانذار — لقد تحدث إلى مواطنيه مرشدا ناصحا مؤملا فيهم الخير

وتحدث إلى اللورد الزائر حديث الحكيم — حديثا ملؤه الثقة بالنفس والرغبة فى الصلاح والاصلاح ، وخاطب البريطانيين فى شخص اللورد خطاب المؤمن بحقه فلم يبق بعد كل هذا الا ان ينذرهم ويبصرهم بمغبة الاهمال والتجاهل فقال :

وفينـا اذ نسام الهـون عزم	منيـع لاتفـل لـه شبات
وفينا فطنـة كملت وطابت	وفينا حـين تبصرنا أنـاة

وممن سلكوا هذا السبيل الشاعر أحمد محمد صالح ، وها هوذا يقتصر على الدعاء فى بعض قصائده التى اوردناها مع النماذج قائلا :

يا خـير من عند الشـدا	ئد والنوائـب يسـأل
اشمـل بلطفك جمعنا	يا رب فى من تشمـل
وافض على نادى المـدا	رس صالحـات تهطل
واجعل بفضـلك اهله	فى نعمة لا ترحـل

لقد احس الشاعر « الشدائد والنوائب » تحدق بقومه ، وبجمعه — تلك الفئة التى اعتادت الالتقاء فى نادى المدارس ودرجت على الاحتفال بالاعياد الدينية وانشاد الشعر والقاء الخطب تذكرة للمواطنين وشحذا لهممهم . ان نادى المدارس يستحق هذا الدعاء ، والشاعر يعرف مكانته واثره وقد احس « الشدائد والنوائب » كما اسلفنا ولذلك دعا له ، « لقد حقق الله دعاء الاستاذ أحمد فقد هطلت الصالحات على هذا الندى فقد انبعثت منه جميع الأعمال الصالحةلخير هذا البلد ، حتى تمت حريته[1] .. » وجاءت « النعمة التى لا ترحل » وهى الاستقلال وشملت الجميع ولم تقتصر على اهل النادى .

تبع أحمد محمد صالح وعبد الله محمد عمر البنا فى هذا السبيل شاعر آخر هو حمزة الملك طمبل . استقبل هذا الشاعر مقدم لورد للنبى بقصيدة اوردنا شيئا منها ضمن النماذج ، وهى فى رأينا لا تمثل ترحيبا بالزيارة ولا تحمل ابتهاجا بها ، كما انها لا تحوى استنكارا صريحا أو رفضا لقدوم اللورد القائد المنتصر . قال فى مطلعها :

---

١ — ملامح من المجتمع السوداني ، ٦٩

انا اهوى الكمال فى كل نفس واجل الرجال من كل جنس
واذا جاشت العواطف فى نفسى عمدت الى دواتى وطرسى

اننا نحس فى هذا المطلع اعجابا وتقديرا يعلنهما الشاعر ، ونلاحظ انه اخذ اول بيتيه من شينية البحترى ، من بيته :

واراني بعد اكلف بالاخيار من كل سنخ وأس

لكننا نحس ايضا شيئا من الاشمئزاز أو التحفظ على الاقل يشوب ذلك الاعلان ، انهما اعجاب بالكمال وتقدير لهحيثما وجد وفى اى شخص وجد فى لورد أو فى رجل عادى ، ومن اى جنس كان وعليه فالشاعر يقول للورد لا تغتر بمدحى أو بما سأقوله فانا لست اقصد شخصك أو جنسك وانما اقصد الصفات الانسانية ، وهى وحدها مثيرة عواطفى ومحركة شاعريتى . ان هذا الاسلوب يدلنا على ان الشاعر غير راض فاللورد الزائر هو فاتح القدس ومزيل سلطان الدولة العثمانية عن ارض فلسطين باسم الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى ، وفضلا عن ذلك فاهله البريطانيون يسيطرون على مصر والسودان ويفعلون فيهما ما يشاءون . ان مخاطبته اللورد فى قصيدته هذى تعيد إلى الذاكرة ما قاله امير الشعراء للورد كرومر فى القصيدة التى ودعه بها وقال فيها :

ايامكم ام عهد اسماعيلا ام انت فرعون يجوب النيلا

غير ان الشاعر يحب الكمال ويجل الرجولة ولذلك جاشت العواطف فى نفسه ونظم هذه الابيات لاترحيباً باللورد ولا اكراماً لاهله فى شخصه وانما تقديرا لصفات انسانية واشباعا لنوازع شخصية . انه بهذا يمثل نبل الخصم المهزوم يتجرع مرارة الهزيمة ويحس ذل الانكسار لكنه لا يملك الا ان يعترف لمنازله بالنصر فى اعتداد يمليه كرم الاخلاق .

اخذ الشاعر بعد ذلك فى مخاطبة اللورد قائلا :

فاتح القدس قد تغمدك الله بروح من المهيمن قدسى
لك عزم من القضاء وذكر مشرق فى الزمان اشراق شمس
جئت تستعرض الصفوف احتفاء لا لحرب بمدفع او بترس

يا أجل القواد في الحرب شرف فوق عـين من البلاد ورأس

ما زال الشاعر في تحفظه واشمئزازه . فالقائد قد فتح القدس بتوفيق من الله أو « تغمده بروح من المهيمن قدسي » وآتاه كذلك « عزما من القضاء » فامكنه ان يزيل سلطان المسلمين ويمهد للانتداب البريطاني في فلسطين فيكون ذلك سببا في ان يكون له « ذكر مشرق في الزمان اشراق شمس » ولو لم يتح له ذلك من الله العلى القدير لما امكنه ان ينتصر ويصل إلى ما وصل اليه ولما تهيأ لهم بانتصاره . فالامر كله حينئذ قدر ، ولعل الله اراد هذا القدر لحكمة يعلمها هو ، والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ، ولكن ها هوذا القائد المنتصر يجيء زائرا تحتفي به جمهرة الاتباع الاوفياء المخلصين ويحتفي هو بمقدمهم له ، ومهما يكن من شيء فعليه ان يتذكر ان هذه البلاد :

كان تاريخها القـديم جليـلا مثل مصر ومـثل روم وفرس

ثم دار الزمان دورة نحـس عكست نجم سعدها شر عكس

فدرجنا عـلى الصعيد حـفاة بين غبر من الجياع وشكس

ان هذا الماضي الجليل الذى اشاد به الشاعر واضعا بلاده في مصاف الامم العريقة تحول إلى حاضر هزيل ، فهل من سبب معروف لهذا التحول ؟؟ ولماذا يذكر الشاعر كل ذلك ؟ يفخر بما كان لقومه ويتبعه بما صار اليه حالهم الآن . لم يذكره في هذه المناسبة ؟ — مناسبة زيارة لورد للنبي . لعل الشاعر يحس ان البريطانيين — واللورد من كبارهم — باعدوا بين البلاد وما ضيها لما غزوها واسسوا حكمهم فيها . ان الشاعر ينسب اليهم التقصير في القيام بحاجات البلاد فما زال الجهل متفشيا وكذلك الحفاء والجوع ثم يطالبهم بالاصلاح ويرشدهم في الابيات الأخيرة إلى سبيل الحكم الصالح لان بلاده لا تستحق ما صارت اليه .

أما السبيل الثانية فهي سبيل الثورة — ثورة الكلمة — فقد سلكها توفيق صالح جبريل — عبد الرحمن شوقي — مدثر البوشي وصالح عبد القادر . قال توفيق في زيارة لورد للنبي — وقد اوردنا جل ابياته مع النماذج — قال مخاطبا البريطانيين :

يا ايها القوم لا تجروا الذيـولا يأنف الحر ان يعيش ذليـلا

سمتمونا العذاب ، ضيقتم الا رض علينا حتى هوينا الرحيـلا

ان اردتم اصلاحنا قد فعلتم   فاعذرونا اذا مللنا الدخيلا

هذه الابيات الثلاثة وهى بداية القصيدة تكشف عن ثورة جامحة فى صدر الشاعر اشعلها ما أحسه من اذلال ، وما رأته عيناه من تعالى الحكام وخيلائهم ثم العذاب الذى اوردوه الناس حتى تمنى الناس ان يرحلوا عن بلادهم مفضلين الهجرة والاغتراب على البقاء فى دار يلقون بالعيش فيها ذلا وعذابا مع ان حكامها يزعمون انهم أنما جاءوا للاصلاح. ان الشاعر لا يحتمل تسلط الاجنبى ، ولا يقبل ما يجده مواطنوه من عسف ، ولا يصدق دعوى الاصلاح ولا يقبلها وان جاءت مبرأة من كل سوء ولذلك يصرخ فى وجه البريطانيين قائلا — « اعذرونا اذا مللنا الدخيلا» مطالبا بالجلاء بعد ان بين رأيه فى الحكومة . من ثم يأخذ الشاعر فى مخاطبة اللورد الزائر ، يقول له مضيفا مساوىء أخرى إلى ما ذكر فى الابيات الثلاثة الاولى :

أيهذا الزعيم اودى بنا الفقر   فعطفا قد صبرنا طويلا(١)

فقبيح ان نرتضى الذل دهرا   ونرى مالنا لكم مبذولا

كل يوم تبدو بثوب جديد   من دهاء فحسبكم تبديلا

علمتنا الايام ما قد جهلنا   ه فلسنا نطيق عبئا ثقيلا

تلك عشرون حجة بعد خمس   قد تقضت وما شفيتم غليلا

فادعيتم نشر الحضارة والعرفان   والشعب ما يزال جهولا

ما اكتسبنا الا الشقاء كسانا   سملا باليا وجسما نحيلا

وهنا ايضا يظهر ضيق الشاعر بالاحوال فى بلاده ، انه يرى الحكم الاجنبى « عبئا ثقيلا» ويحصى عليهم عدد السنين «تلك عشرون حجة بعد خمس» وفى هذا كله مطالبة بالجلاء املاها ما احسه الشاعر وما وجده فى انظمة الحكم الثنائى واساليبه وفى سياسة البريطانيين بصفة عامة لا سيما ما يمس العلاقة بين مصر والسودان من تلك السياسة . ولعل اصدق ما يدل على ضيق الشاعر وثورته المعتملة فى صدره الابيات التالية وما فيها من تساؤل ، يقول :

ويح قلبى ماذا يروم السنبى   يوم وافى يجر سيفا صقيلا

جمع الجمع ، ارهب القوم حتى   اصبح السيد النبيل ذليلا

١ — البيت غير مستقيم الوزن

اتراه يريد يفصم حبلا بين مصر وبيننا موصولا
ولماذا تراه يملى عليهم وتراه مدونا ما قيلا
جل من ملك الدخيل فجر الذيل واستمطر العذاب الوبيلا

استطاع الشاعر توفيق ان يوصل قصيدته هذى إلى مصر حيث وجدت طريقها إلى صفحات واحدة من كبريات الصحف المصرية وقد كان لذلك دوى فى السودان وفى مصر . ولننتقل الآن إلى عبد الرحمن شوقى نتأمل بعض ابياته الثائرة التى جاءت فى قصيدة اوردناها فى ملاحق هذا الكتاب ، وهى القصيدة التى انشدها فى الاحتفال بميلاد النبى فى يوم من أيام سنة ١٩١٩ . قال :

أترضى ان اضام وانت حر وتسمح ان تلين لهم قناتي
فحدث عن بنى النيلين قوما بادني النيل أو اعلى الفرات
بانا ننتمى حسبا ومجدا إلى ما بالجزيرة من رفات
يعز عليهم نحيا ولسنا مثالا للشجاعة والثبات
وان لا يبصروا فى النيل قرنا ولا بطلا يعد من الكماة
يجود بنفسه للموت حبا بنيل الباقيات الصالحات
فليس الجود بذل دريهمات لمسكين على قيد الحياة
بل الجود الممات على بلاد ليحيا اهلها بعد الممات

هذه الابيات التى اخترناها من تلك القصيدة تحمل استنكارا واضحا للضيم ، وما هو الا تسلط الاجنبى ، والشاعر يرفضه ويرفض ان يلين أو يستكين ، ويذكر قوما « بادني النيل » أو « اعلى الفرات » بان قومه السودانيين ينحدرون من اصول لا ترضى لهم ما هم فيه بل تريد لهم وتتوقع منهم ان يكونوا ، مثالا للشجاعة والثبات وان يكون منهم المقاتل المستميت والكمى المقنع ليقدم حياته طمعا فى « الباقيات الصالحات » ورغبة فى رفعة شأن الوطن حتى يعيش المواطنون فيه عيشا كريما — هذا هو الجود ، ولا جود غيره ، وليس من الجود ان تبذل شيئا من المال لمسكين أو لمشروع انما الجود التضحية فى سبيل الوطن . ان مضمون الابيات دعوة صريحة للجهاد فى سبيل الوطن ، وتشجيع للمواطنين لحمل السلاح لطرد الحكام الاجانب لان الموت افضل لمن يلقاه فى ميدان الجهاد ، فبموته يحيا اهل البلاد حياة عزيزة .

ان مدثر البوشى لم يدع للجهاد دعوة صريحة كعبد الرحمن شوقى الا أنه كال لقومه النقد مريرا جارحا ، وقد بلغ فى بعض ذلك النقد درجة الذم المحدد ، قال :

ارى زهرة الدنيا وشرخ شبابها	تبدل بؤسا ، بئس تلك المغارم
ارى مارى مذ ساد فى الناس واهن	وخارت عن الاقدام منا العزائم
سلام على الدين الحنيف وفتية	على عهدهم ترعى النهى والمحارم
تبدل ماضينا ولم تبق سنة	وصار لنا مما نعد المواسم
اذا شئت ياذات الثنايا تشاهدى	بنيك على مر الليالى فهاهم
اغاروا وقد انجدت لما تحولوا	عن العهد واستولى القياد سواهم
فبيناهم للامر والعرض سالم	اذا بهم يغضون والانف راغم
يقال رجال لاوربك انهم	جديرون حقا ان يقال الفواطم
نفوس ابت فعل الجميل لاهلها	وايد إلى الاعداء نعم اللهازم
فما رَوَّع العلياء الا عمائم	تساوم فينا وهى فينا سوائم

الشاعر غاضب «لتبدل الماضى» ولتحول قومه عن العهد. انه غضبان لان هذا أدى إلى أن « استولى القيادة سواهم» وصاروا — وهم اصحاب الماضى المشرق والمجد التليد — اتباعا . ان غضبة الشاعر ترقى إلى الثورة فيرسل إلى اولئك الرجال الذين فرطوا واستكانوا ويسميهم الفواطم ، انهم لا يستحقون الاتصاف بالرجولة فى رأيه لانهم امتنعوا عن « فعل الجميل » وصاروا عونا للدخيل على اهليهم وهم لهذا أدّى وبهذا لم يعودوا اهلا لشرف الجهاد والعمل لخير وطنهم فعلى غيرهم من الشيب والشباب ان يعتبروا وان ينظروا إلى الماضى :

اجل نظرا فى من مضى من رعيلنا	فهم عند باب النائبات ضراغم
تخلى لهم عن امره الدهر خاسئا	وسلم دولاب الحياة الاعاجم

وعندئذ يهبون هبة رجل واحد ويخلصون بلادهم من المتسلطين وينتشلون مواطنيهم مما ترددوا فيه .

سلك صالح عبد القادر نفس السبيل « ولا عجب فصالح يعمل فى الحقل الوطنى السرى كبعض هولاء الفتية الذين اتخذوا من المنابر فى المناسبات الدينية

سبيلا إلى نشر الوعى وبث كراهية الاستعمار فى نفوس الشعب »(١) . قال صالح فى احدى تلك المناسبات وقد كانت ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم :

يا صاحب القرآن نظرة مشفق	الدهر خان وحلت البأساء
عطفا على الاسلام ان شعوبه	اجتيحت وقد لعبت بها الاهواء
عاثت به ايدى الطغاة فبدلت	ازياءه فتجاهل العلماء
. . . .	. . . .
لو لم يكن دينا قويا لانمحت	آثاره مذ خانه الامناء
. . . .	. . . .
يا امة هضم الزمان حقوقها	كم نبهتك بوعظك الحكماء
لعبت بك الايام لعب مغامر	فتنبأت بمصيرك الخبراء
ما نلت من احداث دهرك راحة	ومن الحوادث راحة وعناء
حظ الممالك والشعوب تقدم	لكن حظك شدة وعناء
فبأى حكم قد هويت ولم تزل	فيك الشعور وتنطق الشعراء
ومن العجائب ان تموت بلادنا	جهلا وفيها السادة العلماء
يا قوم قد لعبت بكم اهواؤكم	ولحتفكم قادتكم الاهواء
نمتم وما نام الزمان وان من	طلب العلا ما لذه الاغفاء
خارت عزائمكم فمات شعوركم	والله يفعل ما يرى ويشاء
هل اوهن الاسلام الا اهله	ما ايدوه لانهم جبناء

يبدو الشاعر فى مطلع ابياته اسيان كئيبا لما اصاب الاسلام ــ فقد « خان الدهر » و « حلت البأساء » ويعزو هذا إلى اسباب هى (١) تسلط الطغاة (٢) لعب الاهواء بشعوب الاسلام (٣) تجاهل علماء المسلمين لكنه يمتلىء بشىء من الامل لان الاسلام دين قوى بتعاليمه وبصاحب القرآن الذى يحميه . ينقلب اسى الشاعر وكآبته إلى إلى غضب ثم يصب جام غضبه هذا فى قومه فيصمهم بالضعف والجبن والغفلة ويلوم « الدهر » و « الايام » و « الزمان » على ما نالت بلاده من (شدة وعناء) بينما الممالك الاخرى لقيت حظا وافرا من التقدم ، والدهر والايام والزمان براء

---

١ – ملامح من المجتمع السوداني ، ١١٦

فالشاعر يريد الحكم الذى كان قائما آنذاك ، الا تراه يقول :

فبأى حكم قد هويت ولم تزل — فيك الشعور وتنطـق الشعراء
ومن العجائب ان تموت بلادنا — جهـلا وفيها السادة العلمـاء

ماهو الحكم الذى يريده ؟ ومن الذى حكم عليها بما اصابها ؟ تردت وتخلفت عن الامم ، وفيها سادة علماء ، لكن الجهل ما زال متفشيا ، ان فيها شعـراء يستنهضون الهمم بشعرهم ويفيضون فى تمجيد الماضى وذم الحاضر ورغما عن ذلك ماتت البلاد جهلا وخارت العزائم ومات الشعور . ان ثورة عارمة تعتمل فى صدر الشاعر وتخرج لنا فى هذه الابيات ملتهبة يصيب اوارها « الطغاة » كما يصيب قوم الشاعر .

ظهور اتجاهين وطنيين فى الانتاج الشعرى :

بدأ الخريجون هذه الثورة الأدبية التى تحدثنا عنها فى الفقرة السابقة وتولوا قيادتها فى أنديتهم ، وكانوا يبغون من ورائها « بث الوعى وخلق الشعور الوطنى بمثل هذا الشعر الذى تنتهز له المناسبات الدينية »(١) ، فقد تبين لهؤلاء الشعراء ان الحكم الاجنبى لا يريد لامتهم ما يريدون لها ، وثبت لهم انه يسعى لبسط نفوذه وتقويته وضمان استمراره ، فهاهو ذا يقمع كل هبة وطنية ويبطش بكل من يرفع راية العصيان أو التمرد بطشا شديدا . انه طفق يفعل ذلك فى السودان ، وفى مصر يسير سيرته هذى وأكثر ، « وقد كان للاحداث التى مرت بمصر » وفى هذه الفترة « وقع خاص فى السودان »(٢) لان كثيرين «من السودانيين كانوا يرون فى مصر رائدة يرتبط مصيرهم بمصيرها»(٣) ولان جمهره السودانيين ظلت من قديم الزمان تكن للمصريين اخاء صادقا . كل ذلك مع ما قامت به تانك الجمعيتان — الاتحاد واللواء الأبيض — نقل الثورة من رحاب الادب ، ومن ساحات المحافل الدينية إلى معاقل الجندية فتكلمت المدافع والبنادق معلنة ثورة الجنود السودانيين فى عام ١٩٢٤ . ان قيام هذه الثورة المسلحة لدليل على افلاح الشعراء والادباء السودانين

١ — ملامح من المجتمع السوداني ، ٧١
٢ — الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٣٧١
٣ — المصدر نفسه ٣٧١

فيما قصدوا اليه ولعلهم افلحوا لان ثورتهم الشعرية التى حركها السخط على الحكام الاجانب والتبرم بالاحوال صاحبت بعض وقائع فى السودان ومصر ، تلك الوقائع التى بينت للمواطنين السودانيين نوايا البريطانيين واثبتت لهم ان اولئك الحكام لا يتورعون عن فعل اى شيء فى سبيل توطيد اركان حكمهم .

ان الثورة الأدبية اثمرت ثورة مسلحة فى سنة ١٩٢٤ . بعد ذلك ظهرت مرة أخرى فى شكل جمعيات أدبية كونتها اندية الخريجين فى كبريات مدن القطر ، وظلت تلك الجمعيات ميدانا للادباء والمفكرين والمصلحين ، يتحدثون ويناقشون ويتناظرون فى شئون الادب وأحوال المجتمع السوداني سنين عددا إلى ان آتت – بطريق مباشر أو غير مباشر – ثمرات جناها المجتمع السوداني وافاد منها خيرا كثيرا . من هذه الثمرات « مؤتمر الخريجين » تلك الهيئة التى كان قيامها بداية العمل السياسى فى احزاب منظمة فمن داخله ظهرت الافكار السياسية وخرجت إلى المجتمع السوداني وكان ان ظهرت الاحزاب السياسية المختلفة ، ظهرت فى قسمين كبيرين – قسم يدعو لربط السودان بمصر وعرف هذا القسم بالاحزاب الاتحادية وآخر يعارض هذه الدعوة ويرى ان يستقل السودان ، وعرف هذا القسم بالاحزاب الاستقلالية . تبعا لهذا التقسيم ظهر فى الشعر الوطنى السوداني اتجاهان – اتجاه اتحادى يقف فى مؤازرة الاحزاب الاتحادية يدافع عنها ويدعو لها ، وآخر استقلالى يناصر الاحزاب الاستقلالية بتأييد افكارها ودحض حجج خصومها .

الاتجاه الاتحادى :

من الشعراء الذين نظموا فى هذا الاتجاة مؤيدين عن ايمان داعين له عن رغبة الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن الامين . وسنعرض فيما يلى نماذج مما نظم من شعر ، ونتبع ذلك تفصيل الكلام فى شكل ذاك الشعر ومضمونه – قال فى قصيدة القاها فى حفل وداعى :

مصر من السودان والسودان من ... مصر – سواد العين والانسانا[1]
شعباهما شعب وخزانا همـــا ... يوم اللقـــاء اراهما خـــزانا
حتم على الشعراء ان لا يكذبوا ... أرأيت حـــرا يكذب الاوطانا

١ – ديوان العروبة ، عبد الله عبد الرحمن الامين ، ٣٥ .

ولقد وجدت من العروبة موطنا　　رحبا ومن اجوائهـا طـيرانا

ثم قال فى قصيدة أخرى يعلن حبه لمصر :

لى فى الكنانة من قـديم　　الدهر حب غير كاذب(١)
ابدا يؤرقـنى هــواها　　والهـوى غاد فغالـب
انا صب مصر قبـل ان　　تنشـأ وتشتجر المذاهب
وثقافـتى منها ومنهـا　　ما أحـبر من غـرائـب
واهـزها وتهـزنى　　والسر فى هذا التجاوب
انا شاعر فى وصفهـا　　لكنهـا وحـى المذاهب

وقال فى وحدة وادى النيل :

ووحدة وادى النيل نحن دعاتها　　ولكن على الا نكون لها ظلا(٢)
ونأخذ بالامر الذى هو واقـع　　وذلك حق ما اردت به بطـلا
فان قيل تعلـيم وقيل ثقافـة　　فان من التعليم ما يشبه الجهـلا

وقال أيضا فى رحيل الجيش المصرى عـائدا إلى مصر :

نعم لمصر يعود الجيش هل علموا　　ان الكنانة والسودان صنـوان
وهل تنقل الا فى منـازله　　منازل النيل هل فى الارض نيلان
نبعان للنيل فى ارض الجنوب وفى　　ارض الشمال لقد فاض المصبان
من قال قطر وقطر فهو فى نظرى　　كمن يقول بان الواحـد اثنان

ومما قال فى اتفاقية الجلاء :

للنيل فى مصر والسودان من قدم　　عهـد تضمنه البردى قرطاسا
ما نخلة فى ربا السودان منبتها　　وفرعها باسق فى مصر مياسـا
ان كان فى حوضك الاحزاب قائمة　　فانما انت جنس لست اجناسا

وله أيضا فى تأميم القناة :

وارى العروبة كلها رحمـا　　وبنو العروبة هم بنـو امى

---

١ - ديوان العروبة ، عبد الله عبد الرحمن الامين ٣٧ - ٣٨

٢ - ديوان العروبة عبد الله عبد الرحمن الأمين ، ٤٤

أنا من يقول النيل جامعـــة	تليت قضاياها على الضـــم
واقول ان العـــرب مملكـــة	والقائمون بها اولو عـــزم
وإلى اتحـــاد شـــامل قومى	ازجى حديث الشاعـــر القومى

ومن نظمه لمدينه بورسعيد بعد الاعتداء الثلاثى :

انما مصر والعروبة والسودان	ابقى عـــلى الزمان عهـــودا
ما لمستعمر لها من سبيـــل	مالمستعمـــر له ان يكيـــدا
لا شمال ولا جنوب ولكن	هو شعـــب موحد توحيـــدا
باعد الظالمـــون منا وقالـــوا	ان مشى الجنوب كان وئيـــدا
يوم كنا ولا تســـل كيف كنا	من يقل مصر ارهقوه صعودا
من يقيم الصلاة فى عقر داريه	يـــلاق الهـــوان والتشـــريدا
ان يبين التاميز والنيـــل حبا	ابد الـــدهـــر فاقدا مفقـــودا
ليس بحر الشمال منه ولكـــن	منه بحر الغزال يعـــوى اسودا
يا سماء القنال صـــبى علينـــا	من فيوض التحرير لحنا جديدا
الهوى والشباب والامل المنشود	كل أبى علينـــا الركـــودا

ومما حيى به الجمهورية العربية المتحدة قوله :

بنى العروبة حيى الله دولتكـــم	حياكمو الله من لبى ومن نادى
ردت على العرب الاحرار غربتهم	كفى بمفتقد للعـــز تبعـــادا
كل امرىء عربى غير ذى عوج	تهمه العرب ان ترقى وتزداد
فقل لمن بات خوف الغرب يخذله	قضيت حيا ولم تستنفد الزادا

ثم ها هو ذا يبين مذهبه فى الوحـــدة العربية :

انا فى الـــوحدة شيعى وهـــل	كجمـــال من امـــام منتظر
ان فى الوحدة توحيـــد وهـــل	ينكر التوحيد الا من كفـــر

ويضرب الامثال للصلة بين مصر والسودان بقوله :

للنيل فى مصر والسودان من قدم	عهد قديم على بردية كتبـــا
لا المغريات ولا الاحزاب تصرفه	ولا السياسة اما حركت ذنبا

يا نخلة فى ربا السودان منبتها ... وفرعها باسق فى مصر منسكبا

وفى قصيدة سماها « هدية العيد الاكبر » قال :

العرب كل وكلٌ لا تجزئة ... هذى الدعاية ممن يفترى الكذبا
من المحيط الى شط الخليج ومن ... ارض الشمال إلى ارض الجنوب جبا
. . . .
يا وحدة اورثتنا جنة وسعت ... لا لغو فيها ولا تأثيم مرتقبا
انا نحييك والآمال واسعة ... والناس بالناس والدنيا لمن غلبا
وقد تؤمم فيك العرب قاطبة ... والعرب تأميمها يعلو بها رتبا

وعند عقد اتفاق مياه النيل حيى الشاعر المتفاوضين بقصيدة طويلة نختار منها :

مصر من السودان والسودان ... اذ يتفاوضان
يتنازعان اعنه ... الحسنى ولا يتنازعان
. . . .
وبنعمة الله الكبير ... وفضله تتحدثان

ومما وصف به النيل – النيل الذى يربط السودان بمصر – قوله :

لم النيل مزهوا ترف خمائله ... وتشدو نشاوى ورقة وبلابله[1]
ولم بسمات البشر فى كل صفحة ... طمسن الاسى من بعد ما ران شامله
ولم يهرع الجمهور فى كل بقعة ... اواخره فى دهشة واوائله

اما ختام هذه النماذج فهو الابيات التالية التى فخر فيها بدوره فى الحركة الوطنية :

سل القوم فى استعمارهم هل تأودت ... قناتي وهل فى واجب اتردد
وهل كان فى شعرى مهادنه وهل ... دلفت إلى استعمارهم اتودد
واني لاستوحى القوافى حرة ... وارمى بها فى وجه من يتردد
فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها ... على ففى كفى اليراع المسدد
عدمت البيان الحران كنت منشدا ... من الشعر الا ما يقيم ويقعد

يعتبر الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن من علماء اللغة العربية فى السودان فقد

---

١ – الشعر الحديث فى السودان ، الشوش ، ٦٨

درسها دراسة تخصص فوق اساس من التعليم الديني تلقاه في اسرته فهو ينتمي إلى بيت دين معروف . بعد التخرج واكمال الدراسة اشتغل بتدريس اللغة العربية وادبها في مدارس الحكومة ، ومعنى هذا انه اضاف إلى الموهبة التخصص ثم التطبيق فهو يقرأ ويقرىء ، ويشرح لتلاميذه ويتحدث اليهم في النحو والصرف والشعر والنثر ، ولا بد ان يسبق كل هذا تأمل وتفكير ومراجعة اذ كان عليه ان يعلم تلاميذه فلابد له ان يعلم اولا ويتأكد من صحة ما علم حتى ينقله اليهم صحيحا لذلك لا غرابة في ان يجيء شعره سليم البنية — خاليا من الاخطاء النحوية ، الفاظه فصيحة ، وتراكيبه لا تخرج بصفة عامة عن قواعد اللغة ولا تنبو عن الذوق ، لكنه يورد في احيان نادرة بعض الكلمات العادية في مثل قوله :

اياك اعني واحـــذري يا جارة الوادي المقالب

فكلمة «مقالب» بالمعنى المراد ههنا من اللغة العامية ومعناها المكائد في الجد والهزل ، وكقوله :

قل لمن راح حزبنا بينكم لست منها انت عفريت الصور

فالكلمتان الاخيرتان في هذا البيت تعبير عامي معروف .

ان ورود مثل هذه الالفاظ في قلة من ابياته لا يقدح في شعر الشاعر ولا يدل على قصور في مقدرته أو عجز عن التعبير فقد ظهرت مقدرته في قصائد أخرى وجاء تعبيره واضحا وافيا . اننا قد نجد له العذر في هذين البيتين فنقول انه اراد التبسط في الاول كما اراد الدعابة في الثاني .

احيانا أخرى يلجأ الشاعر إلى التكرار — تكرار الالفاظ كقوله في الابيات :

لم النيل مزهوا ترف خمـــائله وتشـــدو نشـاوى ورقه وبلابله
ولم بسمات البشر في كل صفحة طمسن الاسى من بعدما ران شامله
ولم يهرع الجمهور في كل بقعة واواخــره في دهشـــة واوائله
ولم ترقص الامواج يسبق بعضها إلى الشط بعضا تلتقيها سواحله

حيث كرر اداة الاستفهام اربع مرات الا انه تكرار يزيد من جمال الابيات لان الشاعر فيما يبدو لنا اراد التعبير عن تعجبه لجمال المناظر وروعة المشاهد المختلفة

التى تحف مجرى النيل أو تبين للعيان فوق سطح مياهه المتدفقة . انه مفتون بها ، معجب بما تبديه لعينيه من رواء يثير حيرته فيرتفع صوت بهذه الاسئلة التى تدل على ما تجيش به نفسه . انه تساؤل المأخوذ بما يرى الحائر فيما يبدو لعينيه من مفاتن الطبيعة ، عمد الشاعر إلى التكرار فى نفس القصيدة فكرر « كأن » اداة التشبيه ثلاث مرات فى ابيات متتالية حيث قال :

كأن انعكاس الكهرباء عشـــية ... على مائه سيف جلته صـــياقله
كأن تجاعيد النسيم بوجهـــه ... اسارير وضاح الجبين تقـــابله
كأن فراديس الجنان تنفست ... بارجائه أو ان شيئا يمـــاثله

وفى بيت من قصيدة أخرى يكرر أكثر من كلمة واحدة فى ذلك البيت الواحد

واهزز الشعب يساقط ثمرا ... هزك النخل ففى الشعب الثمر

ثم يكرر الجملة الاسمية « انت حر » فى بيت آخر من نفس القصيدة :

ايها الشعب الكريم المنتمى ... انت حر مستقل انت حر

وواضح ان المعنى يكتمل دون تكرر ، ولاتبدو حاجة للتأكيد بالتكرار لان كلمة « مستقل » تغنى عنه وتزيد عليه الانطلاق والايجابية . يلجأ الشاعر كذلك إلى تكرار بعض ابيات قصائده ، فالبيت يرد فى قصيدة ما ثم يرد فى أخرى بلفظه ومعناه ، وقد تتغير احدى كلماته ومثال ذلك البيت :

يا نخلة فى ربا السودان منبتها ... وفرعها باسق فى مصر مياسا

ان الشاعر يورده فى قصيدة أخرى مع تغيير القافية ، فيقول :

يا نخلة فى ربا السودان منبتها ... وفرعها باسق فى مصر منسحبا

والبيت :

شعوب آسيا وأفريقيا تهش له ... ويقرأ الناس للتاريخ ما كتبا

يرد بلفظه ومعناه فى قصيدة أخرى :

شعوب آسيا وأفريقيا تهش له ... ويقرأ الناس للتاريخ ما كتبا

كذلك البيتان :

انا نؤمم فيك العرب قاطبة　　والعرب تاميمها يعلو بها رتبا
ولولا جمال ولولا صدق ثورته　　بنو العروبة امى حبلها اضطربا

يردان فى قصيدة أخرى بنفس الفاظهما مع تغيير يسير حدا فى اولهما :

وقد نؤمم فيك العرب قاطبة　　والعرب تأميمها يعلو بها رتبا
لولا جمال ولولا صدق ثورته　　بنو العروبة امسى حبلها اضطربا

هنالك بيت آخر يورده الشاعر فى قصيدتين من قصائده دون اى تغيير أو تقديم أو تأخير فى لفظ من الفاظه فهو :

معلقات على الوادى قصائدنا　　مرابطات ترد الشك والريبا

حيث نجده السابع والعشرين فى قصيدته « عيد الدستور » والخامس والستين فى فى قصيدته « هدية العيد الاكبر » . وفى ثلاث قصائد أخرى جاء الشاعر يشطر بيت مرة فى كل منها مع تغيير فى بعض الالفاظ ، ففى احداها ورد الشطر هكذا :

وقضت على فرق تسد فى مهدها　　........

وفى الثانية :

فرق تسد ابطلت باطلها　　.........

وفى الثالثة :

وقضى على فرق تسد فى عهدهم　　........

اننا لا نستطيع ان نجد عذرا للشاعر فى تكرار الابيات أو انصافها فى أكثر من قصيدة ، ولأ نحسب ايا من تلك القصائد تسوء او تقل قيمتها الفنية او الوطنية اذا اسقط منها أى من تلك الابيات أو انصاف الابيات ، ولا نحسب كذلك ان الشاعر اوردها مكررة هكذا دون قصد ، وعليه فالعذر الوحيد الذى يتبادر إلى أذهاننا هو اعجابه بتلك الابيات وتلك الانصاف .

أما من حيث النظم فقد سلس للشاعر قياد الاوزان ، ولم نقف فى أى بيت من ابيات قصائده التى نظرنا فيها على خلل فى وزن . كذلك جاءت قوافيه سليمة خالية من القلق أو الاضطراب ، وخلا شعره من الزخرف اللفظى المتعمد لذاته واكثر ما استعمل من أنواع البيان التشبيه والاستعارة ، ومال إلى التشبيه البليغ أكثر

من غيره لما فيه من قوة الدلالة فالمشبه فيه هو عين المشبه به ، وجاءت تشبيهاته كلها بسيطة لا تكلف فيها ولا مبالغة ، وها هي ذى نماذج من البليغ :

هل مصر والسودان الا ... في رباه عشيرتان
وربيبتان بحجره ... وعلى هواه مقيمتان
....
ان في الوحدة توحيدا وهل ... ينكر التوحيد الا من كفر
فادخلوها بسلام انها ... جنة المأوى وطيب المستقر
خلت السيوف سيوف الهند اوجهكم ... لما اتخذتم من الاوطان اغمادا
....
وارى العروبة كلها رحما ... وبنو العروبة هم بنو امى
....
انا من يقول النيل جامعة ... تليت قضاياها على الضم
....
مصر من السودان والسودان من ... مصر سواد العين والانسانا
....
اولا تراها كتلة طلعت ... شهبا على الشيطان بالرجم
....
هل جنة الخلد الا في دياركمو ... لقد نزعتم لها غلا واحقادا
....
انا في الوحدة شيعي وهي ... .

ومن غيره :

.... وهل ... كجمال من امام منتظر
....
وقوافي النظم والنثر اذا ... رمتها جاءت كسيل منهمر
....
كأن انعكاس الكهرباء عشية ... على مائة سيف جلته صياقلة

كأن تجاعيد النسيم بوجهــــه　　اسارير وضاح الجبين تقابله
كأن فراديس الجنان تنفست　　بارجائه أو ان شيئا يماثلــه

. . . .　　. . . . .

لواقــع عربي غير ذي عــوج　　قص الرئيس جمال قصة عجبا
القى بها كعصا موسى تلقف ما　　قد يأفكون فكان الداعى الاربا

ومن استعاراته :

مصر من السودان والسودان　　اذا　يتفاوضـــــان
يتنــازعـــان　اعنـــه　　الحســنى ولا يتنازعـــان

. . . .　　. . . . .

ويداهمــا مهمــا　رمــت　　بهما النــوى تتصافحــان

. . . .　　. . . . .

يا وحدة اورثتنا جنة وسعت　　لا لغو فيها ولا تأثيم مرتقبــا
وقد نــؤمم فيك العرب قاطبة　　والعرب تأميمها يعلو بها رتبــا

. . . .　　. . . . .

يانخلة فى ربا السودان منبتها　　وفرعها باســق فى مصر مياسا
ان كان فى حوضك الاحزاب قائمة　　فانما انت جنس لست اجناســا

. . . .　　. . . . .

يا سماء القنال صبى علينا　　من فيوض التحرير لمحنا جديدا

. . . .　　. . . . .

وعليــك من نسج الشمــال　　بياض وجهــك والترائــب
وعليــك من نسج الجنــوب　　المرســلات من الذوائب

. . . .　　. . . . .

يا يــوم عمورية احتفلــت　　منك المنى فى موكب ضخــم
قد جئت للدنيا بمعتصــم　　يبنى ويهدم بالقنا الصــم

. . . .　　. . . . .

ويقبل الشعب دفاعا بموجتــه　　اذ لم يكن فيه من يحنى لها راسا

كنانة الله القت من كنانتها سهما له اوجس الاعداء ايجاسا
على القنال قريبا من ديارهمو نارا تراءت من السودان اقباسا
....
نجت السفينة من اعاصير الهوى ونجت بربان السفين الماهر
....
العرب من خلف المحيط إلى شط الخليج إلى قوى العجم
القت على الجودى مراسيها فمشى بها الجودى للـيم

اننا عندما نتأمل هذه الاستعارات وهى بالطبع قليل من كثير سقناه على سبيل المثال تبين لنا انها فى جملتها من الطراز القديم المألوف من شعراء العصور الماضية والمعروفة فى اوساط الأدب والأدباء فالشيخ الشاعر لم يضف جديدا إلى ما الفنا وعرفنا الا فى اثنين من استعاراته ، اما الاخريات فالمعنى المستعار فى كل منها واللفظ الدال عليه هما مما اعتبره الاقدمون مثالا يحتذى ويقاس عليه أو يشبه به لقربه من الكمال ففى قوله « يتنازعان اعنة الحسنى » يشبه الحسنى بالفرس ، وفى قوله « يا وحدة اورثتنا جنة » يشبه البلاد بعد الوحدة بالجنة ، وفى البيتين « وعليك من نسج الشمال ... الخ » يشبه مصر فى ارتباطها بالسودان بالحسناء ذات الوجه الابيض والترائب البيضاء وقد زان هذا البياض سواد الذوائب . اما يوم تأميم القناة فيشبهه بيوم عمورية ويجعل من جمال عبد الناصر معتصما آخر . هكذا سلك الشاعر سبيل زملائه القدامى وانتزع بعض تشبيهاته من بيئة سالفة — (تشبيه يوم التأميم بيوم عمورية) — اننا لا ننتقص من قدر اولئك الشعراء وفنهم ولا نعيب بيئاتهم . فقد انتجوا لنا أدبا حيا رفيعا فى تلك البيئات الفنية المتحضرة لكننا نأخذ على شاعرنا انه يكثر من الاتكاء على الاسلاف .

أما الاستعارتان اللتان استثنيناهما لانه لم يتأثر فيهما بالاقدمين فاولاهما :

يا نخلة فى ربا السودان منبتها وفرعها باسق فى مصر مياسا

انه يشبه فيها امتداد وادى النيل من وسط أفريقيا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط بامتداد النخلة من منبت جذورها إلى فروعها العليا . وهذا التشبيه يصور قوة الصلة بين مصر والسودان ويبين متانة الارتباط ، فالسودان يمثل الجذور والجذع

ومصر تمثل الفروع الخضراء بسعفها وبلحها ، ولا غنى لاى من هذه الاجزاء عن الآخر . هذه الاستعارة فى الاصل مأخوذة من قول سياسى بريطاني اورده فى احد كتبه ، وتناقله الناس وانتشر فى الاوساط السياسية فى مصر والسودان ابان المعركة السياسية التى دارت بين دولتى الحكم الثنائي بسبب وحدة وادى النيل . بنى الشاعر استعارته على هذه القولة ، فقد اعجبته لدلالتها القوية على مدى الارتباط بين القطرين ، ولا صلة لها بالقديم . وثانيتهما فى قوله :

وقد تؤمم فيك العرب قاطبة   والعرب تأميمها يعلو بها رتبا

هنا يستعمل الشاعر التأميم بمعنى التوحيد ومعناه المعروف فى لغة العصر استيلاء الدولة على املاك الافراد والجماعات تحقيقا وتعميما للمنفعة ، اما جمع الامة العربية بشعوبها واقطارها فى كيان واحد او توحيدها فى دولة فلم يقل عنه فيما نعلم « تأميم » ، ولم يستعمل واحد من الشعراء أو الساسة فيما نعلم هذه المادة « امم » أو احد مشتقاتها فى « وحّد » أو احد مشتقاتها . ان الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن ابتكر هذا الاستعمال بتوسعه فى معنى التأميم وهنا ايضا لم يتكىء على اسلافه اولئك الشعراء الاقدمين المجيدين ، مع انه اعتمد عليهم فى مواضع كثيرة ، وها نحن اولاء نورد منها قوله :

فقل لمن بات خوف الغرب يخذلهم   ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وهو من قول الحطيئة :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم   ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وقوله :

فعلمت ان المستحيل ثلاثة   ابقاؤهم والغول والعنقاء

من القول المنسوب لابن الفارض :

وعلمت ان المستحيل ثلاثة   الغول والعنقاء والخل الوفى

وقوله :

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه   جرى مثلا للغرب « دالاس » اقصد

من قول زهير بن ابي سلمى :

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وقوله :

كلما انبت الزمان قناة ركبت بورسعيد فيها الحديدا

من قول المتنبى :

كلما انبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

وقوله :

يا صاحـــبى تقصيا نظريكما اذ تنظران

من قول ابي تمام :

يا صاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور

وقوله :

اقيموا بنى أمى صدور مطيكم بصدق فعال لا يصدق كلام

من قول الشنفرى فى لامية العرب :

اقيموا بنى امى صدور مطيكم فانى إلى قوم سواكم لاميل

وابياته الثلاثة الآتية التى ورد كل منها فى قصيدة مختلفة :

١ ــ اين النواطـــير التى نامت على قفـــز الثعالــب
٢ ــ اين النواطير التى نامت على قفــز الثعالب فى الزمان الغــابر
٣ ــ نامت نواطير الامور وقد بشمــت ثعالبها من الكـــرم

من قول المتنبى :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشمن فما تفنى العناقيد

وقوله :

ما عاد مستنسرا فينا البغاث ولا عدنا نفكر فيمن جد او لعبا

من قولة قديمة هى :

ان البغاث بارضنا يستنسر

وغير هذا كثير ، الا اننا نريد التمثيل لا الحصر .

اذا انعمنا النظر فى معاني الشاعر نجد انها على وجه العموم بسيطة لا تعقيد فيها واضحة لا غموض فيها ولا ابهام ، كما انها خالية من العاطفة . انها لا تستعصى على القارىء ، ولا تضطره إلى التوقف او اعادة القراءة . ان هذه البساطة تقرب معاني الشاعر من الاذهان ، لكن خلوها من العاطفة يبعد بها عن شدة الاسر والعمق ولنأخذ مثالا لذلك هذا المعنى الكبير الذى يتناوله الشاعر فى ابياته الآتية :

انما مصر والعروبة والسودان	ابقى عــلى الزمان عهـــودا
ما لمستعمر لها من سبيـــــل	ما لمستعمر له ان يكيـــــدا
لا شمال ولا جنوب ولكـــن	هو شعب موحـــد توحيـــدا

قرر الشاعر ههنا ان مصر والعروبة والسودان تربطها عهود باقية بقاء الزمن لكنه لم يبين لنا كيف يكون ذلك ، ولماذا يكون ، ولم يشعرنا كذلك بما يراه فى هذا القرار أو مايثيره فيه من مشاعر . قرر فى البيت الثاني ان للثلاثة قوة تمنع عنها كيد المستعمر وترد عوادى الاستعمار ووقف عند قراره ولم يبين مصدر تلك القوة ومداها ، ولم يكشف لنا عن الشعور الذى تثيره فيه تلك القوة أو فى غيره من المواطنين ، ولم يوضح لنا مايتوقعه من تلك القوة أو مايريده لها من وقع على المستعمر وفى البيت الثالث جاء قرار ثالث لا يسبقه انفعال شخصى ولا يحيط به شعور ملتهب . ان هذا المعنى الكبير من صميم عقيدة الشاعر السياسية ، فقد أعلن ذلك فى أكثر من قصيدة الا أنه — فيما نرى لم يتعمق فى معانيه فجاء بها سطحية .

وجدت ثقافة الشاعر الدينية طريقها إلى شعره فظهرت فى عدد من قصائده الا أنها لم تخرج بمعاني الشاعر إلى رحاب العاطفة الفسيحة ومسارح الخيال الواسعة مرة واحدة انما اضفت عليها شيئا من روح الكتاب الكريم وابانت مدى ما يعرفه الشاعر منه ، وها هى ذى ابيات ضمنها الشاعر آيات أو كلمات من القرآن :

وتعالـــت ظلمـــات بعضها	فوق بعض — انها احدى الكبر
دقت الساعة وانشق القمـــر	قمر الصنعة لا اعنى القمـــر
. . . .	. . . .
القى بها كعصا موسى تلقف ما	قد يأفكون فكان الداعى الاربا

تزاور الشمس عن كهف وفتيته ذات الشمال ترد الروح ان ذهبا

. . . .

وقل اعملوا فيها مناهج برة يا ايها الانسان انك كـادح

. . . .

انا فى الوحدة شيعى وهـل كجمال من امـام منتظـر
ان فى الوحدة توحيدا وهـل ينـكر التوحيد الا من كفر
فادخلوها بسـلام انهـا جنة المأوى وطيب المستقـر

. . . .

وكأن الاله قال لنا فى الحرب كونوا حجـارةً أو حـديدا
اخرجوا من بلادنا صوت شعب كان شيطانه عليهم مـريدا

. . . .

قداشربوا امس حب العجل وافتتنوا واليوم قد نكروا الاظلاف والذنبا
تبت يداه ابو لهب فلست ارى كالغرب يحمل فيما بيننا الحطبا

. . . .

وقرأت فى القرآن قيضنا لهم قرناء قلـت فزين للقـرناء
انا وجـدنا ريح يوسـف قـبلما تتحركـان
كم راعنى سبع عجـاف تأكل السـبع السـمان

. . . .

دع الوشاة ودع ما يهرفون به قميص يوسف مملوءا دما كذبا

. . . .

وقلت لهم ياايها النمل فادخلوا مساكنكم لا تحطمنكمـو يد

. . . .

فقلـت للمريد بناكـرة تـلك اذن كرة خاسـرة

ان الخيال فى شعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن يتسم بالبساطة ويبتعد عن العمق ناهيك بالجموح . وكثيرا ما احسسنا ونحن ننظر فى بعض القصائد ان الشاعر لا يرخى لخياله العنان حتى ينطلق فيولد المعاني ويبتكر المشاهد ويؤلف منها مشهدا

واحدا مكتملا رائعا . ففى قصيدته القاهرة المتحررة لا يصل خياله إلى أكثر من تشبيه تلك المدينة الكبيرة العريقة بحسناء « بضة » ثم يأخذ فى تعداد ما تمتاز به المدينة شيئا بعد شيء دون ان يغوص إلى اصول ما عدد أو جذور ما استهواه فيها من نهضة ـ قال :

شجتنا بالحانها القاهرة   وحيت باوجهها الناضرة
وجوه على النيل وضاءة   ودنيا جمال بها ساخرة
والقت عصاها والقيتها   كلانا بها ساحر ساحرة
وطارحتها عن شهى الحديث   وجالستها بضة سامرة
وكم من نواد تيممتها   فالقيتها حلوة النادرة
لئن كنت فى حبها شاعرا   لمصر احاسيسها شاعرة
وجوه الحياة بها غضة   وفلك الحياة بها ماخرة
وفى كل واجهة كم يد   صناع وفى صنعها ماهرة
وفصحى اللغات على نولها   تحاك وانفالها وافرة
وانت من الارض ام ارضك   السماء وانجمها الزاهرة

كان فى مكنة الشاعر ان يحلق بخياله فى تاريخ القاهرة الملىء أو فى ماضى مصر الحافل ففى كليهما مادة دسمة وأحداث جسام مختلفات . كل ذلك يمكن ان يستغل الخيال المنطلق فيخلق منه المثير الدقيق المعجب ، الا ان الشاعر آثر التعداد ـ لذلك جاءت الصور ـ على كثرتها فى قصائده ـ مفردة لا تعدو تشبيه شيء واحد بشيء واحد حتى ان كان المجال متسعا لصورة مركبة تبدو لوحة رائعة مع انها من الفاظ ، ففى الابيات الآتية :

كأن انعكاس الكهرباء عشية   على مائه سيف جلته صياقله
كأن تجاعيد النسيم بوجهه   اسارير وضاح الجبين تقابله
كأن فراديس الجنان تنفست   بارجائه لو أن شيئا يماثله

يصف الشاعر النيل وقد انعكست انوار المصابيح الكربائية فى صفحة مائة وهب النسيم مجعدا الصفحة ليتشبع بشيء من رطوبة الماء ثم يمر عليلا بليلا كانه خارج من الجنان وهذه مناظر متعددة يمكن ربطها ببعضها لتكون صورة واحدة يرى

فيها القارىء أو السامع لوحة جميلة للنيل فى الليل ناطقة بجمال الطبيعة الحى . الا ان الشاعر فرقها فافقدها الكثير من الحيوية والجمال . يقال مثل ذلك عن قصيدته التى وصف فيها الطبيعة فى السودان حيث قال :

كم للطبيعة فى السودان من فتن ... وكم لاطيارها من سحر الحان[1]
ما أكثر الملهمات الشعر فيه وما ... اجدها للاديب الهادم الباني
الرمل عند ضفاف النيل تحسبه ... لعس الشفاه جلاها بيض اسنان
ما للكهارب سلطان على قمر ... ولا على الشمس سلطان لبنيان

....

كم بالجزيرة أوسهل القضارف من ... مزارع حلوة المرأى وغيطان
وقرية ذهبت فى جودها مثلا ... ومنزل فيه تتلى آى قرآن
والقوم سمر وجوه يسرعون إلى ... ما ينبت العز من اكرام ضيفان

....

هناك فى كردفان اى متسع ... للطرف فى بارة اوارض خيران
حيث البداوة فى احلى مظاهرها ... والابل طالعة من بين كثبان
ماأجمل الريف مصطافا ومرتبعا ... وغادة الريف فى عين وغزلان
الخد لم تجر موسى فى جوانبه ... والجيد من حسنه عن زينة غان

هنا فى هذه الابيات يتغنى الشاعر بجمال بعض مناطق السودان ويبدو مفتونا بمظاهر الطبيعة فى تلك البقاع فخورا باخلاق مواطنيه مما يدل على تمسكه بالقومية السودانية ، لكن هذه الابيات أو القصيدة كلها على الاصح لا تروقنا من الناحية الفنية فالشاعر اتبع فيها طريقته التى تحدثنا عنها من قبل وهى طريقة التقرير والتعداد ، فجاءت مجردة من الانفعال العاطفى خالية من الصور الجميلة الحية .

من شعراء الاتجاه الاتحادى حسن طه (٢) صاحب ديوان « هتاف الجماهير » وقد ضم ديوانه هذا غناءه لوحدة وادى النيل ، وها نحن اولاء نعرض نماذج من

---

١ – ديوان العروبة

٢ – تخرج فى كلية غردون القديمة وعمل موظفا فى السلك الادارى ثم تركه واشتغل بالتدريس ولد فى امدرمان عام ١٩١٤ .

شعره ثم نتناولها بالنقد فيما بعد .

قال في قصيدة عنوانها « الاسلام » :

ساغني اذن باغنية النيـــل	لدى المهرجان في كل عيد(١)
مزهري حكمة الحنيفة في النا	دي وللوحدة الجليلة عـودي
فاسمعوني مع الزمـــان اغني	يا ليالي البشير بالعز عـودي
واسمعوني مع الحـداة اغني	يا سماء الفخار بالنصر جودي

وفي أخرى عنوانها « وخزات الضمير » قال :

كل من في القطر مسجـ	ـون وربي وكتابه(٢)
اي فرق بـين مـن	في السجن امضي في رحابه
والذي لا يأنف الـذ	ل حـرى بعقـابه
ليـت هـذا النيل حـر	وطـليق في انسيابه
انا منـفي لاني	لست ذئبا مـن ذئابه
غـللوه ، كبلـوه	جـردوه عن ثيـابه
ثم هـذا مبضـع السا	سة يمشي في اهـابه
قطعـوا اوصـاله كي	يغنموا عند اغتصـابه
زأر الوادي زئـير الـ	أسـد في آكـام غـابه
انسـوا ان الدم المسفو	ح من بعض خضـابه
ويحـهم ضـلوا سـبيل	الحـق مالاذوا بـبـابه

وفي احد اعياد هجرة الرسول نظم قصيدة جاء فيها :

ما زال عرق العرب فينا نابضا	حيا يعز على النهى ان يبترا(٣)
من مبلغ اسلافنا وهم الالى	قهروا الزمان بانا لن نقهـرا
عبث الزمان اذا اراد باهلنا	سـؤا وابدى ناجذيه وكشرا

وقال في قصيدة نظمها لما دعيت الامم لاجتماع سان فرانسسكو الشهير :

---

١ – هتاف الجماهير – حسن طه ٢٥

٢ – المصدر نفسه ٣٠

٣ – هتاف الجماهير ٥٦ – ٥٧

حرية ما احيلاها غــدت وطرا   من دونه الخطى جل اوطارى(١)

حرية هى نجوى كل مؤتمــر   نيلية الاصــل سودانية الدار

وقال عن سياسة الحكومة فى السودان :

أرأيت كيف الحكم فى السودان ينكره القضاء(٢)

ورأيت كيف العــدل فى ارجائه عمدا يســاء

كيف الاسى والذل يفرضــه علينا الاوصــياء

وقال عن معارضى وحدة وادى النيل :

حسبهم يا نيل نعمــى   ملئــوا منها العيابا(٣)

كلما ارويتهــم زا   دوك هما واكتئــابا

كيــف يوفونك بالعهد   الالى خانــوا الكتابا

وخاطب مؤتمر الخريجين فى احد اجتماعاته قائلا :

قضية النيل قد فصلتها فغــدت   حقا يمزق للمأجــور دعــواه(٤)

فلن ترى النيل اشلاء ممزقة   الا اذا غــير السكسون مجــراه

لبيك مؤتمر السودان امض بنــا   إلى كفاح بنو السودان تهــواه

من خلفك الشعب ان شئت الفداء   وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه

ما انت الا لسان الحال انت له   السيف الوحيد الذى لم يبــق الاه

وفى احتفال بعيد الجهاد قال :

وحدة التاج والدفاع ســلاح   يقرق الانجليز منه ســدادا

قل لمن يرفض السيادة اعــرا   ضا لكى يلبس البياض السوادا

ان معــنى سيادة التاج انا   سوف نحيا اخــوة انــدادا

وقال فى الاحتفال بيوم التعليم :

الانجليز هم قــوم لبانتهــم   ان يسحقوا الشرق أو تحنى نواصيه

---

١ – هتاف الجماهير ٦٢

٢ – المصدر نفسه ٦٣ – ٦٤

٣ – هتاف الجماهير ٦٥ – ٦٦

٤ – المصدر نفسه ٧٠

قالوا رفاهية السودان غايتنا — حسب البلاد عناء ما تعانيه
لو نبعث الصيحة الكبرى لكان — لنا شأن وكان لنا مما نرجيه

نظم الشاعر قصيدة طويلة ودع بها قائد الجيش المصرى ، وقد جاء فيها :

من رسولى إلى الطغاة فكم ذا — ضاق صدرى بهم وقد كان رحبا
افسدوا جادة الطريق ولو لا — هم قطعنا الطريق جريا ووثبا
ها هم الغاصبون قد تركوا النيل — جديبا ولم يك النيل جدبا
غرسوا بذرة الشقاق بواديه — ليجنوا من الدسائس أبّا
قل لهم خاب سعيكم فذرونا — نحن بعد الجلاء اهل وقربي

وقال فى أخرى :

اجر يا نيل ان شانئك اليوم — حقير وانما هو ابتر
ان واديك جنة تتهادى — فى رباها كما تهادى الكوثر
غير ان الدخيل يسلبها الخير — ليغنى بخيرها ماتشستر
اجر يا نيل الكنانة ذكر — ها بحرية المعز وجوهر

اما قصيدته « باقة الوادى » فقد جاء فيها :

فلتحى وحدة وادى النيل تخرجهم — عنا فيحيا مع الاحياء وادينا
تلكم مبادؤنا ان مسها عطب — متنا اذن قبل ان تفنى مبادينا
الشعب افضل ميزان لدعوتنا — يا ليتهم حكموا هذى الموازينا
ارادة الشعب فوق الحاكمين اجل — بل انها السيف ذو الحدين مسنونا

ومن قصيدة طويلة القيت فى جمع المتظاهرين نختار الابيات الآتية :

ان يك الغاصب قبل اليوم ظن الشعب عبده[1]
فاستغل الجهل عونا واستباح الفقر عده
واذاق الشعب صابا وهو يستجديه رفده
واذل النيل بالقوة كى يحتل ورده
قل له قد هب وادى النبل لا يألوك جهده

---

١ - هتاف الجماهير ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٦

وفى أخرى عنوانها « كفاح الشعب » قال :

فياشعب وادى النيل حقك ضائع اذا لم تقف دون الحقوق تصارع
صراعا يرى المستعمرون مضاءه عليهم جحيما تصطليه المضاجع
تحرك مليا ايها الشعب نحوها فليس الاماني دونها البون شاسع

خاطب الشاعر جمعا حافلا فى ليلة سياسية قائلا :

يا شعب جلادوك ها هم فى السلاح مدججونا
لم يكفيهم انا نكافح للغذاء مصفدينا
جاءوا الينا كى يرونا فى الدماء مضرجينا
فليسفكوا دمنا الزكى كما يشاء الحاكمونا

وقال فى تأبين المجاهد على عبد اللطيف :

فما الموت ان تذهب الروح عنا وان يقبر المرء فى لحده
ولكنه ان تعيش طليقا ونيلك يرسف فى قيده
لقد سطر الخلد نارا تلظى فاروى له الخلد من زنده

ودونك ان تستكين والا فاحشد قواك إلى طرده

ومن قصيدة وجهها إلى المغفور له السيد اسماعيل الأزهرى لما اعتقل مع عدد من زملائه المجاهدين نختار :

وضح الصبح جهرة للعيان ورأت مصر محنة السودان
المواثيق لم تعد تتمشى مع باغ يشتط فى العدوان
والاباطيل لم تعد تتنافى مع ما يدعيه من بهتان

يتضح لنا من هذه النماذج التى عرضناها ان الشاعر حسن طه آمن بوحدة وادى النيل ايمانا قويا فدعا لها دعوة ثائرة . نقول هذا لانه فى شعره نقد حكام السودان نقدا مريرا مفصلا فقد ذكر ما يعانيه المواطنون على اختلاف طبقاتهم . فالموظف والعامل والزارع ، كل منهم عاني من وطأة الحكم ، وكابد ما كابد من معاملة الحاكمين . مثال ذلك قوله :

كل من فى القطر مغبون يعاني اليوم سهده

طاويا الا اذا مرغ مثل الكلب خـــده
فاذا ما صاح في وجه الطغـــاة المســـتبده
جائع مترفع يشكو إلى الحاكم وجـــده
قال حـــدوه فكان السجن والتشريد حده
ها هو الكاتب في مكتبه ينـــدب جـــده
قد رأى الغاصب يستنزفه جهدا وجهـــده
ولديه من نعيم العيش ما يعييك ســـرده
فاذا ما قال انصفني غدا التنكيـــل رده
غضبوا منه وقالوا انـــه جـــاوز حـــده
ها هو الزارع لا يجـــني برغـــم الكد كده
حظه الاشـــواك م الشهد فلا يطعم شهده
حسبه البؤس الذي اضـــناه عـــدوانا وهده
يحصد العمر أجـــيرا انما يجهل حصـــده
فاذا قلنا لهم اعطـــوه كي ينقـــذ ولـــده
غالطوا في اجره قالوا لنا لا شيء عنـــده
ها هو العامـــل منهوك تخـــال الشن جـــلده
يتفاني كلما اغـــروه كي يبـــذل جهـــده
فاذا ما طلب القـــوت الذي يكفـــل زنده
اعرضوا عنه وخلوه يعـــاني الموت وحـــده

كذلك ندد بسياستهم فقال انها تحرم على المواطنين الكلام في شئون بلادهم كما تمنعهم التنقل فيها وتحول بينهم وبين خيراتها المباحة لهم بوصفهم الحكام ولغيرهم من الاجانب ويتمثل هذا في قوله :

تلك السياسة طيها مكـــر وظاهـــرها رياء
ايان حـــل ركابهم فعلى المسرات العفـــاء
تؤذيهم ضحكاتنا ويسرهم منا البكـــاء
قالوا البلاد فقيرة وجيوبهم ملئـــت ثراء

قد كمموا الافـواه كيلا نملأ الدنيا استياء
وتفننوا فى القيد كى لا نذرع الارض الفضاء
وابوا علينا انة الشاكى وصيحات الرجـاء
قد ايأستنا رحمة الأرض فما شأن السمـاء

ويبدو لنا من نقده ذاك المرير المفصل ومن تنديده بسياستهم انه لا يرجو منهم خيرا ولا صلاحا ولا يرى فى مسلكهم واسلوبهم فى الحكم بارقة امل لذا قال فى غضبة البائس أو يأس الغضبان :

قد أيأستنا رحمة الارض فما شأن السماء

لهذا كله دعا إلى الثورة فى عدد من قصائده والح فى الدعوة ، ومن ذلك قوله لشعب وادى النيل لا لشعب السودان وحده :

فيا شعب وادى النيل حقك ضائع   اذا لم تقف دون الحقوق تصـارع
صراعا يرى المستعمرون مضـاءه   عليهم جحيما تصطليه المضاجـع

إلى ان قال :

فليس الكفاح الحق تأليف خطبة   وما هو نظم فى الحماسـة رائع
ولكنـه سجن ونفى وشـدة   وضرب وحرب تصطفى ومواقع

وقال فى أخرى :

ها هو النيل المفدى ظل يستنجد أسده
ها هى القوة تغلى فى دم السودان حـده
ها هى النيران تجتاح الالى يبغون وأده
ها هى الثورة كالـبركان تدوى بل أشده

وقال حاثا على التضحية :

يا شعب دونك ان تمـوت   وان تعيش مـع الذينـا
ساموا لوادى النيـل   أنفسهم فكانوا خالدينـا

انه خاطب شعب وادى النيل لايمانه بالوحدة وهى فى رأيه حقيقة تاريخية وهى

وحدة تكوين واثبت ذلك فى قوله :

يا وحدة اثبت التاريخ نشأتها مذ عهد خوفو ومذ توت عنخ آمونا
مصر هى الرأس للسودان ..لهم كلاهما وحدة جسما وتكوينا

ودعا شعب السودان ووادى النيل إلى الثورة لتحقيق الوحدة فى أكثر من قصيدة ومن ذلك ما جاء فى هذه النونية وهو :

يا شعب سر نحو الحياة وخض بحر الدماء فليس العمر مضمونا
ان كان للحق دون الموت من أثر نحـيا والا فان الموت يدعونا

وهو فى ثورته ودعوته للثورة يتجه احيانا إلى الزعماء يستحثهم على التمسك بها ويعلن لهم تأييد الشعب واستعداده للقتال ، ويتجه كذلك إلى معارضى الوحدة وهم ــ خصومه فى السياسة ــ باللوم والتقريع والاتهام احيانا ــ اما ما قاله للزعماء فتمثل له بهذه الابيات التى خاطب بها السيد اسماعيل الازهرى :

وحدة النيل فى يديك سـلاح كان أمضى من مرهفات السنان
فضحت كل مرجف يتعامى ودهت كل من له وجهـان
سر بها مؤمنا فخلفك شعـب ليس يخشى كتائب الفرسان

واما الخصوم الذين عارضوا الوحدة فقد قال فيهم :

حسبهم يا نيـل نعمى ملئـوا منهـا العبـابا
كلما ارويتهـم زا دوك هما واكتئـابا
كيـف يوفونك العهد الالى خانـوا الكـتابا[1]
. . . .
جل وادى النيل اذيؤ وى مع الاسـد الذئابا

ومن قوله فيهم ايضا ذا ما ، مهددا :

جواسيس للأعداء عون وساعد ولكن علينا أعـين وطلائع
سماسرة هذا يساوم شـاريا وهذاك فى سوق السياسة بائع
وهذا يمنى بالارائك نفسـه وهـذاك فى ظل الارائك قابع

١ - البيت غير مستقيم الوزن

. . . .

فياويلهم ان يحكم الشعب نفسه … وان كشفت يوم الحساب المراجع
سيلقون عند الكادحين جزاءهم … متى ازدحمت بالكادحين الشوارع

اندفع الشاعر حسن طه يؤيد وحدة وادى النيل بنفس الأسلوب ــ هجوم على حكومة السودان يحصى به مثالبها ويعدد اخطاءها ويكشف فيه نواحي قصورها ، ودعوة للثورة يوجهها لمواطنيه مبشرا بحياة أفضل ثم هجوم على الخصوم يضمنه نقدا لاسلوبهم فى السياسة وشكا فى دوافعهم . سار على هذا النهج فى معظم قصائده وبذل جهدا فى التعبير عن رأيه واحساسه للادباء والساسة والمواطنين عامة مستعينا بمجموعة من التشبيهات والاستعارات ، وقد جاءت التشبيهات أكثر ومعظمها من البليغ ، وها هى ذى امثلة منها :

دين الحنيفة سيفنا لا نبتغى … من دونه سيفا صقيلا مشهرا
وهدى الكتاب دليلنا لا نبتغى … من دونه حكما نزيها مبصرا

. . . .

وقف الشعب خلفه وقفة الآ … ساد يستجمع القوى ليذبا
ان سوداننا هو العين للنيل … وكانت له الكنانة قلبا
هو حبل الوريد بيننا متى نبتره … نقض الغداة والله نحبا
هو سر الحياة مجده التا … ريخ حتى غدا اليها وربا

. . . .

ان واديك جنة تتهادى … فى رباها كما تهادى الكوثر

. . . .

الشعب أفضل ميزان لدعوتنا … يا ليتهم حكموا هذى الموازينا
ارادة الشعب فوق الحاكمين اجل … بل انها السيف ذو الحدين مسنونا
فهى السلاح اذا صلنا بقوته … نلنا الاماني واخضعنا السلاطينا
ماذا يضير الاعادى منك ويحهم … ان لم تكوني لهم صابا وغسلينا
مصر هى الرأس للسودان .. … كلاهما وحدة جسما وتكوينا
يايها الشعب سر نحو الحياة وخض … بحر الدماء فليس العمر المضمونا

....

صراعا يرى المستعمرون مضاءه   عليهم جحيما تصطليه مضاجع

وليست حياة المرء الا وديعة   « ولا بد يوما ان ترد الودائع »

....

وخاض إلى المجد بحر الدماء   فشق الطريق على بعده

ونادى بوحدة نيل البلاد   مناداة شيخ إلى ولده

....

وحدة النيل فى يديك سلاح   كان امضى من مرهفات السنان

....

زأر الوادى زئير الا   سد فى آكام غابه

....

ها هى الثورة كالبركان تدوى بل اشده

....

فليسفكوا دمنا الزكى كما يشاء الحاكمونا

فكأنهم بين الورى اسد الشرى   وكأنهم علم عليه فنار(١)

....

انت يابن الحسين كالمزن تهطا   لا على الشعب كم شفيت غليلا

انت كالسيف غير انك سيف   لم يكن مغمدا ولا مغلولا

ومن استعاراته نورد هذه الامثلة :

ثم هذا مبضع السياسة يمشى فى اهابه

زأر الوادى ....

ويحهم ضلوا سبيل الحق مالاذوا ببابه

....

عبث الزمان اذا اراد باهلنا   سوءا وابدى ناجذيه وكشرا

قامت حداة الشعب تحت لوائه   صفا الى ان تجلى المستعمرا

---

١ – هتاف الجماهير

فتفجر الوادى عيونا ثرة — الخير يفعم نبعها المتفجرا
وانساب وادى النيل كنزا خالدا — يجرى لجينا أو . . . . . احمرا

. . . .

قد كمموا الافواه كيلا نملأ الدنيا استياء

. . . .

جل وادى النيل اذ يؤوى مع الاسد الذئابا

. . . .

حرية النيل ما إن قد هتفت بها — تراقصت شجنا منها اواديه

. . . .

غرسوا بذرة الشقاق بواديه — ليجنوا من الدسائس ابا
غضب النيل من منابعه العليا — فثارت له الكنانة غضبى

. . . .

قل لهم لاانقسام مادامت الاحزاب طرا بوحدة النيل تزأر

. . . .

واذاق الشعب صابا وهو يستجديه رفده
هاهو النيل المفدى ظل يستنجد اسده
هاهى القوة تغلى فى دم السودان حده

. . . .

ياشعب جلادوك ها هم — فى السلاح مدججونا

. . . .

لقد سطر الخلد نارا تلظى — فاورى له الخلد من زنده
وزلزل ركن الطغاة بعزم — تجول المنية فى حده

. . . .

تعال لنطفىء الخلف الذى — قد بات يستعر
تعال لنجمع الشمل — اخاف العقد ينتشر

. . . .

مـــن رســـولى الى الطغاة فكم ذا ضاق صدرى بهـــم وقد كان رحبا

لاحظنا أثناء نظرنا فى قصائد الشاعر حسن طه الواردة فى ديوانه «هتاف الجماهير» انه وقع فى بعض الاخطاء النحوية الا انها قليلة فى عددها ويسيرة ولعلها من قبيل خطأ الطبع أو زلة القلم ، وقد يكون بعضها من قبيل الضرورات الشعرية ، ومهما يكن الامر فاننا نذكر منها :

قوله : دعها تقطب وجهها اما انا آليت الا ارتضى بالهـــون

انه يحذف الفاء من جواب اما .

وقولـه :

كيف يوفونك بالعهـــد الالى خانوا الكتابا

حيث جاء بفاعلين للفعل « يوفى » واو الجماعة «والالى» على لغة «اكلوني البراغيث» وقوله :

حى مصر وهنها برجال قد دعوا الشرق للجهاد فلبى

اذغير ضبط الفعل « دَعَوْا » إلى « دَعُوا » ليستقيم الوزن . وقوله :

شاهد المصطفى وصاحبه قدما كما رأى بعينيه (قيصر)

حيث وضع قيصر بين قوسين لتجيء ساكنة فتستقيم مع قافية القصيدة . وقوله :

كم رأى مسلما يبايع فى الله بامواله فلا يستكثر

ويبايع فعل يتعدى مباشرة وهو هنا يتعدى بحرف الجر فى . وقوله :

اين الجهاد وهذه أعمالكم جونبول يحملها لكم فتفصلوا

وفيه يحذف علامة الرفع من الفعل « فتفصلون » ولم يسبقه ناصب او جازم وقوله :

وكان جديرا ان نعاديه مذ اتي نحاربه طورا وطورا نصانع

فقد حذف علامة النصب من « نعاديه » وهى الفتحة وسكن الياء وقوله :

كفاحهم فعل مضى فهو ناقص واما كفاح الشعب فعل مضارع

باسقاط الفاء من جواب « أما » .

وقوله : ولو انصفوا قالوا الجونبول اننا بغير الذى يرضى البلاد نمانع

حيث توسع فى استعمال حرف الجر — الباء ، فمراده من الشطر الثاني « اننا نمانع فى غير الذى يرضى البلاد » ، ولم نسمع بقولهم « مانع ب او يمانع ب » ولعله استعمل « نمانع » وفى ذهنه « لا نرضى » ليكون مراده من هذا الشطر : « لا نرضى بغير الذى يرضى البلاد ، اما مانع فغالبا ما يأتي بعدها فى أساليب هذا العصر حرف الجر « فى » . كذلك اباح الشاعر لنفسه استعمال حرف الجر « من » فى البيت :

وان لم يكن حكم البلاد مؤيدا من الشعب اطلاقا فما هو نافع

بعد « مؤيدا » وغالبا ما تأتي الباء بعد « ايد » ومشتقاتها ولكننا نقول ان لغة العصر تزخر بمثل هذا الاستعمال — « مؤيد من » و « مسنود بـ » وهى لغة الجماهير التى يهتف بها فى ديوانه .

وفى قوله : غضبوا منه وقالوا انه جاوز حده

استعاض عن « على » بمن ، والمشهور استعمال « على » .

أما قوله : هل فيه ميثاق إلى استقلالكم ام فيه وعد بالجلاء مجلجل فقد حشر فيه الشاعر حرف الجر حشرا ، ولا مبرر لوجوده الا اقامة الوزن اذ يستقيم المعنى بقولنا « ميثاق الاستقلال » ، ، واداة الاستفهام « هل » لا يذكر بعدها المعادل الا فى القليل ، لكن الشاعر جاء به فى بيته هذا . كذلك اناب الشاعر حرف الجر « إلى » « مناب » اللام « فى قوله :

ودونك ان تستكين والا فاحشد قواك إلى طرده

ثم ان الشاعر فصل بين الصفة والموصوف فى البيت :

وغفوت فى سنه انفعالات كما يغفو اخوهم لديه دفين

حيث حشر « لديه » بين « هم » وصفته « دفين » وهى لا تزيد المعنى كثيرا اذ يكفى ان يقول « اخوهم دفين » .

لاحظنا كذلك ان الشاعر لم يتوخ الدقة فى استعمال بعض الكلمات مثل

« ضراب » في قوله :

وما وطني سوى توتي اذا لم   اذد عن حوضها يثلم ضرابي

وفي قوله :

جهاد لا يفل له ضراب   واقداما تهون له الصعاب

اذ الذى نعلمه ان « الضراب » هو « الضرب أو المضاربة أو القتال بالسيف» لا السيف نفسه ، والذى « يثلم » أو « يفل » هو السيف لا الضرب أو المضاربة اللهم الا ان اراد الشاعر معنى مجازيا لم يخطر على بالنا .

لم تسلم بعض ابيات الشاعر من خطأ صرفى فقد جاء فى بعضها كلمات ذات وزن غير معروف فى تلك المادة ومن ذلك « مشهر » فى قوله :

دين الحنيفة سيفنا لا نبتغى من دونه سيفا صقيلا مشهرا

وفى قوله :

وبلوناه فى الجهاد فقال الحق للسيف طالما هو مشهر

ووزن « مشهر » مفعل يأتي من الرباعى « افعل » ولا نعلم كلمة من هذه المادة « شهر » بهذا الوزن والمعنى ، فلا يقال فيما نعلم « اشهر فلان سيفه » انما يقال «شهر سيفه» أو «شهّر سيفه»(١) بتشديد عين الفعل وعليه يكون اسم المفعول الذى يستعمل وصفا على زنة مفعول أو مفعل فنقول : سيف مشهور أو مشهر . كذلك ورد فى بعض ابيات الشاعر تعابير أو كلمات عامية ، نذكر منها :

يايوم مولده خلافك لم نجد   يوما تنير مساءه اقماره(٢)

« فخلافك» بمعنى سواك أو غيرك كثيرة الورود فى اللغة العامية ، ومنها ايضا« لو من بينكم » فى قوله :

لا يرتضيه الحر لو من بينكم   حر عليه فى الجهاد يعول

فالعبارة « من بينكم » تتردد فى حديث عامة الناس كثيرا بلفظها ، وأكثر منه بمعناها حيث يقال « لو فيكم راجل » . ومثل ذلك قوله فى البيت :

---

١ — القاموس المحيط مادة شهر

٢ — هتاف الجماهير ٣٩

لو عندنا ذهب لجدنا ، لا كما جادوا عليها منه وفضولا

والمثل العامي المشهور « يبكي ماعارف الميت » مضمن في قوله :

قم يا اخا الوادي وارشد امة تبكي ولكن تجهل المقتولا

ومن معانيه العامية ما جاء في عجز البيت :

يا ايها الشعب سر نحو الحياة وخض بحر الدماء فليس العمر مضمونا

فكلنا يعلم هذه الحقيقة — حقيقة « كون العمر ليس مضمونا » ، وهي مما يتداوله الناس خصوصا عامتهم في احاديثهم ، وهي في هذا البيت بالذات لا تناسب ما سبقها من معنى كبير . فالشاعر يدعو للثورة ، ويحض الشعب على القتال ففيه الحياة ، وبعبارة أخرى يقول للناس قاتلوا في سبيل وطنكم لتعيشوا فيه عيشا كريما هنيئا ، فالحياة في نظر جهاد وقتال من اجل البلاد . ولو اكتفى بهذا لاوفى الا انه زاد « فليس العمر مضمونا » فأسف اذ يبدو للقارىء انه يريد منهم ان يجاهدوا لان « العمر ليس مضمونا » ، ويبدو ايضا انه يدلهم أو يحضهم على مكاسب عاجلة ، ولو قال لهم ان الموت آت وخير للانسان ان يموت مجاهدا لكان أحسن الا انه لجأ إلى هذا المعنى العامي المعروف فختم به دعوته للنضال .

هنالك بعض الالفاظ العامية ، وهي وان كانت قليلة جدا الا اننا نرى الاشارة اليها ، فكلمة « عديل » بمعنى مستقيم أو غير معوج شائعة في العامية السودانية وقد جاءت في البيت :

اسد جياع من يرد ترويضها يرسم لها سنن الكفاح عديلا[1]

ان اوزان الشاعر وقوافيه في جملتها سليمة . غير انه التجأ إلى الضرورة في قلة من ابياته (وقد اشرنا إلى شيء من ذلك مع الاخطاء النحوية) ، مثال ذلك قوله :

خبرونا بما رسمتم لنستجلى طريقا سلكتموه فرادى[2]

حيث حذف علامة النصب — الفتحة — من آخر الفعل (نستجلى) ليستقيم الوزن وفي قوله :

---

١ — هتاف الجماهير

٢ — هتاف الجماهير

ونظم فى تحية المتخرجين الجدد فى عام ١٩٢٩ قصيدة طويلة نختار منها :(١)

سودانا خلف الشرى انظر غدا ... عن اى شعب تنجلى غمراتها
يا ايها الوطن المفدى اننا ... رسل المنى قد جربت وثباتها
فأهنأ بأبناء طغت بقلوبهم ... وطنية لا تنطفى ثوراتها
وتسورت فى الرأس منهم نخوة ... عربية لم تنقطع سوراتها
يا فتية قامت لهم بحقوقهم ... اوطانهم وسرت لهم دعواتها
صونوا لها عزم الفتوة والقوى ... لتزول من صحف الوجود شكاتها
اهلا بصف من جنود عبئت ... وتعانقت من قوتها راياتها
قد ابصرت فى مقرن النيلين اطنان المياه تلاطمت موجاتها
فتعلمت منها الكفاح واقبلت ... تعدو ونادت بالجهاد دعاتها
لا تنثنى حتى تجاب لامة ... عربية عصرية طلباتها

وفى قصيدته « لماذا التردد » دعا امته لحمل السلاح ، قال :

يا امة آمنت بالذل فاستلمت ... نعل العدو وطافت حوله طوفا(٢)
يا امة سدرت فى اللهو وارتشفت ... خمر الفساد وعاطت كأسها صرفا
يا امة نبذ القرآن اكثرها ... جهلا وبغيا وعادوا هديه سخفا
أتطلبون نجاحا فى الحياة ولم ... تستسهلوا الصعب أو تستعملوا العنفا
لانجح ان لم تسل مهجات انفسكم ... فتغسل الظلم والارهاق والعسفا
كفى فقد صار قلبى لا يحبكم ... وصار لى وطنى السودان كالمنفى

وقال فى تحية « احمد حسين » عندما اعتزم زيارة السودان :

شعلة انت من وراء الغيوب ... رفع الله ضوؤها للشعوب(٣)
فهى فى مصر والشقيقات من جا ... راتها قبلة لكل القلوب
. . . .
انت رغم الجميع قائدها الاعلى ... فخض واثقا غمار الخطوب
لن ترى غير ثورة واكتساح ... فى شمال البلاد او فى الجنوب

١ – الشاطىء الصخرى ٤٥
٢ – الشاطىء الصخرى ٥٧
٣ – الشاطىء الصخرى ٢٢٦

وان هددت بالاعـــدام شنقا | وان علقت بالحبل المتـــين

. . . .

ستفهم ما أحاول حـين ابدو | واشعل غـارة الحرب الزبون
وتفهم ما اردد يوم اسطـو | واضرب فى الشمال وفى اليمين
وانشدكم مقال اخى تميم | اخى الامثال والشعر الرصين
« أنا ابن جلا وطلاع الثنايا | متى اضع العمامة تعرفوني »

وقال من قصيدة عنوانها « ما أخافه » :

اني اخـاف صحابتى | اني اذا ما مـت أن(١)
لا يستمـر جهـادنا | ذاك الجهـاد المرتهـن
مستقبل الوادى بـه | وخـلاص ابناء الوطـن

ورسم المستقبل بالابيات الآتية :

ونهب نبنى للبلاد حضـارة | غابت عن الاعجـام والقدماء
ونعيش نرفل فى هناء شـامل | فى ظل ملك واسع الارجـاء
طبعت مناحيه بطابـع امـة | عربية عزت عـلى الاعـداء
فيكون موطننا الجنـان لاهله | ويتم بين مواطـنى هنائي

. . . .

وهناك تظهر عبقـر | يات لكل فـتى قمن
دفنت على عهـد الطوا | غيت المحركة الفـتن
قوم هم الطاعـون من | والاهم يوما طعـن
دخلوا البلاد مع الجها | لة والنذالة فى قـرن

وقال عن الحكم الاجنبى فى السودان مـن قصيدة عنوانها « قسم عظيم » :

لا صلح حتى تستقل بلادنا | ونزيح عنها ضغطة الكابوس
وتجوس خيل الله وسط بلادهم | وتدوسهم بعرمرم وخميـس
فتدينهم وتدول منهـم دولة | خـداعة اربت عـلى ابليس
ما كان فيهم مصلحون فلعنة | تسرى على الرؤساء والمرؤوس

---

١ – الشاطىء الصخرى ٣٣

اما « مطلبه السياسى » فقد أعلنه فى قوله :

امــل يرف ومطلب منشود ... تحقيقــه بثباتنــا معقــود
ان يستقل النيــل دون تحفظ ... وتنفــك اغلال اه وقيــود
ويعود للسودان عهد مشرق ... وتعود مصر لاهله ويعــودوا
فيرف فى الوادى لواء واحد ... يسع العناصر ظــله الممدود
ونسير فى التاريخ شعبا واحدا ... يمشى على هام الورى ويســود
كيف التفرق والروابط جمة ... الضاد والارحــام والتوحيــد

وخاطب الملك فاروق فى احدى قصائده قائلا :

يا مليك السودان سودان مصر ... ليس بد عاما قلت من شاردات(١)
ذاك قطر متمم ارض مصــر ... وهو من مصر من جميع الجهات
كذبت كل دعوة غير هــذى ... ووشيكا تموت عوى الطغــاة
ونراه عــلى الضفافين شعبا ... واحدا سائرا بهــدى الثقــاة

نلمس فى هذه النماذج التى قدمنا العديد من المعاني القوية . بل انه ليمكننا القول بأن معاني هذا الشاعر فى جملتها اتسمت بقوة ظاهرة ولعل منشأ هذه القوة ماكان يغلى بين جنبى الشاعر من سخط على البريطانيين مع ما تردد فى خاطره من افكار ورغبات محورها الوطن والمواطنون . من امثلة قوة المعنى عند الشاعر حسين منصور قوله :

سودانا خلف الشرى انظر غدا ... عن اى شعب تنجلى غمراتها
يا ايها الوطن المفدى اننــا ... رسل المنى قد جربت وثباتها
فاهنأ بابناء طغــت بقلوبهم ... وطنية لا تنطفى ثوراتهــــا
وتسورت فى الراس منهم نخوة ... عربية لم تنقطع ســــوراتها

إلى آخر هذه الأبيات التى اوردناها ضمن النماذج ، وفى كل بيت منها نجد ما يشعر بالقوة « فخلف الشرى » توحى بالاهوال والمخاوف التى تنتظر من يريد بالسودان شرا ، وتدل على منعته ، ثم انجلاء الغمرات يستلزم دفعا وانفراجا وهذان

---

١ - الشاطىء الصخرى ٢٤٣

يحتاجان إلى طاقة . اما البيت الثاني ففيه « رسل المنى المجربة الوثبات » والرسول مكلف باداء مهمة معينة فهو مدفوع بقوة معينة هى قوة الالتزام والايمان بمهمته ، والمنى تكتنفها دوافع معنوية تقيمها فى النفس وتحضرها لبلوغها ، وفوق ذلك فلهذى المنى وثبات ولا بد من شد اعضاء معينة فى الجسم ثم اطلاقها لتتم الوثبة الواحدة فان كن أكثر من واحدة احتاج الامر إلى جهد بدني أكثر ولا يكون الجهد البدني الا بشيء من القوة قليلا كان أو كثيرا . مثل هذا يقال فى الابيات التالية ، فقوله « طغت بقلوبهم وطنية » يصور الفوران والغمر والاستيلاء وقوله « لا تنطفىء ثوراتها يصور الاشتعال واللهب المتأجج والدخان المتصاعد ، ومهما يكن من شيء فان هذه الابيات تزخر بالتعبير عن الدفع والشد والمقدرة الفتاكة ، ويندر ان تخلو قصيدة من شعره خصوصا الوطنى والسياسى من مثل هذا التعبير لذلك انتشرت المعاني القوية فى شعره . احيانا نجد شيئا من معاني الشعر القديم وبعض الفاظه لا سيما البدوى منها فى بعض قصائد الشاعر الواردة فى ديوان الشاطىء الصخرى وهاهى ذى بعض امثلة على ما نقول :

ولا قوة عندى لا منع ما أرى — وارفع دون الحق سيفا مجردا(١)
سوى نفر عند العدو قلائـــل — ولكنهم ان قابلوا المــوت عردا
وما كثرة الانصار يوما بنافع — اذا حرموا قلبا من الصخر جلمدا
. . . . — . . . .

ومن الامثلة ايضا قوله :

وكيف تطيق العرب هذا وعندهم — حفاظ هزبر يذرع الغاب زائرا(٢)
كفى وتحرك واكشف اليوم غمة — بابيض يوم الروع يبرز سافــرا
فما المجد احزاب وهذر صحافة — بل المجد ان ترقى الجماجم ثائرا

وقوله :

لم اجـــد إلى الخلاص ســـبيلا — من اناس هــم بن تيس وكلب(٣)
. . . . — . . . .
فعلى الليث مبلغ الكلب بســـل — وحــرام ما نيش فى ظهر غيب

---

١ — الشاطىء الصخرى ٦
٢ — الشاطىء الصخرى ٢٣
٣ — الشاطىء الصخرى ٣٥

وقوله :

والناطقين بلحنهم فكأنهم ... وكأنه عندى نبيب تيوس(1)

....

ان لم اضارب كل علج فاجر ... وألف كرد وسا على كردوس
ويرى الاعادى عصبة عربية ... ما بين هماس وبين هموس

وكذلك قوله :

وترمين بى الاخطار اعزل لم اخم ... عن القوم فى بردى عنترة العيسى
وما ذاك أمر دائم بل مؤقت ... وما الاعزل العادى بمؤتمن الفرس
فسوف يروني غازيا ببنادق ... تجول على اكتاف شيعتى الشكس

وقوله عن احد اصدقائه وقد توفى :

وابراهيم مطبوع فاخلق ... به ان يزحم البزل القروما

....

خذوا ديوانه وتصفحوه ... تروا ودقا ورزاما هزيما

وقد اخرج الشاعر جميع معانيه القوية هذى فى عبارة واضحة قوية وأسلوب رصين يجذب القارىء فيبقى مع الشاعر فى قصائده يتابع احاسيسه وخلجات نفسهوفى احايين قليلة يلجأ إلى تعابير ضعيفة كقوله :

اتطلبون نجاحا فى الحياة ولم ... تستسهلوا الصعب أو تستعملوا العنفا (2)

لان « تستعملوا العنفا » مترجم عن الانجليزية ، وليس عربيا اصيلا . ان مما اعان الشاعر على اخراج معانيه بتلك الصورة تشبيهاته الكثيرة الدقيقة ، ومعظمها من نوع البليغ وها هى ذى مجموعة منها نأتي بها كأمثلة :

ونعيش نرفل فى هناء شامل ... فى ظل ملك واسع الارجاء
فيكون موطننا الجنان لاهله ... ويتم بين مواطنى هنائي

....

قوم هم الطاعون من ... والاهم يوما طعن

---

1 – الشاطىء الصخرى ٤١
2 – الشاطىء الصخرى ٧٩

. . . .

يا أيها الوطن المفـــدى اننا رسل المنى قد جربت وثباتهـــا

. . . .

يا امة سدرت فى اللهو وارتشفت خمر الفساد وعاطت كأسها صرفا
كفى فقد صار قلبى لا يحبكم وصار لى وطنى السودان كالمنفى

. . . .

شعلة انت من وراء الغيـوب رفــع الله ضـؤها للشعـوب

. . . .

سأقذف فى حياض الموت نفسى لا حفظها فقد فقـــد الحفـــاظ
ولذا العيش فى ظـــل الهوينى وساس الناس اعلاج غـــلاظ

. . . .

هو جنتى وهو النعيم مضاعفا ان حققت مثلى وعم اخـــاء

. . . .

فاعماق السجون له مقـــر كأن جـــدارها حال القليب
لتعرف فتية بالامس كانـــوا نجوما فى المحافل والخطـــوب

. . . .

لا ثور ثورة ضيغم مستبســـل واجاهـــد الاشواق اى جهاد

. . . .

كأن الشعر من فمهم غضـــابا سيوف الحق للعـــادى تسـل

كذلك تيسر للشاعر عدد من الاستعارات الجيدة وكثرت فيها التصريحية وها هى ذى نماذج منها :

قضيتها فى شاطىء صخرى مستهدف فى زاخـــر لجـــى
يرمى بالاف من الآذى مـــلح اجاج طائر النفـــى
لا ينتهى صف من الاتي الا بصـــف صاخـــب الدوى

. . . .

وآب الدين يأرز مستجـــيرا وفى آثاره ابدا شـــواظ

. . . .

وقوموا إلى الافرنج نرفع نيرهم   ونعلي بناء يعربيا تقاصرا

. . . .

ويرسف فى قيود الذل خوفا   ويأبي ان يفيق مع المفيق
ولكن ابكه وابك لشعب   يخاف معيشة الشعب الطليق

. . . .

فاترك للكلاب دما ولحما   واحفظ سالما رأيي وديني

. . . .

يا سماء الخريف لا تركيني   للربيع الذى اتي شامتا بي
لابسا سندسيه يتهادى   باسمالى بنوره لا يخبى

. . . .

وهل انا مثلكم احيى مهانا   وافرش للعدا خدى اتضاعا

. . . .

تخاف يراعتى دول كبار   وتخشى عند وخزتها انصداعا
تفاجئها وتصفعها دراكا   وتكشف عن سياستها القناعا
والقيها على القرطاس تسعى   فتلتقف الدسائس والخداعا

. . . .

فوحقها ان لم تكن لى مثلما   اني لها فى يقظتى وسهادى
لأثور ثورة ضيغم مستبسل   واجاهد الاشواق اى جهاد
حتى يقر الذل شرقا والهوى   غربا واسلك بعد نهج رشاد

. . . .

اذا ضغط الاعادى ثار منهم   اسود خلفها شعب ابل
فتزأر زاره يدوى صداها   تكاد لها عروشهم تثل

. . . .

. . . .

خذوا ديوانه وتصفحوه   تروا ودقا وزراما هزيما

ويرسلها على الاعـــدا رجوما يصيب بهن شيطانا رجيمـــا

....

وســـوالك يخضـــب وده ويعيش يضحك بالصحـــاب

سلمت للشاعر حسين منصور اوزانه وقوافيه ، ولم نقف له على خطأ نحوى او صرفى أو عروضى الا القليل النادر الذى لا يستحق التسجيل . فمن اختلال الوزن قوله :

غير السبات والاستكانة للعدا فمتى تهب وتستكين عداتها(1)

أما صورة فمفرده ، الا انه يأتي بها فى بعض الاحيان متتابعة فتكون مثل الشريط السينمائي ، ومن ذلك هذه الأبيات وهى من قصيدته « يوم مطير » .

عليه من الشتاء جناح ثلج يرفرف فوق اطياف الضياء

ضللنا الشمس فيه وراء سحب تقلـــع قرب ابواب السماء

كأن رؤوسها مترفعـــــات رؤوس العرب ترفع فى اباء

كأن رعـــودها متتابعـــــات دوى مدافـــع فى الارض ناء

كأن بروقهـــا متقابـــلات ظـــبى امم تنازع للبقـــاء

ومنه ايضا قوله فى القصيدة « القلب الطريد » :

يستطير الذكاء منه شعاعـــا ساكبا ضـــوءه على اقطـــاره

يشرق القول من سناه ويمشى شرطى العفاف فى انـــواره

ويفيض الحنان نهـــرا دفوقا يجرف العـــاذلين فى تيـــاره

وفى القصيدة نفسها جاء قوله :

طـــال تسياره وآب ولم يحظ بغـــير الكلال فى تسيـــاره

فابي بعـــدها القلوب مقيـــلا واستعاض البيوت من اشـــعاره

يشتكى دهـــره ويولـــع فيهـــا من ســـعير الغرام ألسن نـــاره

كاحلا بالدماء من مهجة القلب عيـــون القصيد فى اسطـــاره

ومن صوره المفردة المتتابعة قوله فى قصيدته « لماذا التردد » :

---

1 – الشاطىء الصخرى 44

يا أمة آمنـــت بالذل فاستلمت	نعل العدو وطافت حوله طوفا
يا امة سدرت فى اللهو وارتشفت	خمر الفساد وعاطت كأسها صرفا

ووضع الصور هكذا ــ مفردة متتابعة يدل على خيال مقتدر امتاز به الشاعر وهو ان لم يكن خلاقا ــ نعنى هذا الخيال المقتدر ــ لانه فى الاغلب الاعم اغترف من فيض القدماء فقد اعان الشاعر على التعبير عن خطرات نفسه وافكاره ويسر لنا تفهمه ومشاركته الشعور فى كثير من الحالات والمواقف .

ان حسين منصور شاعر ثائر . ظهرت ثورته فى كثير من قصائده وفى معظم الابيات التى عرضناها فى النماذج ، وهو فى ثورته يميل إلى العنف اذ يدعو دعوة واضحة قوية للقتال فى عدد من قصائده ، ومن القصائد التى تظهر فيها الدعوة بعنفها ووضوحها دموية مجلجلة قوله :

فاين صواهل جرد[1]
واين شبابنا المرد
لنسمع سيفهم يشدو
واين قواضب الهند
واين قنابل الايدى
اين بنادق تصمى
هناك مدافع الحرب
تضاعف نشوة القلب
وتتركنى بلا عقل

يطرب الشاعر لفعل هذه الأسلحة التى يسأل عنها فى رغبة ملحة وشوق حارق وينتشى بما تفعله نشوة تذهب بعقله . بدا عنف الشاعر هذا فى مواجهة خصومه ومعارضيه اذ كان يصليهم حمما من هجائه ويصل به احيانا إلى درجة الاقذاع ، ولنا ان نتساءل عن السر فى هذا العنف ــ أكان الشاعر يعتقد انه وسيلة لتحقيق رسالته التى اعلنها فى بعض شعره حيث قال عن نفسه :

---

١ ــ الشاطىء الصخرى ٢٨

مجن دون موطنه اديب رسالته التجدد والوثوب[1]
فيغزوه بفن عبقري ويمنعه اذا نشبت حروب

نعم يعتقد الشاعر الا نجاح الا عن طريق العنف وقد واجه مواطنيه باعتقاده هذا في أسلوب يجمع بين التقريع والتشجيع قائلا :

أتطلبون نجاحا في الحياة ولم تستهلوا الصعب او تستعملوا العنفا[2]
لا نجاح ان لم تسل مهجات انفسكم فتغسل الظلم والارهاق والعسفا

يريد الشاعر ان يحقق التجدد لا في نفسه وانما في المجتمع الذي يعيش فيه اذ لم يكن راضيا عنه بل كان ساخطا متبرما فالبلاد في قبضة حاكم أجنبي سيطر عليها وفرق كلمة بنيها . صور الشاعر هذه الحالة في أكثر من قصيدة ، ومما قاله في هذا المعنى ابيات منها قوله :

ولذ العيش في ظل الهوينى وساس الناس اعلاج غلاظ

ومنه قوله :

ولكن ابكه وابك لشعب يعاف معيشة الشعب الطليق
ويرسف في قيود الذل خوفا ويأبي ان يفيق مع المفيق

لا يرضى الشاعر لبني وطنه ما هم فيه فهو يراهم يعيشون مستعبدين في بلادهم . الاجنبي يستذلهم ، فهو يصرف امورهم ولا يستشيرهم ، ويتصرف في خيرات بلادهم لينفع قومه وبلده ، اما اصحاب الحق فلا يلقون من تلك الخيرات الا النذر اليسير ، ويلقون الكبت والعسف والبطش اذا رفعوا عقيرتهم بالشكوى أو طالبوا بالجلاء . لذلك سكتوا خائفين ، وامتنعوا عن الاحتجاج أو الشكوى فضلا عن المقاومة ، ولهذا قال الشاعر عن شعب السودان في ذاك الزمن : « ويأبي ان يفيق مع المفيق »

وصف الشاعر الثائر حياته وأسلوبه في النضال وصفا مفصلا اذ بين مالاقاه من صعاب وما تعرض له من هجمات قوية متصلة لم تلن قناته لها ، بل وقف يدافع

---

١ - الشاطئ ، الصخري ٤

٢ - الشاطئ ، الصخري ٥٧

ويهاجم غير هياب ولا وجل ، وثبت راضيا معتدا مؤثرا مواجهة الصعاب ، مقارعا تارة ومقرعا أخرى ، فذاك فى رأيه اشبه به وادعى لبلوغه مآربه فى « التجددوالوثوب ». أبان كل ذلك فى قوله وهي الابيات التى تحمل اسم الديوان :

قضيتهـا فـى وقفـة الابـى ثبت الوقـوف نافذ المضى(1)

سنين شـر لم تتـح لحـى

قضيتهـا فـى شاطـىء صخرى مستهـدف فى زاخـر لجى

يـرمـى بآلاف مـن الاذى ملـح اجـاج طائـر النفى

لاينتهـى صف مـن الاتـى الا بصـف صاخـب الدوى

يـئن فـى انهـزامه الوحى

رضيتـه فـى سنـى الفـتى عن خافـض مـن عيشى الهنى

مستنشقـا فـى جـوه النقـى هـواءه بانفـى الحـمـى

يكفـى الهـواء طيـب الهـوى وشاطـىء تمشيـه كالـوحى

للثائـر المستبسـل الـنزى

رضيتـه للعـز والحـرى بصاحـب الرسالـة النهـى

مقارنـا بالـواضـح الجـلى مقـرعا للقـابـع الخـلى

محاربـا فـى شرعـة النـبى اعـداءاهـا وكـل اجنبـى

وفى آخر بيتين من هذه المقطوعة وصف شعره فاخرابقوته مبينا سبب ما يبدو فيه من خشونة تظهر احيانا فى الالفاظ والمعاني البدوية ، كما تطل من وقت لآخر فى دعوته للعنف وقسوته على خصومه أو فى شكواه الاليمة من بنى وطنه — قال :

فان تروا فى شـعرى القـوى خشـونة او نفثـة الشـجى

فانه فى الشـاطى الصخـرى قرع الصفى ثم بالصـفى

قضى الشاعر سنوات من حياته عاشها كواقف فى شاطى صخرى يصيبه ما يصيب ذاك الواقف ، ويتعرض لما يتعرض له ، ولابد له والحال كما ذكرنا من سلاح قوى يرد به الهجمات ، ويكر به على اعدائه . لذلك جاء شعره بتلك الصفات التى ذكرها ومهما يكن من شىء فان الشاعر وقف حياته هذى على الشعب :

---

١ — الشاطىء الصخرى ٣

مقدرة خلاقة تستخلص من هذه الاركان الثلاثة ـ الحاضر ـ المستقبل ـ الماضى صورا وتبعث فيها الحياة، ثم تربطها ببعض شكلا ومضمونا لتكون شريطا ناطقا معبرا . ان ذاك الشعر لم يكن كذلك ، انه فى الغالب الاعم خطب سياسية منظومة فى أسلوب تزينه البساطة والوضوح وقد وفق الشعراء فى ذلك اذ جاروا فيه ذوق عامة الناس ومستواهم ، وهو على كل حال مساهمة محمودة فى الجهاد الوطنى والكفاح السياسى ، فقد كان له دور كبير فى تنبيه المواطنين واثارة حماسهم. انه ايضا اضافة قيمة إلى الأدب السوداني الحديث الفصيح ، فبها اتسعت اغراضه وصار مجال دراسته ومجال الدراسات السودانية عامة ارحب ، وبهذه الاضافة خطا الشعر السوداني الفصيح خطوات نحو سلامة المبنى وجودة المعنى .

★ الاتجاه الاستقلالى :

فى حديثنا عن الاتجاه الاتحادى تناولنا انتاج ثلاثة شعراء □□ هم : عبد الله عبد الرحمن وحسن طه ثم حسين منصور ، وشعراء هذا الاتجاه أكثر من ذلك . نذكر منهم المرحوم السيد محمود انيس والسيد أحمد سنجر ، وقد نشرت الصحف ابان احتدام المعركة السياسية العديد من قصائدهما طويلها وقصيرها ، الا اننا لم نوفق فى الحصول على بعض نسخ من تلك الصحف . ولم يصدر لاى منهما ديوان مطبوع لهذا رأينا ان نكتفى بما تيسر لنا وهو شعر اولئك الثلاثة . اما الاتجاه الاستقلالى فلم نقف له على شعر فصيح كثير ، وكل ما امكننا الحصول عليه هو بعض قصائد فى ديوان الشاعر يوسف مصطفى (١) التنى الذى يضم كتابيه « الصدى الاول و السرائر » ، وليس فى وسعنا الجزم بأن هذه القصائد هى كل ما نظم فى تأييد الاتجاه الاستقلالى والدعوة له ، فقد كان للاحزاب الاستقلالية صحافتها و كتابها وفيهم ادباء وشعراء مرموقون معروفون الاان لم نجد نسخا من الصحف الاستقلالية فى مظانها ، ولم نجد ، كذلك فى دواوين الشعراء الاستقلاليين المعروفين المرموقين التى اخرجتها المطابع ، شيئا من شعرهم يدعون فيه للاتجاه الاستقلالى ويؤيدونه به الا ديوان التنى ففيه شعر يرفض به الشاعر الارتباط بمصر ويفضل لبلده الاستقلال ، كما فيه شعر الوطنية الملتهبة ، وها نحن اولاء نعرض نماذج نختارها من بعض

---

١ - توفى فى أبريل سنة ١٩٦٩ .

قصائده الواردة فى ديوانه(١). قال فى قصيدته « ثورة شاعر » ينعى على مواطنيه قعودهم عن العمل الوطنى :

فشلت امة ينام بنوها ... عبد النفس سعدها وسعيد(٢)
هام بالجاه والثراء كبير ... وارتضى الذل والهوان وليد
قنع الشعب بالكفاف ركودا ... ومممات الشعوب هذا الركود
لاطماح إلى العلاء اكيد ... لا نزوع إلى النجاة حميد
امة خيم الجمود عليها ... وعداها النهوض والتجديد

وقال فى أخرى بأسى لما اصاب وطنه .

وطنى شقيت بشيبه وشبابه ... زمن سقاك السم من أكوابه(٣)
قد اسلموك إلى الخراب ضحية ... واليوم هل طربوا لصوت غرابه
وطنى تنازعه التحزب والهوى ... هذا يكيد له وذاك طغى به

لم يعجب الشاعر حال بلاد الشرق عامة وهى وطنه الاكبر فقال فى قصيدة عنوانها « الشرق جنة الله » :

وفجر الله فيها كل دافقة ... بها من الاثم والعدوان تطهير
فاشرق البيت فى بطحاء مكتها ... كما تلألأ فى اقداسها الطور
وابلغ الدهر «عيساها» واحمدها ... رسالة الله فانجابت دياجير
منارة الحق من فرقانها سور ... ومن فلاسفة الاسلام تفكير

أما الاتجاه الاستقلالى فقد ظهر واضحا فى ابيات من قصيدة نظمها تهنئة لصديق بمنصب الوزارة ، وها هى ذى الابيات :

وما كان عرفانه للصنيع ... لينسيه امته العانيه(٤)
فان هب قوم يعينونها ... لارجاع حرية غالية
فلس جزاؤهمو ان تئول ... إلى من اعان على الطاغية

[...] التنى ، دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٥
[...] التنى ٢٧ . فى الديوان « ينوم بنوها » ، ولعله من خطأ الطبع .
[...] ٢ [...]
[...] ١٢ [...]

فما عـــتق العبـــدان صـــار عبـــدا لكـــف مدللة حانية

ان اول ما يلاحظه الناظر فى شعر التنى الوارد فى هذا الديوان هو قلة القصائد السياسية ، ففيه واحدة ، وهى التى جئنا منها بالابيات السابقة ، يرفض بها الارتباط بمصر ، وفى الديوان قصائد عاطفية ووطنية ، وفيه قصائد أخرى . أما الوطنية — وقد اخترنا نماذج منها فى ما تقدم — ففيها الثورة المتقدة اذ لم يكن الشاعر راضيا عن واقع الحياة فى بلاده ، وفيها السخط الدفين الاليم لان بنى وطنه تفرقوا احزابا وشيعا وغفلوا عن بلادهم وما تحتاجه فى حاضرها ومستقبلها . لم يوجه الشاعر فى اى من هذه القصائد الوطنية اى قدر من ثورته أو سخطه إلى البريطانيين بوصفهم حكاما اجنبيين ، ولم يتعرض كذلك لسياستهم فى البلاد من قريب أو بعيد الا انه ذكر « العدو » الذى يعبث بوطنه ولم يبين من هو العدو ولم يوضح كيف يعبث ذلك العدو ، جاء هذا فى قوله :

وطنى يعبث به العدو ولا ترى من دافع عن حوضه ورحابه(١)

كما أعلن فى نفس القصيدة خوفه على بلاده من الدخلاء ولم يبين لنا من هم هؤلاء الدخلاء أهم الحكام أم هم الاجانب الآخرون الذين ربطتهم بالسودان منفعة خاصة وجاء اعلانه هذا فى قوله :

لو طهر السودان من دخـــلائه لتطهـــر السودان من اوشـــابه
لهفى على السودان من دخـــلائه لهفى على السودان من احـــزابه

لم يحاول الشاعر فى قصائده تلك ان يثير مشاعر مواطنيه بتصوير مساوىء الاجنبى وتأليبهم عليه ، كما انه لم يدعهم للثورة ولم يزين لهم الحرية والاستقلال . اننا لاحظنا ان شعراء من الذين نظموا فى الوطنية والسياسة مجدوا ماضى العروبة والإسلام وللسودان فيه نصيب ، مريدين بهذا التمجيد الهاب الحماس الوطنى ، كما لاحظنا ان نفرا من اولئك الشعراء استغلوا بعض الاحداث الوطنية المعينة لتنوير المواطنين واشعال جذوة الحماس فى نفوسهم . غير ان الشاعر التنى لم [illegible] هذا انما لجأ إلى تقريع مواطنيه واظهار اليأس منهم ومن جهودهم ظنا م[illegible]ب اجدى وافعل فى اثارة الحمية من سواه .

---

١ — ديوان التنى ٢٩

ليس في معاني الشاعر التى جاءت فى قصائده الوطنية والسياسية ما يثير أو يدعو إلى الوقوف والتأمل ، والخيال فيها فاتر ، يبدو ان يأس الشاعر كبح جماح خياله ولم يعنه على الانطلاق . اما القصائد الاخرى ففيها من المعاني ما يحمل القارىء حملا على التوقف عندها يتحقق منها ويتصورها ، ومن امثلة ذلك قصيدته «عبوس» التى قال فيها :(١)

أعبسى لى ، ففى العبوس ابتسام — لجمال منوع البسمات
وادفعينى ، ففى الصدود اقتراب — من معاني جمالك الاشتات
ايه وادعى علىّ دون جنان — فدعاء علىّ منك يواتي

يخالف الشاعر ههنا الشعراء العشاق الموكلين بالجمال والادباء المفتونين بالحسن والمأخوذين بروعة ما ابدع الله وما اودع فى بعض خلقه . كل منهم يطلب الوصل وكلهم يتحرقون شوقا لبسمة من ثغر الحبيب الجميل ، لكن التنى يريد العبوس ويرغب فيه رغبة مسببه ، يريده لان فيه ابتساما يكشف عن مفاتن من أنواع أخرى في ذاك الجميل . وهو يطلب الصدود ويعلل طلبه بان صدها يقربه من معاني جمالها اذ هى المعاني البعيدة السامية التى يتعلق بها عشاق الجمال المعنوى ويسعون للاقتراب منها ، وكلما صدته هذه الحسناء ازداد تعلقه بتلك المعاني وشغل بها وملكت عليه اقطار نفسه فتبدو له والحالة هكذا ، قريبة دانية ، يقول الشاعر فى نفس القصيدة :

مرحبا بالعبوس فهو ضياء — قد جلا لى محاسن القسمات
مرحبا بالدعا تشابه فيه — انة العود رنة الكلمات
انا اعطى لكى انال كثيرا — واصفى من الاسى فرحاتي

مرة أخرى يبتهج الشاعر للعبوس لانه يجلو القسمات فينكشف امام عينيه نور الملاحة وبهاء الحسن وروعة العظمة فى غضب الجمال أو جمال الغضب ، ثم يرحب بدعائها عليه لان كلماتها التى تدعو بها عليه ترن رنينا يقع فى سمعيه موقع انات اوتار العود ـ ان عبارات صوتها انغام فهو يطرب لها ويتلذذ بسماعها وان اعلنت له عن السخط وانذرته بالشر ـ لم يطلب الشاعر كل هذا ويلح فى الطلب ؟ لقد اجاب فى البيت الثالث :

---

١ ـ ديوان التنى ١٦

انا اعطى لكى انال كثيرا   واصفى من الاسى فرحاتي

يقف القارىء متأملا ايضا عند قصيدة الشاعر « فكرة فى الحب »[1] ففيها يقول :

يحدو المحب إلى العلياء فاتنـــه	فكيف ينجح فى الدنيا فتى خالى
اذا اصبت رضا حبى فان نزلت	بي الخطوب تجدني ناعم البـــال
واى خطب تحس النفس صدمته	والنفس تمرح فى ظل الرضا الوالى
غدا سيدفعنى حـــبى بنشوته	غـدا سينصرني حبى واعمالى

هنا يجعل الشاعر الحب حافزا لعظائم الامور وجلائل الاعمال ، وقد يوافقه فى هذا كثيرون ، لكنه جنح إلى المبالغة فنفى النجاح عن كل من خلا قلبه من حب ، وذلك فى سؤاله « فكيف ينجح فى الدنيا فتى خالى ؟ » ان الحب لن يكون الحافز الوحيد، ولنا دليل نأخذه من البيت الاخير الذى يضيف فيها عامـــلا آخر من عوامل النصر او الانتصار أو النجاح ، وهذا العامل هو « الاعمال » .

هنالك قصيدة أخرى تستوقف القارىء فهى تهويمة صوفية ، كما انها وحيدة . فيها يبحث الشاعر عن « المثل الاعلى » ، ويعترف بانه ساخط ، وأن سخط[illegible] كفر لان المثل الاعلى الذى ظل يبحث عنه ويتمناه بوصفه فتى حرا هو الله ، فكيف يضيق بالحياة ويسخط وفى الحياة مجال البحث عن المثل الاعلى وسبله ؟ فى ختام القصيدة يسأل الله ان يعفو عنه ويغفر له كفره هذا الذى اعترف به ، وهاهى ذى بعض ابيات منها :

وعـــدت اهيم بالارواح	فى علـــنى وفى سرى[2]
أليس المثل الاعـــلى	مـــنى نفس الفتى الحـــر
كفاني طيفــه الذهـــبى	فى احـــلامنا يســـرى
كفاني الظمأ الروحـــى	احســـوه عـــلى الاثر

هذه نماذج من المعاني التى ضمنها التنى قصائده غير الوطنية وغير السياسية ، وهو فى هذه القصائد وفى أخرى سواها يسلك سبيل الشعراء الرومانسيين ، وخياله خيالهم ، فهو « يغرق فى عالمه العاطفى مستغلا كل المواد الرومانسية المعروفة فيه

---

١ – ديوان التنى ١٧

٢ – ديوان التنى ١٩

من الطيف الذهبى وشتى أنواع الاطياف ، والقمر الفضى والضياء والظلال والغمام والضباب والنسيم والورود والانغام وغيرها من عناصر الطبيعة اللينة الرقيقة الحالمة»[1] الا ان هذه المواد لم تتح لشعر التنى صورا مركبة فجاءت مفردة ويظهر ذلك فى تشبيهاته وأكثرها من التشبيه البليغ وها هى ذى امثلة منها .

حكمة انت ما ترشفت منها   رشفة لم تزد جموح ميولى
ان موتا لاجل ذاتك خلد   اوراء الخلود من مأمول
مرحبا بالدعا تشابه فيه   انة العود رنة الكلمات

. . . .

ذاك الملاك الذى بالامس قد   شخصت له العيون باكبار واجلال

. . . .

اعرف الانسان ذئبا   واعرف الشهوة جوعا

. . . .

غزلوا من الليل البهيم خيوطه   ومن الضحى نسجوا لنا لمعانه
فسها كما تسهو النواظر للرؤى   والخاطر المفجوع فى فنانه

. . . .

نشرت على بحر الحياة اشعة   فتبددت بك فى الحياة دجنتى

. . . .

منارة الحق فى فرقانها سور   ومن فلاسفة الاسلام تفكير

. . . .

اصبحت كالطلل القديم جلاله   فى انه ذكرى جلال أول

. . . .

كيف اسلوك فاني طائر   ما عرفت الخلد الا فى ذراك

. . . .

شهدت لهم وقفات الاسو   د تذود عن الوطن العاديه

. . . .

---

١ - الاتجاهات الشعرية فى السودان - النويهى ٩٨

مثلما قد انكروا من لـونه   سمرة كالخال فى خد حبيـب

وتظهر صوره المفردة فى استعاراته ، وها هى بعض امثلة لها :

كيف اشفى بالله منك غليلى   فاض حبى وحار فيك دليلى
حكمة انت ما ترشفت منهـا   رشـفة لم تزد جمـوح ميولى
او تمليت من سـناك جديدا   لم يجب فى المبهـم المجهـول

. . . .

وتبـدد اليأس المقيد خاطرى   ونشرت آفاق الصواب لنظرتى
كم طهرت قلبا سوى قلبى من   الحقد الدفين ومن بذور [illegible]
وتشربت روحى الضياء فمارى   هذى الحياة سوى هوى ومسرة

. . . .

رقص الشر يا حـبيبى لمـا   ابصر الشر حالـتى المنكـوده
وازدهى اليأس ما يشاء ونادى   من قرار الجحيم نادى جنوده

. . . .

امة خـيم الجمـود عليها   وعداها النهوض والتجـديد

. . . .

تدفق النور من شماء قبتها   واينعت فى روابيها الازاهـير
وفجر الله فيهـا كل دافقـة   بها من الأثم والعدوان تطهـير
فاشرق البيت فى بطحاء مكتها   كما تلألأ فى اقداسها الطـور
وابلغ الدهر عيساها واحمدها   رسالة الله فانجابت دياجـير

. . . .

وطنى شقيت بشيبه وشـبابه   زمن سقاك السم من اكـوابه
قد اسلموك إلى الخراب ضحية   واليوم هل طربوا لصوت غرابه

. . . .

فشربنا من افاويق الهـوى   سكر روحينا وما احلى طـلاك

. . . .

ليهنك ان عشت حـتى تراه   وقد نفض الحلة الباليـة

والبس عـــزته واستعاد   مكانته الفـــذة السـامية

لا يكاد من يقرأ شعر التنى يلمح اثرا ظاهرا لقدامى الشعراء ويبدو انه « تخلص من المدرسة القديمة واخذ يتأثر طرائق المدرسة الحديثة ولهذا فانت واجد اثرها واضحا فى ديوانه لا سيما اثر العقاد »[1] يبين هذا الاثر فى بعض قصائده ذات الروح الفلسفية ومنها تلك التى سماها التوحيد :

عددت فى دين الغرام مذاهبى   من بعد ما عددت من اربابي

وكذلك قصيدتاه « عبوس » و « صلاة الفيلسوف » .

لم تسلم لغة الشاعر التنى من المآخذ ، فكثيرا ما يخالف قواعد الصرف ويأتي بكلمات – افعالا واوصافا ومصادر – فى اوزان غير معروفة فى اللغة السليمة الفصيحة ، وذلك مثل « افشال » فى قوله ؛ :

ان الحبيب عزاء النفس لوفشلت   فلن تلين لاخفاق وافشال

ومثل « المتهوم » وهى من العامية السودانية – فى قوله :

قدر اذل من التراب وصاغه   واحط من قدر الفتى المتهوم

ومثل « اماسيه » وهى ايضا من العاميه السودانية – فى قوله :

على جبل من الوادى اغاديه اماسيه

و « يضوى » – وهى معروفة فى العامية السودانية – فى قوله :

يضوى على قسماتها   نور الملاحة والفصادة

وكذلك« الفصادة » . ثم « الملادة » فى قوله :

فاتيت محكمة الضوامر   والمشارف والمـــلادة

ومن هذا ايضا « ثميلة » – وهى وزن غير معروف فى هذه المادة – فى قوله :

وتثنت منك للعود على الايقاع اعطاف ثميلة

ثم « حذور » – وهى وزن لم نقف عليه فى هذه المادة – فى قوله :

رأيت بعينى الفخاخ معدة لحسنك فاحذر والكريم حذور

---

١ – ديوان التنى المقدمة ٩ . م . أ . محجوب

ومنه استعمال الفعل الماضي « اعاب » في قوله :

وانت مساك حجته اذا ما اعابوه بفقر في الرجـــال

ولم نسمع بهذا الوزن من قبل في مادة « عاب » . اما النحو فاخطاؤه فيه قليلة نذكر منها البيت :

لكي تلقين ما القى وكي تجدين ما اجده

وفيه اثبات نون الرفع في الفعلين « تلقين » و « تجدين » رغما عن سبق كليهما بـ « كي » وحقها ان تحذف علامة على النصب بان المضمرة بعدها والفعل « اجد » ياتي مرفوعا في هذا البيت بضمة على آخر الدال وهي اى الدال في الابيات قبله تأتي مفتوحة لان وضع الكلمة يقتضي النصب وها نحن اولاء نورد تلك الابيات :

هو الحب فــلا ترضى لقيد ان يقيده
وان طــاف بجنته دخيل فابتري يده
عبرنا امسه عطــرا نديا فاطلعي غــده
لكي تلقين ما القى وكي تجدين ما اجده

ان اختلاف الحركة ههنا ـ حركة الدال ـ يعني عيبا في القافية ، ومن عيوب القافية في شعره قوله في هذا البيت :

وبي حرمة محروم وبي حيرة مشدوه

وهو من قصيدته التي يقول فيها :

أهذا وجهك الوضاح في حلو تجليه
وهذا طرفك اللماح في سحر مآقيه

في هذه القصيدة نفسها لجأ الشاعر إلى الضرورة فسكن ما يجب فتحه لموقعه في الاعراب وهو الياء في « مراسيه » في قوله :

لقد خف بنا البين وقد القى مراسيه

وفي البيت الآتي اضطر الشاعر لتسكين آخر المفعول المطلق « تراءى » من أجل الوزن :

ثم ينأى عن العيون بعيدا　　يتراءى لنا تراءى الآل

ومن الضرورة قوله :

اقفرت بعدك والله الليالى　　يا ابا سامى يا زين الرجال

حيث اظهر الكسرة – علامة الجر – فى « سامى »

واضطر الشاعر فى هذا البيت :

قوم تحدوا الدهر ان يبدى لهم　عيبا فعاد بذلة المهزوم

إلى ضم الدال فى «تحدوا» وحقها الفتح مع تسكين الواو لان الفعل معتل بالالف – فعل الشاعر ذلك ليستقيم وزن البيت . لم تخل قصائد كثيرات فى ديوان التنى من اختلال الوزن فى بعض ابياتها ، مثل :

الهى عفوك السابغ　　كاد يضلنى فكرى

ولكم نصبتك الفنـون جميعها　　ودعتك بالمثل الرفيـع الامثل

قيل قد سبحت الـه النصـارى　　قلت سبحت باسمها فى قصيدى

فقد ابصرت كم قلـوب كبار　　يفيـض بحبـك ايمانهـا

هذه خامس دوراتك يا عيد فاهلا كلما درت ستلقاني كما تعهـد قبلا

واذا راجعنا « قصيدته (رق الوظيفة) نجـد خمسة ابيات مكسورة من بين ابياتها الثلاثين »(١) وهى :

وعليه فى كل ما يأتيـه　　او ما يقول همسا رقيب(٢)

اثقل الفقر كاهلا منه با　　رواح حياتها من شـقائه

ان يخاطر بها يخاطـر لا　　حوبائه وحدها ولا ندمائه

فهو ما بين برها وامانيـه　　طول الحـياة حيران تائه

. . . .　　. . . . .

ينقضى العمر وهو مدى العمر　　بحـرب تعج بين الضلوع

ها نحن اولاء قد عرضنا ونقدنا ما اخرجت لنا المطبعة مـن شعر الاتجاه الاستقلالى الفصيح . انه قليل ، قصيدة واحدة بل جزء من قصيدة ، ولكنه يمثل

---

١ – الاتجاهات الشعرية فى السودان – النويهى ٩٨

٢ – ديوان التنى ١٠٨

ذاك الاتجاه خير تمثيل . ففي هذا الجزء وعدته عشرون بيتا يقر الشاعر بصنيع مصر الذى يتجلى فى معاونتها السودان على التخلص من البريطانيين لكنه يرفض ان تتقاضى مصر أجراً على عونها ، لانه من قبيل عون الاخ لاخيه ، ولا يليق عرفا وانسانية ان يأخذ الاخ اجرا على معاونته أخاه يرفض الشاعر الحرية ان جاءت شركة ، ويمضى فى ما تبقى من أبيات يدحض حجة الارتباط بمصر متسائلا تارة ومجيبا أخرى ثم مقررا ضاربا الامثلة فى عبارة سهلة واضحة صريحة لامداراة ولا مجاملة واخيرا وبعد تلك المحاجة والبرهنة والامثلة يختم التنى قصيدته متألما شاكيا فهو لا يرفض الارتباط بمصر فحسب ولكن الدعوة له والمطالبة به تؤلمانه الما ممضا وهذا يتجلى فى قوله :

أبا خالد ! تلك بعض الشجون — وجئت ابثك اشـــجانيه(١)
فليس يداوى جراح القلـــوب — ســوى كفك البرة الآسـية

ان ابيات التنى تمثل كما قلنا الاتجاه الاستقلالى فى الشعر ، وليس من الانصاف تقويم الشعر الاستقلالى كله بقصيدة واحدة . الا اننا لم نجد غيرها فى دواوين الشعراء المرموقين الذين عرفوا باتجاههم الاستقلالى ووقوفهم مع احزابه ، ومهما يكن من من شىء فالقصيدة أو الابيات قوية فى مدلولها الاستقلالى فهى ترفض رفضا معللا تؤيده الامثلة ، وصاحبها ذو مكان مرموق فى المحيط السياسى الاستقلالى وعليه فلا مفر من الحكم بها على شعر الاتجاه الاستقلالى كله . انها محاجة سياسية يرد بها الشاعر على دعاة الارتباط بمصر بغية اضعاف موقفهم بين الجماهير واظهارهم بمظهر المفرط فى حقوق المواطنين وحرية الوطن ، ولهذا نراه يبرهن ويعلل ويمثل لكنه لا يغوص للمعاني فى شىء من ذلك بالمرة ، وفى الوقت ذاته لا يصور تأذى المواطنين المعنوى والحسى من دعوة الارتباط ومن تحقق تلك الدعوة تصويرا واضحا مؤثرا بل اكتفى بالتقرير فجاءت ابياته كخطبة سياسية بسيطة اللفظ والأسلوب لايجد الاديب فيها متعة ذهنية — لقد فات على الشاعر ان يستغل المستقبل فيذهب بخياله بعيدا يصور ما يكون عليه حال الوطن والمواطنين فى عهود الحرية والاستقلال المقبلة ، ويعقد فى خياله مقارنات بين الصور التى يرسمها بقلمه للسودان المستقل

---

١ — ديوان التنى ١٢٥

والسودان المرتبط بمصر الا انه آثر المحاجة والحجج على الصورة الفنية. ولعله يراعى بهذا الذوق العام ومستوى جمهرة الامة السودانية .

لاحظنا ان الشاعر التنى تجنب – فى هذه الابيات وفى قصائده الوطنية – الاشادة بماضى العروبة والاسلام – بل انه انكر ذلك فى احدى قصائده حيث قال :

لا قديم من المحامد يوحـــى لا جليل من الفخار جديد[1]

وليس فى وسع احد ان يجزم بأن الشاعر انكر هذا الماضى لانه احد اركان دعوة الارتباط بمصر أو لانه ضاق ذرعا « بقنوع امته وركودها » فجردها فى قصيدته من محامد كثيرة ليشحذ عزائم بنيها ، وليس لاحد ان يقول بان التنى لا يعترف بامجاد الشرق وهى امجاد العروبة والاسلام فقد نظم الشاعر قصيدة عنوانها « الشرق جنة الله » وفيها يقول :

وجنة الله حيى الله جنتـــه	ما بالهـــا لا تواتيهـــا المقادير[2]
فى الفجر من عمر هذا الدهر نسقها	فحـــدثت عن اياديه البواكـــير
قد ارسلت نحو اهل الغرب ومضتها	والغرب فى جهله المضروب مغمور
رقته بالنور حـــتى شد واهنه	أليس يرقى بآى الله مسحـــور

---

١ – ديوان التنى – قصيدته « ثورة شاعر » ٢٧–٢٨

٢ – المصدر نفسه ٢٥

الفصل الرابع

شعراء الوطنية المحدثون

استقلال السودان :

كان استقلال السودان عبر العصور مثار وحى الشعراء من ابنائه فقد نظموا — فصيحهم وعاميهم — قصائد وطنيــة سياسية يدفعهم حبهم لوطنهم وغيرتهـم على شئونه ثم نفورهم من سيطرة الاجانب وما تجره عليهم من ويلات حسية ومعنوية نظم كل منهم فى الاستقلال وفقا لما تقتضى الحال — بعض دعا للحفاظ عليه بالتقدم للقتال والثبات فى وجه المغيرين كما فعلت مهيرة بنت عبود لما نظمت ابياتها بالعامية تثير حماس المقاتلة السودانيين ليذودوا عن حياضهم ويمنعوا تقدم الجيش التركى الزاحف لاحتلال اراضيهم . أو كما فعل احد شعراء الفونج برثائه مملكة سنار التى ذهبت ، وكانت مظهر سيادة وعزة ، وكان ملوكها عونا للعلماء والأدباء ولما قوضت جيوش محمد على اركانها افتقد الشاعر مظاهر تلك العزة فتألم ودفعه الم إلى تسجيل مآثر تلك الدولة شعرا اظهارا لفضلها فقد يكون فى قوله ما يذكر المواطنين ويثير حماسهم فى يوم من الايام فيهبون لاسترداد ما فقدوا .

شارك شعراء المهدية بقصائدهم فى الحفاظ على الاستقلال بالذود عن مكاسب دولتهم ، فنظموا القصائد العديدة مخاطبين رأس الدولة مرة ، والامراء مرة أخرى. فلما ذاع خبر دخول الانجليز الاراضى السودانية ابان حكم الخليفة عبد الله التعايشى ثارت شاعرية بعضهم فنظم شعرا يحذر ويدعو لصد العدو ومنعه من التقدم إلى داخل البلاد . ان مراده من ذلك هو الابقاء على الدولة التى آمن بها ، وقوام هذه الدولة مواطنون سودانيون ، ارتضاهم هو وغيره حكاما وقادة فصارت السلطة فى أيديهم ومعنى هذا ان البلاد استقلت وانفردت بتصريف شئونها ، وبما انه ارتضاهم وعمل على توليهم فلا بد ان يعمل على بقائهم وهو بقاء الاستقلال لذلك هب يستعمل سلاح الشعر ليذكى شعلة الحماس فى زملائه فيهبوا معه لحمل السيف دفاعا عن سيادة الوطن وعزته .

فقدت البلاد استقلالها بعد انتصار جيش كتشنر ورفع علمي دولتي الحكم الثنائي — بريطانيا ومصر . هذا الحكم ادخل انظمة ادعى انها للنفع العام ، ثم ابتدع سياسة معينة لادارة شئون الحكومة الجديدة ، فشغل الناس بتلك الانظمة وفرقت تلك السياسة كلمتهم ، والهى التناحر الحزبي فريقا منهم عن مصير بلادهم امدا طويلا . الا ان البلاد لم تعدم المخلصين بعيدى النظر الذين لم ينخدعوا بأساليب الحكام الجدد ، بل تنبهوا لها واخذوا يبصرون مواطنيهم بها . لم تعدم البلاد كذلك الثائرين المتحمسين ، ومن هؤلاء من اغضبهم تسلط الاجانب فرفعوا راية العصيان وحملوا السلاح وحاربوا السلطة الجديدة وهم أقل منها عددا وعدة واضعف ، وكانت الغلبة للاقوى فقضى على تلك الهبات ، ونكل الحكام بمدبريها واتباعهم قتلا وسجنا وتشريدا وبهذا اوقفوا المقاومة الحربية التى اراد بها اصحابها اظهار سخطهم على الحكام واعلان رفضهم سيطرة الاجنبى . اما مقاومة البيان (الكلمة) التى حمل لواءها فريق من المواطنين فى جمعياتهم وأنديتهم وفى الاعياد الدينية فاستمرت ولم تتوقف . وكان للشعر قصب السبق اذ نظمه الشعراء قصائد عديدة والقوها فى المحافل بغرض اذكاء روح الوطنية واثارة سخط الاهلين على الحكام الدخلاء .. كان لالقاء القصائد والخطب فى المناسبات الدينية — كما قدمنا — وقع كبير فى نفوس المواطنين قبل ثورة سنة ١٩٢٤ وبعدها ، وكان وقعه فى نفوس الحكام اليما مزعجا مما حداهم إلى ابتداع وسائل تحد من اثر هذا السلاح — سلاح الأدب — الذى شهره بنو السودان وظلوا شاهريه ردحا من الزمن فى سبيل استقلال وطنهم إلى ان قام « مؤتمر الخريجين » وصار له شعراؤه(١) وتبعته الاحزاب وظهر شعراء يؤيدونها ويدعون لها على نحو ما ذكرنا فى فصول سبقت من هذا البحث .

ان الشعر السودانى فى جميع اطواره شارك فى بث الروح الوطنية واذكاء الحماس . بدأت هذه المشاركة فى الزمان القديم ، واستمرت فى العصور المختلفة التى عبرتها الحركة الوطنية إلى ان وصلت غايتها بتحقيق الاستقلال . شارك الشعر ايضا فى خلق الوعى السياسى وترقيته بالدعوة لبعض الاتجاهات السياسية والدفاع عنها ثم بنقد اعمال الحكومة وخططها نقدا مريرا مفصلا ، كما جاء فى شعر حسن

١ — منهم الشاعر المهندس « على نور » ولم يخرج ديوانه بعد

طه وقد اشرنا اليه فى حينه. كان بعض الشعراء فى تأييدهم ودعوتهم يتعرضون إلى تاريخ العروبة والاسلام مشيدين بالامجاد القديمة ، يريدون بالاشادة جعل الامجاد وذكرها حافزا للجهاد فى سبيل استقلال الوطن واساسا متينا يقوم عليه المستقبل وما فيه. فالسودان عندهم جزء من العالم العربي ، ونصيبه فى تلك الامجاد يؤهله لمستقبل مشرق ومكانة كبيرة بين دول العرب ويهيئه لاحتلال مركز مرموق بين دول افريقية ، لان التراث الحضارى الذى دخل السودان فى الاخلاق والعادات العربية وفى التعاليم الاسلامية والفكر الاسلامى ، وامتزج بعد دخوله بما كان عليه اهل البلاد ، كفيل بايجاد امة قوية عاملة متماسكة ، جدير بخلق نظام سياسى فريد يربط تلك الامة باصولها ويقرب البلدان الافريقية من العرب. من الشعراء من اغفل ذلك الماضى فى شعره ودعا إلى كيان منفصل ، فهل اغفلوه انكارا لذلك الماضى ولنصيب السودان فيه ، هل السودان عندهم بلد افريقى جغرافيا فيجب ان يستقل بكيان خاص وان لا يرتبط بكتلة أو جهة ما ، أو ان السودان افريقى عربي وعليه ان يبقى على افريقيته وعروبته معا دون ان يغلب واحدة على الاخرى.

السودان بين الاعتبارين الجغرافى والقومى :

التقى فى هذا القطر ـ السودان ـ من الحضارات ما لم يلتق فى كثير من بلدان العالم. فقد عرف الحضارة المسيحية فى شماله ووسطه من قديم الزمان بابنيتها وتماثيلها وروحانياتها ، كما عرف الحضارة الافريقية فى اصقاعه الجنوبية بطقوسها وفنونها وقبليتها. جاء العرب إلى هذه البلاد بتقاليدهم المعروفة ، وجاءوا بالإسلام وبذلك نقلوا معهم ثروة كبرى من الذخيرة الخلقية والروحية وثروة اكبر فى العلوم والمعارف. ثم انهم ـ أى العرب ـ اختلطوا بسكان البلاد متزوجين من نسائهم ومجاورين فى السكن ومشاركين فى اعمال الحياة من زراعة وتجارة ورعى. بهذا عاشت الحضارة العربية الاسلامية مع الحضارات الاخرى فترة من الزمن ثم ما زجتها حتى غلبت عليها فصار هذا البلد الذى يتوسط القارة الأفريقية ممتدا إلى شمالها وشرقها وغربها ثم إلى مناطقها الاستوائية مربوطا بالعروبة اوثق رباط فهى منبته ومورد حضارته ومهبط عقيدته ، وهو متعلق بأفريقيا لانها مهده ومقره ، وهى مغرس الوشائج ومسرح آمال المستقبل.

لم يشأ اهل هذا البلد ، ولا احسبهم يشاءون فى يوم من الايام ان يتخلوا عن عروبتهم أو « أفريقيتهم » فالرباط بكلا الاصلين اقوى من ان ينفصم فالدم يعقده والثقافة تمره، والصلات بأى منهما تتجدد وتزداد عمقا وقوة ، تجددها المنافع المتبادلة ويقويها تشابه الوضع فى عالم اليوم . ان اهل هذا البلد لم يريدوا ، ولا احسبهم يريدون فى يوم من الايام ، ان يكونوا عالة على منبت او تبعا لاصل لان تلك الحضارات المتمازجة بما تعلموه منها تحميهم من الخضوع ، وتقيهم الخنوع ، وتحبب اليهم الاكتفاء بما يجنون بكدهم وتفكيرهم وان كان يسيرا زهيدا وترغبهم فى السعى الحثيث لاصلاحه وترقيته . فلما قامت الحركة الوطنية واتضحت معالمها ، وسلكت سبيلها أممـاً برزت الدعوة للعناية بالأدب السوداني وتبادل الناس الرأى كاتبين أو متحدثين رابطين الأدب بالناس والبيئة ، ودعا نفر منهم إلى « ايجاد ادب قومى صحيح ينقلب من حركة ادبية إلى حركة سياسية تتوج جهودنا بنيلنا استقلالنا السياسى والاجتماعى والادبي »(١) فهم اذن يريدون ادبا قوميا يدخلونه فى الصراع السياسى ، ليكون سلاحا بتارا ، يثير المواطنين ويعدهم للمعركة كى يدحروا خصمهم ويبلغوا ما يريدون ، ولا يكون الادب كذلك الا اذا استقى مادته من البيئة . لابد لادب السودان اذن ان « يتخذ من حوادثه واخلاق اهله وتقاليدهم مادة لفنه القصصى والشعرى ومن مناظر غاباته وصحاريه ووديانه مادة لفنه التصويرى ومن مشاعر اهله وحركاتهم وسكونهم مادة لموسيقاه ، وكفاه الاسلام دينا ينير له طريقه الروحى »(٢) . لابد له من ذلك ليكون ادبا قوميا كما اريد له .

ولنا ان نتساءل عن المراد من قومية الادب ، أهى التغنى بالامجاد والتباهى بالاصول العريقة النبيلة ووصف المعارك بأنواعها فى عبارات طنانة رنانة تثير المشاعر والخواطر وتملأ النفوس زهوا حتى يتصور الناس غير الواقع ويتيهون فى بيداء الخيال والاوهام ام هى غير ذلك ؟ ولنا ان نتابع التساؤل ونقول لم يراد الادب القومى ؟ اهو غاية فى ذاته أم وسيلة لغاية أو غايات ؟ يقال اننا « اذا نادينا بقيام

١ - الحركة الفكرية في السودان ، م أ . محجوب ، ٤٥
٢ - الفجر ١٩ - ٢٣ ، ١٠٤٥ ، م . أ . محجوب

الادب القومى ذى الطبيعة المحلية ، فانما ندعو إلى خلق شعب شاعر بكيانه يعبر عن مرئياته من سماء زرقاء أو ملبدة بالسحب ومن غابات كثيفة وصحراوات قاحلة ومروج خضر ومن حياة بدوية هادئة إلى حياة عصرية صاخبة .. »(١). ان الذين دعوا لقومية الادب فى السودان ارادوا تنقيته من الشوائب واولها التقليد ونريد به تقليد شعراء العروبة الاقدمين فى الشكل والمضمون. وثانيهما سيطرة الثقافات الأجنبية « ولهم الحق فى كل ذلك لان التحرر الفكرى والاستقلال بالانتاج العقلى وجعله قوميا دليل ..من دلائل رقى الشعب ونزوعه إلى الحياة واحساسه العميق بوجوب الاعتماد على النفس وشعور بالوجود وكلها صفات لا توجد الا فى الشعب الذى يحس بالحياة والنضال فيها »(٢) .

ان قومية الأدب – فى رأينا – تتمثل فيما يتضح فيه من سمات البيئة – خلقية وطبيعية واجتماعية . وغير ذلك مما خصها الله به من مظاهر ، ومما اودع فيها من صفات أو حباها به من تراث – تتمثل قومية الادب ايضا فيما يظهر فيه من ملامح المجتمع المختلفة من عادات وتقاليد واعمال كالزراعة والرعى والتعليم وغير ذلك مما يتخذه الناس ناقلين أو مبتدعين ويعتادونه زمنا طويلا . ان هذه كلها – السمات والملامح عوامل خاصة تتدخل فى تكوين ملكة الادب وصقلها ولها دورها الكبير فى اتجاهه الفكرى وشعوره ثم فى حكمه على ما يرى ويسمع وعليه « فان الادب المنبعث من اعماق النفس لابد ان يكون قوميا . انه نتيجة طبيعية لشعور خاص انضجته ولونته عوامل قومية محلية »(٣) .

تظهر القومية السودانية فى شعر كثيرين من شعراء السودان . وان خير من نذكره فى هذا المجال ونأخذ الامثلة من شعره المرحوم محمد سعيدالعباسى . تعرض العباسى إلى تاريخ السودان وإلى شىء من جوانب القوة والاشراق فيه اذ نظم قصيدته المشهورة « سنار بين القديم والحديث » وفيها اشاد بماضى تلك المدينة والدولة التى اتخذتها عاصمة ، مثنيا على ملوكها معددا بعض مآثرهم ، وفى هذا

١ – الفجر ١٩ – ٢٤ ، ١٠٤٤
٢ – الفجر ، ١٩ – ٢٤ ، ١٠٠٦ – ١٠٠٧ ، محمد عبد القادر حمزة .
٣ – محاولات فى النقد م . م . على ١٤١

اعتزاز بامجاد سودانية ونشر صفحات ناصعة من تاريخ هذا البلد . فى نفس القصيدة تقدير لعمل جديد قام به حكام البلاد آنذاك وثناء على خبرائهم الذين تولوا ذاك العمل حتى برز وبانت فوائده . وفى هذا اعتراف بالمقدرة وتقدير للاجادة حيثما كانتا ، ومهما كان مصدر هذه الاجادة وتلك المقدرة . وانه لمن صميم الخلق السوداني الاعتراف بحق الخصم واثبات ماله من فضل دون النزول عن الحق الخاص أو التخلى عن التزام . قد اقر العباسى للحكام الاجانب بحسن فعلهم واثنى عليه وفى نفس القصيدة ايضا وصمهم وصما بالبغى والطمع ودمغ عهدهم بالفساد ونكد العيش . وها نحن اولاء نورد اجزاء القصيدة التى تبين ما ذكرنا :

قال عن سنار فى ماضيها :

كنت مثوى اللاكرمين وميدا نا رخيا لخيلهم ومندى[1]
ورحابا قد زينت وقــبابا زان ارجاءها مليك مفدى
عاش ما عاش وهو جــد أبي لم يعفر لغير مولاه خــدا
عجمته الخطــوب وهى شداد فاثارت منه الخشاش الاشدا
وبنود تهفو وخيلا تــنزى بالاناسى ســادة وعبــدا
ارخصوا فى هواك كل عزيز فتباروا فى الحرب والسلم جندا

ثم قال عنها فى حاضرها بعد أن قام فيها الخزان المعروف :

قف تأمل هذى العجائب وانظر شامخا يحسر العيون استجــدا
واجل ناظريك فيما اصطفى العلم لاحباره وما قد امــــدا
غاص بناؤهم فاخرج بالفــن وآياته من النيــل طــــودا
بفــؤاد لم يدرع هــيبة الروع كأن ســل او من الصخر قدا
وانسياب المياه بيضــا عرابا صيرتها عجاجة الحرب ربــدا
بانحــدار كأنه غــير منقوص اكف الكــرام واصلن رفــدا

ثم خاطب البريطانيين فى شخص المهندس الذى اشرف على بناء الخزان قائلا :

جبسن اسمع اوليت قومك فخراً وثناء يروى واوريت زنــــدا
نحن من قد علمت ودا وانت المرؤ يولى الاحســـان بدءا وعودا

---

١ - ديوان العباسى ، دار الفكر العربى ، ٢٧-٣١

جئت في السد بالعجاب فهلا ... شدت بين البغاة والناس سدا
قم تعرف قلوبهم ان فيها ... طمعا افسد الحياة وحقدا
لوحظينا واسعف الدهر حبنا ... لبسنا ياذا النهى العيش رغدا
ان داء الاطماع والظلم داء ... يجعل الاولياء للمرء اعدا

تتضح القومية في قصائد عديدة من شعر الدكتور عبد الله الطيب ، لا سيما تلك التي نظمها وهو في لندن يعلم في جامعتها بعيدا عن اقربائه ومجتمعه ومراتع صباه . هناك في لندن وهي المدينة الكبيرة العريقة ذات الصيت البعيد في محافل العلم والسياسة والاقتصاد ضاق عبد الله الطيب بالغربة واشتاق إلى بلده شوقا مبرحا وحن إلى بعض مظاهر الحياة وظواهر الطبيعة فيها حنينا دافقا ، وذلك في واحدة من قصائده حيث قال :

لولا المقادير كان احرزني ... ما لا ينال العداة من امنه(1)
ولم اقض الايام مدجنة ... في بلد قد سئمت من دجنه
ولم اعلم بني الاعاجم من ... كل عيي لا يبين من لكنه
يطرقني الهم لا أبيت بلا ... قلب كليم الفؤاد مختزنه
لو استطعت ارتفعت في جبل ... ارقى إلى الفارعات من قننه
حتى اذود الهموم هاجسة ... تنتهب الطرف من حمى وسنه
بخيل الطلح والسيال ... لعينيك وبهم يشب من عننه
ومستق مائح ومحتطب ... وذو جناح ينوح في فننه
وحبذا الملتقى يطارحك ... الشعر باظلاله ذوو فطنه
يا ليت شعري متى اعود فقد ... برح نأي ولج في شطنه

ولما استبد به الحنين عاد بذاكرته إلى مراتع صباه في مدينة كسلا فقال :

سقى الحيا كل اجرع عطر ... بالنال تردى الظباء في دمنه
وجاد توتيل والاهلة من ... تكرون مزجي الغيوث في مزنه
والجبل السامي المطل على ال ... وادي الذي حله بنو حسنه
متوجا بالسحاب مثل دخان ... الطلح قد عج حول مدخنه

---

1 - اصداء النيل - الدار السودانية ، ١٤٠ ، ع . الطيب

املس صحيان ليس يصعده ... راق شديد القوى لممتحنه
به رعيت الصبا وربني ... ما شئت من شهده ومن لبنه
يا ويح نفسي متى معاد أخي ... الغربة بعد النوى إلى وطنه

سافر الشاعر الدكتور عبد الله الطيب من لندن إلى قرية فى اواسط انجلترا حيث تلال « مالفرن » المعروفة – موطن بعض شعراء الانجليز – اثارت هذه الزيارة شجونه فقال يذكر بعض مناطق وطنه فى فخر واعتداد :

بلى كنت الغمام يلذ نفسي ... ويسكرني بريا كردفان(١)
وكنت ارى المطايا مرديات ... بسهب كالصحيفة صحصحان
ديار من فؤادي كنت فيها ... وكان ابي وكان بنو لساني
ارى فى بدوها الاعراب شعثا ... وفى فتياتها الغر اللدان
رهائن فى ضميري تائقات ... إلى عيش الطلاقة والرهان
ألست من البداوة اى علم ... حويت واى ربع قد حواني
وان أك نلت من ثدى سواها ... فان لبانها ابقى لبان
ولم افتأ – وان انزح – اليها ... يحركنى الحنين مع الحنان

الاعتبار الجغرافى وظهور أفريقيا فى الشعر السودانى :

لم يكن شعراء السودان فى اول الامر ليأبهوا بأفريقيا وشئونها وعلاقة بلادهم بها . وما كان ذلك استصغارا لهذه العلاقة ، ولا انكارا لمكانة أفريقيا والافريقيين انما شغلتهم مشكلاتهم الوطنية عن مشكلات الامم الاخرى ، كما ان وسائل الاتصال لم تكن سهلة ميسرة لهم ولا للافريقيين فى الاقطار الافريقية حتى يتمكن الناس فى بلد ما من الوصول إلى بلد آخر ، وحتى يتسنى للافكار والاحاسيس الانتقال من بقعة إلى بقعة حيث تعيش فترة من الزمن ثم تتفاعل مع غيرها ويتولد عن ذلك رأى مشترك واحاسيس متقاربة . لقد تعذر على معظم بلدان أفريقيا معرفة الاحوال فى جاراتها قريبة كانت أو بعيدة بسبب ذلك ، ولهذا لم تتمكن واحدة من مشاركة الاخرى فى شيء أو معاونتها فى امر . ولولا السيطرة الأجنبية التى انبسطت فى جميع انحاء القارة لكان الحال غير ما نصف. لكن بمجرد ان انتشر

١ – اصداء النيل – الدار السودانية ١٤٠ ع . الطيب

الوعى وبدأت سيطرة الاجانب فى التقلص تغير الحال . ففى السودان اخذ الناس يعنون بأفريقيا مدركين انهم يمتون اليها باسباب قوية . وان مقبل الايام يقتضى تقوية الصلات القديمة وتنمية أخرى ينتفع بها أهل القارة .

التفت الشعراء فى السودان إلى ما يدور فى بعض بلدان أفريقيا من جهاد فى سبيل الحرية فاشادوا به عملا جليلا ومثالا يحتذى من ذلك ما قاله الشاعر محمد المهدى مجذوب فى ثورة كينيا ، وهو :

بنى وطـــنى للنار فى كل بقعة	لسان دخان فى السموات اسود[1]
يصيح بكم ثوروا على كل كافر	بدمع الضحايا والدماء معمــد
لكم جيرة فى كينيا قد تمردوا	واشربهم (جومو) سلاف التمرد
طوى الغاب من اسراره كل ضيغم	أبي الدم الا مــلء خد مورد
فــلا ترحموا لم تبق فى الارض	رحمة والاهلكم بين عيسى واحمد

فى هذه الابيات يعترف الشاعر باحدى صلاتنا فى أفريقيا وهى صلة الجوار ، وهى صلة تفرض علينا الكثير وتثبت لنا الكثير ، ويعترف بسبق أهل كينيا فى الجهاد لطرد الاجانب من بلادهم مثنيا على زعيمهم ممتدحا شجاعتهم .

أما الشاعر تاج السر الحسن فقد أكد وجود العنصر الافريقى فى الامــة السودانية اذ قال فى احدى قصائده[2] :

ووجهك يا قرشى
يا عربي
يا زنجى
يا نوبي
ومضة بارق من شعبنا الخلاق
وفيضا من فؤاد النيل ،
غطى الدار
حريقا اشعل النيران فى الاعشاب

١ – نار المجاذيب ، م . م . مجذوب ١١٥
٢ – ديوانه القلب الاخضر ، ١٦

وكسر ذوب الاطواق

واستمر يؤكد وجود هذا العنصر وتفاعله مع العناصر الاخرى فى القصيدة نفسها بقوله[1] :

لقد مرت مرور الضيف
رؤى اكتوبر الحمراء كانت فى ديارى طيف
ولكن الدماء تسيل
وتصبغ ارجوانا وجه هذا النيل
دماء الزنج والعربان
ووجه النوبة الاسيان
بظل أمرأة سوداء
غطى ساحة الصحراء

وبقوله من قصيدة أخرى :

انا من أفريقيا بلدى تشوبها نار الاصفاد
لكن يدى السوداوين تمردتا عبر الوادى
عانقتا موسكو والصين وكل بلاد الامجاد
والتقتا بخيوط الشمس المسكوبة فى الغرب الصادى

للشاعر قصيدة أخرى طويلة عنوانها « فلتتحرر انجولا » صور فيها مآسى تجارة الرقيق ، وابتدأها ساخرا «مفتخرا» بافريقيته » وكأنه يتحدث بلسان احد أبناء انجولا ، فقال :

تحرقنى الشمس
يقتلنى فى قبوة الامس
ولدت فى غابة لالوب
من الاسى قد نسجوا ثوبي
ومن عجيب الامر اني
ككل الناس لى رجلان

---

١ - المصدر نفسه ١٩

ومثلهم تطل في وجهي عينان نفاذتان
واذني تهوى اغاني الطيور
ومن عجيب الامر لوني عجيب
اسود كالليل الرهيب الرهيب
ولم أدر ان الدر
في مجاهل البئر العميق القرار
يغوص في الظلمة
لا يرى ولو اطل النهار
الم أدر ان الشمس ام الضياء
في لونها الزاهي يغطي الفضاء
ابيض مثل الثلج مثل الحليب
تنشر في جسمي هذا اللهيب
تضمني في عناق
الشمس امي تضمني في اشتياق
حتى اذا لفني ضوؤها الا
ابيض اضحى قمري في المحاق
ولفني هذا السواد الذي
يظلل الاقدام والاحداق
وعدت ابنوسة تزدهي
في غابة مخضرة الاوراق
واحترقت روحي على جمرها
كفحمة بعد سنا الاحتراق

وهاهي ذي بعض المآسي التي يصورها في قصيدته هذي :

شطآن انجولا هدير البحار (١)
في اللانهايات تذوب الحدود

---

١ - ديوانه - القلب الاخضر ، ٦٠-٦٢

الوطني ودخلوا المعترك السياسي . من هؤلاء « لوممبا » اول من تولى رئاسة الوزارة في بلاده – الكنغو – بعد ان استقلت قال عنه الشاعر جيلي عبد الرحمن(١) :

العذابات على قلب المسيح
في صلاة ، وصليب ، وضريح
صيحة من فجر وهران الفسيح
من فدائي مليح الوجه
تسخو عينه صفوا وحبا
باسمك الغالي لومومبا
فجر المدفع فارتاعت على البيداء ريح
صخرة في غاب كاتنجا يوشيها الربيع
بالتلال البيض من رمل ، وازهار ، تضوع
خط زنجي بحبات الدموع
اسم لومومبا الوديع
حينما سالت على الليل مزاريب المطر
والضباب الجهم غطى كل اوراق الشجر
شق طفل رجفة السيل واحزان الشتاء
منذ عامين ابي يا ام لم يرجع بقمح
أو كساء !
في الصفاف الخضر يا روحي يذر الافق شهبا
بيته جيش لومومبا
وغدا يأتي الينا ، حاملا سمنا وثوبا
غرد الطفل فقد نام سعيدا بالغناء
في ظلام المعتقل
وغراس الصمت كالقضبان تغتال المقل
هب جومو يرقب النجم توارى في الجبل

---

١ – ديوانه – الجواد والسيف المكسور ، ٩٨

فرت الدمعة والحزن هطل
ثم اقبلت لومومبا كالعناقيد الامل
كفكف الحزن ونادى
ابن أفريقيا البطل
آه لومومبا البطل

وقال فيه الشاعر صلاح احمد إبراهيم راثيا معزيا متأسيا (١) :

كفكفوا ادمعكم يا اخوتي
فغدا في ارض لوممبا الغنية
ببنيها .. بالبطولات بذكرى الشهداء
بالكنوز المعنوية
والكنوز
يحفظ التاريخ للابناء عن آبائهم خير هدية
ماسة حمراء في حرز حريز
ماسة تومض كالقلب ضياء وبهاء
ماسة تومض كالنجمة اشراقا وحبا
وتنير الدرب ، ان اوصدت الظلماء دربا
اسم انسان عزيز
وهب الحرية الحمراء قلبا
ودعته امه الكنغو فلبى
قتلوه بعد ما ساموه اذلالا وضربا
قاهر الموت ومخزى قاهريه
رقية الشعب لوممبا

ومما قاله الشاعر صلاح أحمد ابراهيم في هذا الزعيم الكنغولي بعد مقتله هذه المقطوعة وعنوانها « صلوات »(٢) :

---

١ – ديوانه – غضبة الهبباى ، ٢٠
٢ – ديوانه – غضبة الهبباى ، ٣٢

يا ماء عيون الكونغو ، يا عدا مشعله شق الظلمات
ساقاه تطير باجنحة نورانية
عيناه قذائف نارية
ويداه صوارى ، مثل فنار ، يلمع فى افق
ما فيه ضيا نجم سارى
مثل النفق
الريح تقاومه ، والليل يساومه ، والصخر تربص بالحيات
وتمائم حب الشعب وايمان وثبات
يا زرعا لبن حين جميع الارض موات
ياكم ليلا قضيت اذود بكف خيالى عنك الضربات
يهرع قلبى يركع خلف « بولين » ويرتع فى لهف زرق الصلوات
لوممبا عش ، يدعوك الجند وتدعوك الرايات
لوممبا عش ، تدعوك المركب حين مضى عنها الجرذان
لوممبا عش ، حيوان الجو يراقبها ويواكبها القرش الجوعان
لوممبا عش ، ولقد عض الصخر الفارق والمرجان
لوممبا عش ، لم يبق سوى ليلين وتحضننا خضر الشطآن
لوممبا عش ، تفتر شفاه المرفأ عن ناس ،
وتحيى بالاجراس
ترحب بالرقصات
تهلل وهى تنادى باسمك ، باسمك انت ، تنادى فى فرح وحنان
لوممبا عش ، انتهت الرحلة يا ربان
والمركب ترسو فى اطمئنان
لوممبا عش ، لكن هيهات
لم نسمع غير صدى صرخات
تتمزق نازفة فالقائد واأسفا قد مات !

يجعل الشاعر جيلى عبد الرحمن أفريقيا اما فى قصيدة من قصائده وفى

لكن يا أمي الغضبى
اماه الساحرة ، التعبى
والغابات الشلالات
القمح ، القصدير ، الكاكاو
يا أمي .. الماوماو
اني اتعس من قوقعة يحملها افريقي في الجيد
من تمتمة يمضغها في ليل البيد
من أبخرة ، احجبة ، وطلاسم
اشقى من طفل عار في ملكال
لما امتدت في قلبي اودية الصومال
اغفت في ذل الجدب القاتم
افريقيا يا افريقيا
ان كان الصدر الذاوي يشخب عرقا مسودا
يسقي ذهبا مطمورا في اوغندا
يشكو الظلماء إلى الانجم يبغي ، نورا ، صيدا
واختال الانسان على المريخ
أشعل تبغا في الصاروخ
ألقى في الصحراء جحيما
أحرق بسمات الاطفال على موج هيروشيما
وصمة هذا القرن هيروشيما
في كل صباح تهوى في رأسي الدور
صياد ما تت في يده أنغام الطنبور
أيام كالنفق المهجور
كالأمل المكسور
أفريقيا لم استكمل بعد الصورة
الاسطورة !

ان دوت فى كينيا طلقات مكتومة
غنى الافريقى همومه
فى وهران العمر قصير
طعم الزيتون مرير
لا يفنى جيش حتى يبدأ
قد لاحت اضواء المرفأ
لم يبق سوى بعض صخور
سيق الاطفال إلى سجن فى اورندى
رقصت نار فى اكواخ الزندى
وغراس البن انتفضت فى روديسيا
يا أفريقيا
طوكيو ام مذعورة
الوية ، غابات مسجورة
والثورة تولد فى آسيا
كالاشجار ، الامطار ، الثورة
الشمس ضفائرها كالسنبل فى اندونسيا
هل تحجبها سحب الذرة ؟
عادت هيروشيما ابنية مسحورة
اعلاما منشورة
عاد الشهداء يخبون على ارض اليابان
فاختلطت كل الالوان
مثل حقول الورد
السلم المجد لروح الانسان
فاحتضنى يا أم المجد
أفريقيا ما زالت فى الاعماق صبابة شعر
ان كنت بكيت الموت خشيت القبر

فالرحلة ما أروعها .. ما اقصره العمر !
أدعو اشهد عصر المأساة
يخبو من لمستك الكبرى بالفرشاة
ترمين المبضع في قلبي حتى تنزح عنه الآه
قد كنا يا اماه سلاحف هذا العصر
والآن نمد الايدى للشمس ، نصوغ النصر .

ان هذا الشعر الذى عرضنا نماذج له ـ شعر تا ج السر الحسن وجيلي عبد الرحمن وصلاح أحمد ـ نظم بالطريقة الحديثة وهو ينبىء عن « ظهور أفريقيا فى الشعر السوداني الحديث » لانه يشيد بامجاد أفريقيا ويتحدث عن الظلم الذى حاق بأهلها ويدفع عن حقهم فى العيش الكريم لانهم بشر ينتمون إلى آدم كما ينتمى اليه اجناس العالم الاخرى . ثم انه فى مجموعه ـ يربط السودان بأفريقيا مؤكدا صلة الدم والجوار والمشاركة فى بعض الاحداث والمصائب . من اجل كل ذلك أصبح لهذا الشعر قيمة « وطنية سياسية » فى أوساط عديدة فى العالم العربي لانه يحمل فى أبياته بذور الوعى الوطنى والتفكير السياسى . لكننا اذا قسناه بالمعايير الفنية الادبية البحته فاننا واجدون فيه بعض مآخذ فى الشكل والمضمون . من مآخذ الشكل اغفال قواعد النحو اذ فى أبياته اخطاء نحوية ، وذلك كقول تاج السرالحسن فى قصيدته التى جئنا ببعض ابياتها مع النماذج « وفيضا من فؤاد النيل » حيث نصب « فيضا » ولا نجد سببا واضحا للنصب ـ و كقوله فى القصيدة ذاتها « رؤى اكتوبر الحمراء كانت فى ديارى طيف » ويحق لنا ان نتساءل عن خبر « كان » أهو « طيف» فلماذا لم يجىء منصوبا اذن كما تقول قواعد النحو ؟ والا فأين خبر هذا الناسخ ؟ من اخطاء النحو ايضا ماجاء فى القصيدة نفسها وهو قوله : وداعا يا قبور الحى فليطغى عليك(١) الماء ، حيث اثبت آخر الفعل المعتل وهو الياء بالرغم من اتصال الفعل بلام الامر ، وهذا الاتصال يوجب الجزم .

من الأخطاء ايضا قول جيلي عبد الرحمن : « وهل نبتاعها العفة »(١) حيث اعاد الضمير وهو الهاء فى « نبتاعها » على المفعول به « العفة » والمفعول به متأخر

---

١ – ديوانه – القلب الاخضر ١٩

لفظا ورتبة ، وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة يخالف قواعد النحو . أباح الشاعر لنفسه استعمال الكلمة « مقبض » في قــوله : « والثلج المقبض كالاكفان » وهو بهذا يفترض وجود وزن افعل ، من قبض ثم يصوغ منها « مفعل » وهذا الوزن لا يوجد في هذه المادة فيما نعلم وبهذا المعنى . والفيتوري يستعمل لغة اكلوني البراغيث في قوله : « وليمضوا مثلي شهداء أولادي » في قصيدته « أنا زنجي » .

نجد في هذا الشعر ايضا بعض الالفاظ والتعابير العامية ، ومثل ذلك من الالفاظ « لبن » الكلمة العامية التي جاءت في قول الشاعر صلاح أحمد « يا زرعا لبن حين جميع الارض موات » من مقطوعته « صلوات » والكلمة « مرميه » في قول تاج السر الحسن « اقفاله مرميه في الفضاء »(١).اما التعابير فمثل قول جيلي عبد الرحمن « مركب أحبابي تاهت أين » .

لا يخلو مضمون هذا الشعر من مآخذ كما قلنا من قبل واولها هذا الابهام الذي يظهر لنا في بعض أبياته، اننا نقرأها ولا نكاد نتبين مراد الشاعر فقول الجيلي عبد الرحمن مثلا :

واعجب كيف يثير الهتاف(٢)
صوتك حين يهز الشفاف
من القلب ، ذكرى فتاه !
وما نبشت باليراع الورق
وتركض فوق الحصى والتراب
وقد ترتدي في الشتاء الخرق

يحمل في ابياته صورة الا انها مفككة الاجزاء لانه ينقلها الينا في جمل تقريرية لا يكاد يربط الواحدة بتاليتها أو سابقتها رابط إلا ما نستنتجه من وضع الابيات والشاعر تاج السر الحسن يقول :

ولكن الدماء تسيل
وتصبغ ارجوانا وجه هذا النيل

---

١ - ديوانه ، القلب الاخضر ٦٩
٢ - ديوانه - الجواد والسيف المكسور ٣٩

دماء الزنج والعربان
ووجه النوبة الاسيان
بظل امرأة سوداء
غطى ساحة الصحراء

اننا لا نرى ما يربط المرأة السوداء وظلها بوجه النوبة الاسيان أو دماء الزنج التى تسيل وتصبغ صفحة النيل ، قد يكون الرباط واضحا فى ذهن الشاعر ، لكنه لا يوضحه لنا ، وقد تكون هنالك علاقة يعرفها الشاعر غير انه لا يعرفنا تلك العلاقة —

ان القارىءليحس غرابة فى بعض تشبيهات جاءت فى هذا الشعر من ذلك قول جيلى عبد الرحمن :

وكانت النخيل مثل اذرع النساء
تضم فى جذوعها العجفاء ذكريات
وتلثم المياه حين يغمض الرجال

ولنا ان نتساءل كيف تكون النخيل مثل اذرع النساء أهناك مشابهة حسية أم معنوية وفى كلا الحالين ما هى المشابهة ؟ اننا لا نستطيع تصورها ، وان امكن ذلك فالذوق لا يقبلها . ولنا ان نتساءل عن معنى الشطر الاخير ، أيريد الشاعر ان يقول ان النساء لا يجرؤن على تناول المياه ليروين ظمأهن الا فى غفلة الرجال ام يريد شيئا آخر ، وهل يفعلن ذلك حياء أو خوفا أو تأدبا ، ان كل ذلك جائز لكن العبارة التى اختارها لاداء هذا المعنى لا تصور حياء النساء أو ادبهن أو خوفهن انما تصور الحركة الحسية فقط ، وللقارىء بعد ذلك ان يتصور ما وراء تلك الحركة من دوافع ويستنتج ما يحيط بها من أفكار . يقول الشاعر فى قصيدته « فلتتحرر انجولا » عن لون الشمس : ابيض من الثلج مثل الحليب « ويقول : حتى اذا لفنى ضوؤها الابيض » فهل لون الشمس ابيض ؟ وان كان فهل هو فى بياض الحليب والثلج وضوء الشمس أهو أبيض ، ثم ما الفرق بين لون الشمس وضوئها ؛ لقد اغرب الشاعر ههنا بلا شـــك .

يبدو الخيال فى نماذج هذا الشعر التى عرضنا بسيطا لا عمق فيه ولا جموح .

وانه ليبلغ احيانا درجة السذاجة وذلك كقول تاج السر الحسن فى قصيدته « فلتحرر انجولا » :

وفى القرى
عجائز يبكين عند المساء[1]
« من يذهب اليوم لجنى الثمار ؟ »
من يحرس الغابة ان طوفت
في الليل افيال بقرب الديار ؟
من يشعل النار من حولنا
الناموس والاسود والاشرار
من يعتنى بالصغار
للصيد من يذهب انا هنا
نموت جوعا فى اسى واندحار

يتخيل الشاعر ههنا حال قرية أفريقية بعد ان اختطف تجار الرقيق رجالها وخلفوا نساء عجائز لا يقوين الا على الندب والتحسر لكن من العجائز من تحمل الراية وتبث الحماس فى الصغار وتقوم فى نفس الوقت مقام العائل الغائب ، اما شاعرنا فقد صورهن ضعيفات مستخديات وكانه اراد استجداء العطف ولم يرد اثارة الحماس . اننا لم نحس اثناء قراءة هذا الشعر انفعالا قويا جاشت به نفس احد اولئك الشعراء فانتقل من دخيلته إلى عباراته انما سردوا مآسى أفريقيا سردا وقرروا مظالمها تقريرا فجاءت العاطفة فى قصائدهم تلك فاترة .

✱ ظهرت أفريقيا فى شعر محمد مفتاح الفيتورى ــ وهو شاعر ينتمى إلى السودان كما ينتمى إلى بلد آخر من بلدان العروبة ــ لا كما ظهرت فى شعر الآخرين انما جاء ظهورها فى شعره أكثر لانه نظم لها العديد من القصائد وافرد لها دواوين من نظمه ، وجاء اعمق لانه حمل بعض ما نظم لها شيئا من ذات نفسه وتقديرا لانتمائه إلى السودان وشيوع امر هذا الانتماء فى بلاد كثيرة نرى لزاما علينا ان نقف عند بعض شعره اذ لا يصح ان نتناول الشعر فى السودان ونغفل

---

١ ــ ديوانه القلب الاخضر ٦٢

مانظم . عبر الفيتورى فى بعض شعره وقد نظمه فى القوالب الحديثة عن يقظة أفريقيا وبعثها وهذا يتمثل فى قوله :

يا أخى فى الشرق ، فى كل سكن(1)
يا أخى فى الارض ، فى كل وطن
انا ادعوك ..
فهل تعرفنى ؟
يا أخا اعرفه رغم المحن
اننى مزقت اكفان الدجى
اننى هدمت جدران الوهن
لم اعد مقبرة تحكى البلى
لم اعد ساقية تبكى الدمن
لم اعد عبد قيودى
لم اعد عبد ماض هرم ..
عبد وثن
انا حى خالد رغم الزمن
فاستمع لى .. استمع لى
انما اذن الجيفة صماء الاذن
ان نكن سرنا على الشوك سنينا
ولقينا من اذاه ما لقينا
ان نكن بتنا عراة جائعينا
أو نكن عشنا حفاة بائسينا
ان تكن قد اوهت الفأس قوانا
فوقفنا نتحدى الساقطينا
ان يكن سخرنا جلادنا
فبنينا لأمانينا سجونا

---

1 — ديوانه — اغانى افريقيا ، ٣٦

ورفعناه على اعناقنا
ولثمنا قدميه خاشعينا
وملأنا كأسه من دمنا
فتساقانا جراحا وانينا
وجعلنا حجر القصر رؤوسنا
ونقشناه جفونا وعيونا
فلقد ثرنا على أنفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا
الملايين أفاقت من كراها
ما تراها .. ملأ الافق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها
بعد ان تاهت على الارض وتاها
حملت افؤسها وانحدرت من روابيها
واغوار قراها .. !
فانظر الاصرار فى اعينها
وصياح البعث يجتاح الجباها
يا أخى فى كل ارض عريت من ضياها
وتغطت بدجاها
يا أخى فى كل ارض وجمت شفتاها
واكفهرت مقلتاها
قم .. تحرر من توابيت الاسى
لست اعجوبتها .. أو مومياها
انطلق فوق ضحاها ومساها
يا أخى قد اصبح الشعب الاها
جبهة العبد ونعل السيد
وانين الاسود المضطهد

تلك مأساة قرون غبرت
لم اعد اقبلها .. لم اعد
كيف يستعبد ارضى ابيض
كيف يستعبد امسى وغدى
طيف يخبو عمرى فى سجنه
وجدار السجن من صنع يدى
أنا زنجى .. !
وأفريقيا لى لا للاجنبى المعتدى
انا فلاح ولى ارضى
التى شربت تربتها من جسدى
انا انسان ولى حريتى
وهى اغلى ثروة من ولدى
انا حر مستقل البلد
وسابقى مستقل البلد
ههنا واريت اجدادى .. هنا
وهم اختاروا ثراها كفنا
وسأقضى انا من بعد ابى
وسيقضى ولدى من بعدنا
وستبقى ارض افريقيا لنا
فهى ما كانت لقوم غيرنا
نحن اهرقنا عليها دمنا
ومزجنا بثراها عظمنا
وشققناها بحارا وربا
وزرعناها سيوفا وقنا
وركزنا فوقها اعلامنا
وتحدينا عليها الزمنا

وسنهديها إلى أحفادنا
وسيحمون علاها مثلنا
فاسلمي يا ارض افريقيا لنا
اسلمي يا ارض افريقيا لنا .

في هذه الابيات يعلن الشاعر يقظة افريقيا إلى الملأ في عبارة واضحة قوية . يعلن على الملأ ان افريقيا رفضت الماضي البائد الذي عانت منه ما عانت من شقاء واذلال .

ذكر الشاعر كثيرا من آلام ذاك الماضي ومآسيه وفصلها تفصيلا يشيع في الابيات شيئا من حزن دفين . بعد هذا اعلن الثورة قائلا :

فلقد ثرنا على انفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا

وتدفقت كلماته قوية ثائرة تحمل الاصرار والعزم وترفض الاستعباد والمهانة وتؤكد سيادة الافريقيين في ارضهم وحريتهم في تلك الارض . ان ابيات الفيتوري هذي تكشف عن وطنية صادقة وثورة عارمة ، والواقع ان الكثير من قصائده يفيض بالثورة والوطنية ، الا انه كثيرا ما يرتد حزينا كئيبا في قصائده تلك كقوله :

يا اميرتي السوداء[1]
. . . .
. . . .
لو تعرجت حوائط البيوت
لو رأيت شاعرا يموت
جثته طريحة
وقلبه حمامة ذبيحة —
ودمه على الثرى عباءة حمراء
تنقرها الغربان والسلاحف الحدباء
فما الذي كنت ستصنعين
فما الذي كنت ستصنعين ؟

---

١ — اذكريني يا افريقيا ، الفيتوري ، ١٥

تنتزعين زينة العرس
وتلبسين زينة الحداد
وتندبين
وربما بصقت نقمة على الجلاد
لانه اسكت صوت شاعرك
اسكت صوت رجلك
وربما ستذكرين مقلتيه كيف كانتا
وتشهقين يا اميرتي
لكن إلى متى ؟

انه ينشر الكآبة ويفيض حزنا دفينا لكنه يشوب الحزن بانفعال قوى مكبوت نستشفه من السؤال الذى يلقيهعلى الاميرة السوداء بعد ان يصور لها ما قد يحدث ، يسألها « فما الذى كنت ستصنعين » ويكرر السؤال ثم يجيب على سؤاله بنفسه ، وكأنه يريد ان يبين لها مايمكن ان تفعله أو ما يجب ان تفعله ، ثم يختم اجابته بسؤال آخر : لكن إلى متى ؟ . وانه بسؤاله هذا لا يكتفى بما قد تفعل ، بل انه ليراه قليلا غير كاف وغير كفء للغاية السامية التى يسعى لها . هذا الانفعال القوى المكبوت هو دليل الثورة التى تعتمل فى نفس الشاعر وشرارة من النار المتأججة فى دخيلته ، وانه ليمكننا حينئذ ان نقول ان عاطفة الفيتورى تبدو فى شعره قوية اصيلة . دعاالفيتورى افريقيا دعوة ثائر متألم ، دعوة ابن لا يرضى لها حاضرها وينفر من ماضيها ، ابن يريد لها النهوض لان « دورها قد اتي » وعليها ان تلعبه كاملا وتجيده وها هى ذى دعوته :

افريقيا[1]
افريقيا الغائبة
يا وطنى .. يا ارض اجداديه
اني اناديك
ألم تسمعى صراخ آلامى واحقاديه

---

١ – اغانى افريقيا ، الفيتورى ، ٢٨

اني اناديك
انادى دمى فيك
انادى امتى العارية
اني انادى الاوجه البالية
والاعين الراكدة الكابيه
فويلك ان لم تحضنى صرختى
زاحفة من ظلمة الهاوية
عاصفة بالابيض المعتدى عليك
يا افريقيا الغالية

. . . .

. . . .

اجل فانا قد اتي دورنا
أفريقيا
انا اتي دورنا

لكن الثورة والالم ينقلبان إلى حقد ، انه لا يدعو افريقيا لتنفض عنها غبار الذل والخمول والضعف وتعمل مع العاملين لخير بنى الانسان فحسب . انما يدعوها لتهب وتعصف « بالابيض المعتدى » وبذلك يزيد نار العنصرية حطبا .

كذلك عبر الشاعر الفيتورى عن البعث الافريقى وعن يقظة الافارقة فى قصائد عديدة ضمنها صفحات دواوينه ، من هذه قصيدة عنوانها « انا زنجى » جمعت هذه القصيدة إلى التعبير عن هبة أفريقيا الاعتداد بالاصل ، وها هى ذى ابياتها :

قلها لا تجبن .. لا تجبن !
قلها فى وجه البشرية
انا زنجى
وأبي زنجى الجد
وأمى زنجية

انا اسود
اسود لكنى حر امتلك الحرية
ارضى افريقيه
عاشت ارضى
عاشت افريقية
ارضى .. والابيض دنسها
دنسها المحتل العادى
فلأمض شهيدا ..
وليمضوا مثلى شهداء اولادى
فوراء الموت .. وراء الارض
تدوى صرخة اجدادى
لستم ببنينا ان لم تذر الريح رماد الجلاد
لستم ببنينا ان لم يجل الغاصب عنها مدحورا
ان لم تخلع اكفان الظلمة ..
ان لم تتفجر نورا ..
ان لم يرتفع العلم الاسود ..
فوق رباها .. منصورا
ان لم يحن التاريخ لكم جبهته فرحان فخورا
الفجر يدك جدار الظلمة
فاسمع الحان النصر
هاهى ذى الظلمة تداعى
تساقط .. تهوى فى ذعر
هاهو ذا شعبى ينهض من اغماءته
عارى الصدر ..
ها هو ذا الطوفان الاسود ..
يعدو عبر السد الصخرى

هاهى ذى أفريقيا الكبرى ..
تتألق فى ضؤ الفجر ..

يجد الناظر فى شعر الفيتورى شكاة صريحة يعدد الشاعر فيها المظالم التى حاقت بالافريقيين فاورثتهم حقدا ، يصور الشاعر كل هذا فى اطار من الكآبة يكشف عما يعتمل فى نفسه . والابيات الآتية تمثل ما نقول ، وعنوانها — « إلى وجه ابيض».

ألأن وجهى اسود(١)
ولان وجهك ابيض
سميتنى عبدا
ووطئت انسانيتى
وحقرت روحانيتى
فصنعت لى قيدا
وشربت كرمى ظالما
واكلت بقلى ناقما
وتركت لى الحقدا
ولبست ما نسجت خيوط مغازلى
وكسوتنى التنهيد والكدا
وسكنت جنات الفراديس
التى بيدى نحت صخورها الصلدا
وانا .. كم استلقيت فى كوخ الدجى
أتلفح الظلمات والبردا
كالشاة اجتر الكآبة
عاقدا حولى دخان تفاهتى عقدا
حتى اذا انطفأت مصابيح السما
وانساب نهر الفجر ممتدا
ايقظت ما شيتى الهزيلة

---

١ — ديوانه — اغانى افريقيا ٤٨

وانطلقت اقودها لمراحها قودا
فاذا سمن نعمت انت بلحمها
ونبذت لى الامعاء والجلدا
لا ياأخى !
ان التهاب مشاعرى هيهات بعد اليوم ان يهدا
هيهات
لم اخلق عليها بومة
تقتات بالديدان أو قردا
انا كائن امى وامك طينة
والنور ليس لاينا جدا
فإلآم تحرمنى حقوقى ؟
بينما تلقى السعادة انت والرغدا
والام تستعلى بانفك سيدا ؟
وانا اطاطىء هامتى عبدا
اني صحوت ..
صحوت من امسى
وذى فأس تهد قبوره هدا
ساكون نارا .. فالحياة تزيدني نارا
وارقص فوقها رعدا ..
فاخلع براقع كبريائك ..
اننى اسكنت جيفة ذلتى لحدا
واضمم يديك إلى يدى
نشيد معا صرح المحبة بيننا شيدا
اني اخوك فلا تعق اخوتي
فتزيد بركانيتى وقدأ
اياك .. لا تبذر بذور عداوتي

فتعود تحصد شوكها حصدا
اياك لا تزرع حقولك عوسجا
اني زرعت حقولى .. الوردا

ان هذه القصيدة تصور كما يصور غيرها من قصائده ثورة الفيتورى على التفرقة العنصرية وما يتبعها من افتئات على الحقوق ـ حقوق السود ، وما ينجم عنها من احتقار يلقونه . ان كل هذا ينتج ألما دفينا يصوره الشاعر بقوله :

عاقدا حولى دخان تفاهتى عقدا
حتى اذا انطفأت مصابيح السما
وانساب نهر الفجر ممتدا
ايقظت ما شيتى الهزيلة
وانطلقت اقو دها لمراحها قودا

ويثمر حقد صرح به الشاعر حيث قال :

وتركت لى الحقدا

كما صرح به فى قصيدة أخرى قائلا :

ولما أبي .. ![1]
مزقته السياط
فحطم جمجمة السيد
وآخر كانت تنام الشياه وتصحو
على صوت مزماره
وفى ليلة ، كفرت روحه
بجزارها ، وبجزاره
فهب ، فاشعل احقاده
فسالت جحيما بوجه الصنم
وابصره الغد فوق الرمال

---

١ – ديوانه – اغانى افريقيا ، ٥٨

تكفنه عزة المنتقم

تبلغ ثورة الشاعر قمتها في قصيدته هذى . إلى وجه ابيض – فينفجر مهددا بقوله :

لا يا أخى !
ان التهاب مشاعرى هيهات بعد اليوم ان يهدا
هيهات

لكنه رغما عن كل ذلك يختم قصيدته هذى بدعوة قوية واضحة إلى تآخ انساني وتعاون بشرى يقومان على نسيان الماضى والاقبال على الحياة فى تحابب وتآزر ومساواة ، وذلك حيث يقول :

فاخلع براقع كبريائك
انني اسكنت جيفة ذلتى لحدا
واضمم يديك إلى يدى
نشيد معا صرح المحبة بيننا شيدا
اني اخوك فلا تعق اخوتي
. . . .
. . . .
اني زرعت حقولى الوردا

ان محمد الفيتورى شاعر مقتدر ينقل إلى القراء ما يعتمل فى نفسه فى عبارة قوية واضحة رائعة لكنه مع القوة والوضوح والروعة يهمل قواعد النحو احيانا ويدخل بعض الالفاظ العامية ، وهو ذو خيال قوى اصيل ويشهد بقوة خياله واصالته مسرحيته « سولارا »(١) ومما يبين مقدرته أو « طول نفسه » تلك القصائد الطوال التى تزخر بها دواوينه .

الاعتبار القومى والتغنى بالعروبة :

تغنت كثرة من شعراء السودان بالعروبة ، ومن تلك الكثرة عبد الله محمد

١ – احزان افريقيا – الفيتورى

عمر البنا وعبد الله عبد الرحمن الامين وعبد الرحمن شوقي ، وقد اوردنا في فصول سبقت من هذا البحث ابياتا من شعرهم تضمنت تغنيهم بالتراث العربي الاسلامي . لم يكن التغني محصورا في شعر هؤلاء انما جاء في شعر غيرهم من مجموعة الشعراء الذين عرفوا بالتقليديين ، وجاء في بعض قصائد من شعر اولئك الذين عرفوا بالمحدثين أو المدرسة التجديدية التي « دعت إلى الاهتمام بالعناصر المحلية في الكيان السوداني وابرازها قوية غالبة ، وفي هذا السبيل اتجهت اتجاها قويا إلى الثقافة الغربية لكي تكتسب من غناها العلمي والادبي ادوات تزيدها مقدرة ومهارة في انماء الأدب السوداني القومي الذي تريد انتاجه »(١) لم تتجه هذه المدرسة هذا الاتجاه انكارا للتراث العربي الاسلامي أو تجاهلا لأثره أو استصغارا لشأنه ، انما كانت تبحث عن « زيادة المقدرة والمهارة » ، انها تريد ان تضيف إلى ما عندها وللعروبة فيه نصيب كبير ، ثم تخرج انتاجا مستقلا وان حوى بعض ملامح الاصول وشيئا من سمات المنابت ، وها هو ذا احد رجال تلك المدرسة يقول : « اني(٢) لاقرر في تأكيد زائد ان اثر الدين الاسلامي والثقافة العربية سيظل ملازما لحركتنا الفكرية ما بقيت هذه البلاد وما قامت فيها ثقافة وحركة فكرية . لكن هذا الاثر بلا شك سيكون عرضة للتفاعل مع المكتسب من الآراء الحديثة والافكار الغربية ، وسيخضع كلاهما إلى جو هذه البلاد وما توحيه جغرافيتها وطبيعتها من افكار وتخيلات » .

ان هذا الاثر — اثر الدين الاسلامي والثقافة العربية — سيظل ملازما لحركتنا الفكرية ما بقيت هذه البلاد لانه اصل اصيل في البيئة السودانية ، وهو التراث الذي تشبعت به تلك البيئة وظهر في المجتمع السوداني قويا واضحا في حياة الناس — في الدور وامكنة العمل وفي المنتديات ، واتخذه بعض الشعراء وسيلة لاثارة حماس المواطنين وتبصيرهم بما كان عليه اسلافهم في الماضي حتى يبين لهم حاضرهم فيهبوا لاصلاحه . لجأ هؤلاء الشعراء إلى التراث العربي الاسلامي لأن السودان يرتبط بالعروبة والاسلام ارتباط الدم والثقافة والعقيدة ، وهو في

---

١ — الاتجاهات الشعرية في السودان ، النويهي ، ٦٠

٢ — المصدر نفسه ٥٤ (محمد احمد محجوب ، الحركة الفكرية في السودان .)

رجل كالرجال جاء بما　　يعجز عن فعله بنو الانسان

يأمر الماء بالوقوف فينصاع　　وان شاء لج فى الجريان

وترى سكرا بفيه ولكن　　مثل جمر مسعر بدخان

ثم يخلى من المياه اناءين　　اذا شاء بعد يمتلئان

يضع الشيء فى يديك فتلقا　　ه على الرغم منك فى يد ثان

ويغطى الاناء وهو خلاء　　ثم يأتيك منه بالثعبان

ثم يدني الغطاء منه ويأ　　تيك بزوج من الحمام يماني

ويمزق عمامة لغلام　　ثم يلقى بها إلى النيران

ثم يملى اشارة فنراها　　رجعت عمة من الدبلان

ثم يغرى فتاته فتراها　　ما لها بالحياة قط يدان

ثم تلقاه من مهارته رد　　لها روحها بغير توانى

ولكم رص فى الهوى اعلاما　　زاهيات الأشكال والالوان

كم خشينا عليه حين تحدى　　طاعنا كل جسمه بسنان

قد عجبنا لفعله ودهشنا　　فأشرنا له بألف بنان

وهو فى فنه العجيب لقد فاز　　لابداعه بألف رهان

هذه ما نراه ام هو جد　　ومن الناس ام من الشيطان

زعموا انه الخداع ولكن　　كيف فى الشيء تخطىء العينان

وهى ملكى وكيف يخدع لبى　　وشعورى وفطنتى وجناني

ايها الملحدون هذى امور　　من صنيع الجهال والغلمان

عللوها فان قدرتم فقولوا　　انه لا اله للاكوان

ان العاب الحواة ليست قاصرة على السودان ، وليس احتراف تقديمها وقفا عليهم ، وقد يكون الحاوى المقصود بهذه الابيات غير سوداني . لكن عرض هذه الالعاب يكثر فى المجتمع السوداني ويألفه الناس ، والشاعر يصور ههنا فى دقة ما يعترى المشاهدين من دهشة تحملهم على التساؤل عن اصل مقدرة الحاوى تساؤلا يتضمن وصفا دقيقا لكل ما يأتي من ألعاب . اما الودع وضاربته فقد قال فيهما الشاعر (١) :

---

١ — ديوان الطبيعة — حمزة الملك طمبل ٦٤

أرت ام عباس اعجوبة — تضل كبير الحجى بالودع
وما ام عباس الا عجوز — تقى بها نزعة للورع
تبشرني وعلى وجهها — بريق السرور بحظى لمع
وتحلف ان لم انل ما ترى — فليست تعود « لحط الودع »
تجادل ان انا جادلتها — كمن هو فى فنه قد برع
تلقته عن ملك فى المنام — فأى ملاك لهذا شرع
نذرت لها شقة مؤمنا — بأن الذى اخبرت لن يقع
ففازت بها رغم مطلى لها — مطرزة ليس فيها رقع
فقد نبأتنى بما لم يدر — ببالى وها هو حقا وقع
فواعجبى كيف نبأتها — وديعاتها بأمور تقع
وواعجبى كيف فى عصرنا — تصح الخرافات فى المجتمع
وان كنت صدقتها ما ادعته — فما انا الا الا لعقلى تبع
ولست بمعترض بعدها — اذ اصبح الناس جميعا «شيع»
وفى الرمل اشياء لكن له — حساب على فهمنا ما امتنع
امور ارى بعض أسرارهن — صدقا به من داره اقتنع
على انها خدع عندما — يزاولها بعض اهل الطمع
اصدق من صحيحاتها — وليست تجوز على الخدع
ولكن من الحمق ان تترك — اللباب مشايعة للبدع

ان شعر حمزة زاخر بالصور المحلية كهاتين الصورتين وغيرهما من وصف بعض المناظر والبقاع والمناطق فى السودان . اننا نحمد له تعمقه فى الوصف فهو يتعدى ذكر ما يقع عليه البصر أو يلتقطه السمع إلى ما يدور داخل النفس — ففى قصيدته **« ليلة ونهار » التى تبدأ بقوله :**

الشمس خلف الجبال — غابت ولاح الهلال[1]
والكون فى العين امسى — حقيقة كالخيال
كأنما كل شىء — مكون من ظلال

---

١ — ديوان الطبيعة — حمزة الملك طمبل ، ١٠٤

ثم يحدثنا عما يجول فى دخيلته قائلا :

هذا سكون مريح	لمن اطال النضال
لكن نفسى تفانت	فى حيرة وانفعال
اواه مما تقاسى	لجهلها بالمآل
فهل ترى الموت يشفى	من مثل دائى العضال
هذا سؤال ولكن	ماذا جواب السؤال

ينسج حمزة على هذا المنوال بالحديث عن ذات نفسه والتعبير عن حيرته فى بعض حقائق الحياة فى معظم قصائده وهذا « نفس جديد فى الشعر السوداني ، لا نجده عند محمد سعيد العباسى أو عبد الله عبد الرحمن أو عبد الله محمد عمر البنا أو غيرهم .. »(١) . لكنه يجنح إلى العامية احيانا ومثل ذلك قوله :

الحمد لله راقت واعقب الحال حال(٢)

فالجمعة « الحمد لله راقت » تعبير يدور كثيرا فى السنة عامة الناس ، ومنه ايضا قوله

زعموا انه الخداع ولكن كيف فى الشىء تخطىء العينان

فقد عدى الشاعر الفعل « تخطىء » بحرف الجر فى وهذا من اساليب العامية السودانية اذ يقال فيها « يخطى فى .. » .

كذلك نجد العامية فى قوله :

ثم يملى اشارة فنراها رجعت عمة من الدبلان

وفى قوله — لم تقم هذه الخرائب الا فوق ملك عنه الكلام يطول فالعبارتان « عمة من الدبلان » و « الكلام يطول » من اللغة العامية السودانية ، وهكذا اذا تتبعنا قصائد حمزة الواردة فى ديوانه نجد اثر العامية فى عدد منها ، ومع ان الشاعر يتعمق فى وصف احساسه وفى وصف مظاهر الطبيعة فى وطنه السودان الا انه لا يتخير لوصفه هذا بعض الالفاظ والتعابير الجملية ولا يعنى باسلوبه العناية التى تناسب دقة الوصف وعمقه .

---

١ — الشعر الحديث فى السودان — الشوش ١٦٣

٢ — ديوان الطبيعة — حمزة الملك طمبل ، ١٠٥

وفى وصف الخلوة قال التجاني يوسف بشير[1].

هب من نومه يدغدغ عينيه مشيحا بوجهه فى الصباح
ساخطا يلعن السماء وما فى الا رض من عالم ومن اشباح
حنقت نفسه وضاقت به الحيلة واهتاجه بغيض الرواح
واهابت به الظلال وقد نشرن فى جلوة القرى والبطاح
طوفت فى خياله ذكريات الر وع واعتاده مطيف الجناح
ومشى بارما يدفع رجليه ويبكى بقلبه الملتاح
ضمخت ثوبه الدواة وروت رأسه من عبيرها الفياح
ثورة صورت خوافى مابين حنايا صبينا من رياح
ورمى نظرة إلى شيخه الجبار مستبطنا خفى المناحى
نظرة فسرت منازع عينيه ونمت عما به من جراح
حبذا « خلوة » الصبى ومرحى بالصبا الغض من ليال وضاح
رب يوم اغر يزهو بدرى نطاق وعبقرى وشاح
وظلال من الضحى ظفرت منها بعقد من الصبا لماح
زهرات شتى منوعة الالوان من سوسن الربي والاقاحى
منعت شمسها فعاودها الف هوى يستفيدها للمراح
ونفوس سجى الكرى فى حوا شيها ودب الفتور فى الارواح
فارجحنت مهومات وما تبرح مركوزة على « الالواح »
كلما لفها النعاس واضفى فوقها عالما ندى الجناح
قصف الرعد فى المكان ودوى مرزما صاخبا قوى الصياح
فاستفاقت وهينمت بعض اشياء وعادت وعاد قصف الرياح
صور للصبا الاغر موشاة بأحلامه وضوء الصباح
يدفق البشر من مفاتن دنيا ها وتفتر عن سنا وضاح

نظم التجاني قصيدة وصف بها مدينة الخرطوم فى ستة وعشرين بيتا لم يعرض فى قصيدته هذى إلى المناظر الحسية المحددة التى تميز مدينة الخرطوم كموقعها بين

---

[1] – اشراقة ، التجانى يوسف بشير ، الطبعة الرابعة ، ٥٦

النيلين ، وكمنظر التقاء النيلين لاسيما فى زمن الفيضان . لم يذكر الشاعر شيئا عما اصاب هذه المدينة من تقدم عمراني ، وعما فيها من نهضة تجلت فى بعض انديتها وغير ذلك مما يمس حياة اهليها أو يصور تلك الحياة . ومهما يك من شيء فهذا بعض ما قاله التجاني فى مدينة الخرطوم :

مدينة كالزهرة المونقة ... تنفح بالطيب على قطرها[1]
ضفافها السحرية المورقة ... يخفق قلب النيل فى صدرها
تحسبها اغنية مطرقة ... نغمها الحسن على نهرها
مبهمة الحانها مطرقة ... رجعها الصيدح من طيرها
وشمسها الحمرية المشرقة ... تفرغ كأس الضوء فى بدرها

...

احنى عليها الغصن الفاره ... وظللها العنقود من حادر
وهام فيها القمر الرافه ... يعزف من حين إلى آخر
قصيدة الهمها الاله ... يراعه الفنان والشاعر

...

مدينة السحر مراح العجب ... ومفتدى أعينه الساحره
تنام فيها حجرات الذهب ... على رياض نضرة زاهره
اضاءها الفجر فلما غرب ... اضاءها بالانفس الناضره
وحفها الحسن بما قد وهب ... وزانها الحب بما صوره
يا للغرير الحلو من ذا احب ... ويا لذاك الظبي من ساوره

ان هذا الوصف وصف جيد مع اننا لو اسقطنا العنوان لما عرفنا المدينة الموصوفة ، وسر جودته ما اودعه الشاعر من صور شيقة متعددة رسمها خيال رومانسى . يبدو من هذه الصور ان الشاعر معجب بمدينة الخرطوم وبما فيها من « جمال بشرى ». للشاعر قصيدة وصفية اخرى خص بها جزيرة « توتي » ورسم فيها بشعره بعض مناظرها الطبيعية وما يدور فيها من حركة فى الصباح فى اربعة واربعين بيتا ، وها هوذا بعضها :

---

١ — اشراقة ، الطبعة الرابعة ، ٢٣

يا درة حفها النيل | واحتواها البر (١)
وصحا الدجى وتغشا | ك فى الاسرة فجر
وصاح بين الربي | الغر عبقرى اغر
وطاف حولك ركب | من الكراكى اغر
وراح ينفض عينيه | من بنى الايك حر
فماج بالايك عش | وقام فى العش دير
كم ذا تمازج فن | على يديك وسحر
يخور ثور وتثغو | شاة وتنهق حمر
والبهم تمرح والزر | ع مونق مخضر
تجاوب اللحن والطحن | والثغاء المسر
وهب صوت النواعير | وهو فى الشجو مر
ان الجرار وقد ضا | ق بالقليب الممر
تكسرت وهى تهوى | فما تلاءم كسر

....

وظل قرنك يا | شمس آنذاك يذر
فكل غصن مصابيح | من ندى يستدر
ونور الطل واحمر | فى الثرى المخضر
وذاب فى الرمل او ما | ج فى الترائب غبر
ترجل الريح ما انهيا | ل من نقا او تذر
رملاء يبرق در | منها ويبهر در
والفلك فى جانبيها | كالدهر ما تستقر
هذا شراع مكر | وذا شراع مفر

فى هذه الابيات التى اخترناها من قصيدة « توتي فى الصباح » وصف جيد ايضا ففيه صور عديدة تأسر القارىء بجمالها وتستهوى السامع باحكامها وحينئذ يراها بخياله رائعة حية . ان المناظر التى يصفها الشاعر ليكون منها صورة اشبه بحقائق الحياة فى توتى ان لم تكن منها بالفعل ، وقد اعمل الشاعر خياله الخصيب النفاذ فى تلك الحقائق فاتحفنا بوصف شائق حى ابرز جمال الطبيعة فى بقعة من

١- اشراقة ، الطبعة الرابعة ، ٣٤

بقاع بلادنا . ان وصف الخرطوم جميل ووصف توتي جميل ، وقد اعجب الشاعر بالخرطوم لما فيها من جمال حسي ساقه وجمال معنوي خلب لبه فهي حاضرة قومه ومصدر الكثير مما يتوقعه الشاعر لبني وطنه . وقد اعجب الشاعر بتوتي — راقه جمال الطبيعة فيها ، وفتنه ما تصوره من الحياة القروية وما يتجلى فيها من سحر الريف السوداني وحياة اهليه البسيطة وما يزينها من صدق فى العزيمة والايمان وسماحة فى الخلق ، واننا لنجد وصفه لتوتي احب إلى النفس فالصور فيه ابهج واوضح وهي ايضا اصدق لانها بسيطة بساطة الحياة فى جزيرة توتي . فقوله :

رمـلاء يـبرق در منهـا ويبهـر در
والفلك فى جـانبيها كالدهـر ما تستقر
هـذا شـراع مكر وذا شـراع مفـر

صورة حية ناطقة لشاطىء النيل فى توتي ورماله تتلالأ ذراتها تحت وهج الشمس ، والقوارب المنتشرة فى الشاطىء بعضها ذاهب وبعضها الآخر آت ، والواقف منها تحركه الامواج وتدفعه فيهتز أو يختلج ويضطرب مع حركة الامواج . يتأمل الشاعر هذه القوارب فى اضطرابها واختلاجها أو سيرها ذاهبة آتية فيتذكر الدهر وصروفه، انه يشكو فى غضون اعجابه بالجمال وافتتانه بهذا المنظر ، وقوله :

مدينة السحر مراح العجب ومفـتدى اعينه الساحـرة
تنام فيها حجرات الذهـب عـلى رياض نضرة زاهـرة
اضـاءها الفجر فلما غرب اضـاها بالانفس الناضـرة

صورة أو صور جميلة لكنها فيما نرى لا تتضح لعين الخيال ، ولا نستطيع ان نعرف مراد الشاعر من قوله « حجرات الذهب تنام على رياض نضره زاهرة » ولا نستطيع ان نتخيل تلك الحجرات نائمة وان موضع نومها رياض نضرة زاهرة اما ثالث هذه الابيات فلا يدخل فى الصورة السابقة الا انه يشيد باهل المدينة اشادة موجزة عامة ، هم « انفس ناضرة » تحل محل الفجر اذا غاب ، وهو يريد بالفجر ههنا ضوء الشمس أو النهار لان ضوء الفجر يبقى قليلا ويعقبه النهار فهو اذن بدايته ولعل هذا هو ما اباح للشاعر استعمال « الفجر » ههنا فى هذا المعنى . ان شعر التجاني جيد بصفة عامة من حيث المضمون والشكل فقصائده تتسم بوحدة الموضوع

وخصوبة الخيال الا ان معانيه لا تخلو من الغموض احيانا ويشيع فى بعضها نفس صوفى ، اما اسلوبه فسليم فى الغالب الاعم فقد افاذ مما قرأ من شعر الاقدمين وأدبهم ومما درس على شيوخ المعهد العلمى سلامة العبارة والوزن وصحة التركيب اللغوى .

لم ينظم التجاني شعرا فى الوطنية والسياسة كما فعل كثيرون من شعراء السودان الا ان شعره لم يخل من تعلق بالوطن وتفكير فى شئون المواطنين . كاد تعلقه بوطنه يقوده إلى الثورة فقد ضاق ذات مرة بما يلقى الاجنبى فى بلاده من رزق ميسر وعيش هنيء ، وعز عليه ما يجده السوداني من حرمان فقال :

قف بنا نملأ البلاد حماسا	ونقوض من ركنها المرجحن(1)
هى للنازحين مورد جود	وهى للاهلين مبعث ضن
يستدر الاجانب الخير منها	والثراء العريض فى غير من
ابطرتهم بلادنا فتعالى ابن	اثينا واستكبر الارمنى

غير ان ثورته هذى هدأت فجأة فقال يبكى اساه فى بأس قاتل :—

يا بلادى اخلصتك الخير واستصفيت ودى اليك من كل مين

يا بلادى وانت اضيق من رز	ق مجالا ودون اخرات اذنى
حسب قلبى من الاسى ما الاقى	ملء جنبى من كلال واين
وبحسبى من حاجة عوز يد	فع نفسى إلى فراق وبين

وفى قصيدة أخرى صرح بانشغاله بامر قرمه ، فمن سهر مضن يورثه الاجهاد والضعف إلى عمل متواصل يصيبه فيه النجاح احيانا والفشل أخرى ، وذلك حيث يقول :

كم صباح نسجته انا والنجم	وارسلت شمسه من محطى
قلت سيرى على اسرة قومى	واستحرى على مضاجع رهطى
انا جراءهم سهرت ليستغشرا	ومن اجلهم اصيب واخطى

تناول الشاعر محمد المهدى مجذوب بعض الاحداث التاريخية التى تصور

---

1 — اشراقة ، الطبعة الرابعة ، 52

أمجاد بلاده ، ففى قصيدته « المصير »(١) جاءت الابيات الآتية :

أأسمع من شيكان رعدا تحدرت   زمازمه حول النحاس المغرد
فهاج بجلفا قبر عثمان لفـــه   كسيف على ثأر يناجيه مغمـــد
واسمع شيخى غابرا من نشيده   وهاج ابن منصور قتيلا بمسجد
واصبحت ما صدقت ظنى واعينى   تصيحَ الا انظر هبة الفجر واشهد
وجمعت اشلائى وناديت عزمه   مبـــددة اثر الفـــؤاد المبـــدد
وعن عجب لم استرح من هواجس   يبث بها فى الضوء ظل التردد
وما ضاحكتنى فرحة قد دفنها   زمان الاسى هيهات انسى بملحد
ولكننى ـ والامر لله ـ حاقد   اسامر حقدى بالشمات المبرد
وليس بوجهى انما بجـوانحى   تبسم شيخ حاقد الشيب ادرد
جبينى صخر لايبالى وهل شفى   سرى الماء يجرى بين احناء جلمد
بذلت جبينى للرزايا واعيـنى   على وطن دامى العشيات مقصد
وياوطنى خمسون عاما تصرمت   حجلت بها حجل الاسير المصفد
رفعت عليها راية النصر فى يد   ومزقت ثعبانا من القيد فى يد
فمن لى بلقيا من تولوا وازمعوا   إلى كررى بينا على غير موعد
غرستم لواء فى دماء خصيبـــة   فجشن بغاب من رماح محشـــد
وثرنا فهذا النيل ارسال موجه   سيوف تنادى فوق درع مزرد
تشير إلى اعدائنا فى قــــراره   تصيح بسياف على كل مرصد

يذكر الشاعر ههنا « شيكان » و « كررى » كما يذكر بعض اشخاص الا انه لا يعددها عدا ، ولا يرسلها فى نظم خاو خال من العاطفة بل يدخلها فى فيض من عاطفته حتى ان تلك الاسماء مع مالها من مكانة ووقع تختفى فى ذاك الخضم الملتهب . يبدو فى اوائل هذه الابيات غضب مكتوم نحس به فى تساؤله : «أأسمع من شيكان رعدا » ، انه تساؤل الراغب المتمنى ؛ انه يود لو جلجل رعد وقصف وانهال على الاعداء وحصدهم حصدا . لعل بعض ما حدث بدا للشاعر هكذا ، فشفى

---

١ ـ نار المجاذيب ، م . المهدى مجذوب ، ١١٤

نفسه وابرأ سقمها ، لكنه لا يكاد يصدق ومع ذلك ينتظر كرة أخرى . ثم نحس ألما دفينا فى قوله :

وجمعت اشلائي

وقوله : لم استرح من هواجس

وقوله : وما ضاحكتنى فرحة قد دفنتها

وانا لنألم معه فاوصاله مقطعة ، وعزيمته واهية لا يكاد يسترجعها لأن فؤاده لا يسعفه ، ونرثي له لان التردد يعتاده فتكثر هواجسه ، فيذهب فرحه ليحل محله الاسى والحقد – حقد تمازجه شماته ، حقد عتيق غذته السنون . رغم هذا الاوار العاطفى المتأجج فى دخيلة الشاعر نراه يسترجع قواه ويأخذ فى فخر صلب عنيد وكانه يريد ان يعلن بذلك عن رفضه الاستسلام للضعف وعزوفه عن الشكوى وكيف يضعف ويشكو وها هو ذا وطنه يهب فى وجه الدخلاء رغما عن القيود وطول الامد .

فى قصيد أخرى سماها الشاعر « عيد الحرية » (١) ، قال :

وطني الذى اهوى .. لعيني مسفر ... يدعو رؤاى الغابرات فتبصر
فجر تخلق من ارادة أمة ... وأهل تسمع ما يقول فتذكر
صاف توهجت المنى بضيائه ... شتى كما عكس الاشعة جوهر
والنيل قد لبس الضحى من خضرة ... متموج فيها العباب الاسمر
والرمل من ذهب يشف ، مآزر ... تحت النخيل حريرها يتكسر
والزهر انفاس يطوف عبيرها ... متوقف ، متلفت ، متعثر
والزرع نور وعده لسواعد ... خشناء تورق فى الضفاف وتثمر
صور عشقت لها الحياة مريرة ... وبقيت بين خطوبها انتظر
اصغى إلى الصبر الوقور وخلفه ... كبد يذوب على شباب يدبر
واني وان فت الشباب فانه ... وطن يدوم به صباى الاخضر
مهد لاطفالى وثدى امومة ... متجدد يهب الحنان ويؤثر
عيد ولم يك قبله من عائد ... يأتي الينا باسما ويبشر

---

١ – نار المجاذيب ، ١٤٣

قد كان رهن محاجر من ظلمة   الصبح فيها اعين تتحجر

حتى اذا نضج الحفاظ اباحه   دن ، تكتمه النفوس ، معمر

وافاق يشعل ناره في ليله   تهدى الكرى للظالمين وتسهر

وبدا الصباح مهندا في لمعه   ضحك المغيظ بكل هول يسخر

ضرب القيود فكل عى منطق   يصمى العداة وكل سد معبر

والنيل منبر ثورة اعواده   غاب وراء ليوثه يتنمر

وطني الذى اهوى كتاب ملاحم   كبرى تضيء على الزمان وتبهر

وعمائم بيض تهل غمائما   في ظلها كرم يهش منضر

وقرى على النيل الوفي برزقه   ترضى وتؤمن بالقضاء وتصبر

معصومة في خلوة ميراثها   لوح وآيات عليه تسطر

قعدت ترقص مغزلا مترنما   وتغض عن مكر اللئام وتغفر

وتعف عن ذل السؤال مروءة   ترضى وتؤمن بالقضاء وتصبر

. . . .

وطني اعود به كيوم خروجه   في الخيل موردها النجيع الاحمر

غمر التلال فكل تل مهجة   غنى باضلعها الرصاص الممطر

وارن في كررى نحاس كريهة   زجل يكاد حماسة يتفطر

. . . .

فخرا بنى وطنى وانى شاعر   بالخالدات من المآثر يفخر

من مبلغ شهداءنا بدمائهم   بقيت بنا تلقى العداة وتثأر

هكس تهافت في حبائل مكره   وتلاه كتشنر الكفور الاعور

يعلو مناكب سابح متمطر   والريش من يافوخه يتحدر

نسر تطلع للقضاء ودونه   كررى تسيل بها الحتوف وتزخر

او مارأى بعد الهزيمة ثورة   لا تنثنى وعزيمة لا تقهر

اودى به قومى واصبح قصره   في الشط نملك امره وندبر

وافاه منا آمر نختاره   جهرا يساند رأينا ويؤزر

قصر تتوب ظلاله من ريبة   وبياضه من فتنة يتطهر

ولقد نرى غردون فى ابهائـــه شلوا تناوشه الرماح الشجـــر
يمضى البعير به ويعلم انـــه شبح جـــلاه على العيون مصور

مرة أخرى نجد العاطفة الملتهبة ولكنها هذه المرة حب جارف عميق ، احب بلاده بنيلها ورملها وزهرها حبا صور له وطنه فجرا صافيا مسفرا « تخلق من ارادة امته » انه حب اساسه اعجاب قوى بمظاهر الطبيعة فى موطنه وايمان عميق باهله وخلقهم واعتداد بما اوتوا من تراث عريق مقدس . لقد ولد الشاعر ونشأ وترني بين هؤلاء الناس ونعم بفضائلهم وسينعم اولاده بها وينهلون منها :

مهد لاطفالى وثدى امومة متجدد يهب الحنان ويؤثر

ان الشاعر مفتون بمآثر قومه . انه يفخر بها ويعددها واحدة واحدة متمنيا ان ينهض الشهداء من قبورهم ليشهدوا الامجاد الجديدة التى ستنضاف إلى ما قدموا من مآثر فى غضون فخره يندد الشاعر بهكس و كتشنر وغردون فى تيه وسخرية إلى حد ان ينفذ بعين الخيال إلى الماضى ليرى مصرع غردون ويصوره لنا بكلماته . مجد الشاعر فى ابياته هذى ما قام به مواطنوه فى سبيل استرجاع حريتهم واستخلاص ازمة الامور من الحكام الاجانب واعادتها إلى نفر منهم :

او ما رأى بعد الهـــزيمة ثورة لا تنقضى وعزيمة لا تقهـــــر
اودى به قومى واصبح قصره فى الشط تمـــلك امره وندبر
وافاه منـــا آمر نختــــاره جهرا يســـاند رأينا ويؤزر

وقد كان جهادهم صادقا متواصلا ازال الحكم الاجنبى وغسل الادران واعاد إلى البلاد طهارتها ونقاءها ـ

قصر تتوب ظلاله من ريبه وبياضه من فتنة يتطهـــر

تبدو لنا عاطفة محمد المهدى مجذوب فى قصيدته هذى قوية عميقة ساخنة ، انه يبدأ بوصف مفصل جميل يحدثنا فيه عن الفجر المتألق والرمل الذهبى ، والزهر وانفاسه ذات العبير إلى غير ذلك من المشاهد المعجبة فيشيع البهجة فى مطلع القصيدة وتنتقل منه الينا بهجته تلك الناطقة بحبه ، ويؤكد ذلك بقوله :

صور عشقت لها الحياة مريرة ....

ولفرط ابتهاجه لا يأسى على شبابه الفائت انما يسعد لان نشأة بنيه ـ فى هذا الوطن بطبيعته الخلابة واهله الاخيار الابرار ـ هى استمرار « صباه الاخضر » هكذا يتدفق الشاعر حبا جارفا وتفيض عباراته عاطفة نكاد نحس حرارة لهبها فى معظم ابياته .

ننتقل بعد هذا إلى مقطوعة قصيرة من نظم الشاعر عنوانها « الطليعة »(1) قال فيها :

وطنى وقاك من الدخيل وظفره	ليل الشبيبة والمشيب المقمـر
خمسون من عمر الزمان تصرمت	سودا وانت بها ترد وتقهــر
حتى اذا برح الخفاء تفجـرت	دفع الصباح وللظلام تكسـر
خمسون قدطويت وعدت محاربا	مازال فى كررى لواؤك يخطر
وبمسمعى وما وهمت قصيدة	شيكان تنشــد رجعها وتكرر
وبأعينى كررى تعود كأنمـا	لم يطو فيها للبطولة منظـر
وطنى هو الدم فائرا عتقتـه	كررى تضج به الغداة وتزأر
ان الألى خذلوك حين دعوتهم	طاشوا واسكرهم عقوق مسكر

هنا فى هذه الابيات ـ مع قلتها ـ تتضح لنا براعة الشاعر فقد صور جهاد المواطنين شيبا وشبابا وعملهم المتصل من أجل بلادهم ، جهاد « تفجر كدفع الصباح » « فتكسر الظلام » امامها ، ولفرط اعجاب الشاعر بوقفة مواطنيه فى كررى وشيكان نراه يجعل جهادهم هذا استمرارا لجهاد اسلافهم ودفاعهم عن بلادهم فى كررى ثم يربطه كذلك بمعركة شيكان هذا الربط العاطفى الخيالى اذ يقول :

وبمسمعى وما وهمت قصيدة شيكان تنشد رجعها وتكرر

فاذا كانت شيــكان « تنشد رجع القصيدة وتكرر » « فكررى تضج وتزأر » « بالدم الفائر » وما زال « اللواء يخطر » فيها ـ لواء النصر فكأن اسلافنا الذين اندحروا هناك لم يخسروا لأن احفادهم هبوا ووقفوا فى وجه الدخيل إلى ان انتصروا عليه واجلوه عن بلادهم .

---

1 ـ نار المجاذيب م . المهدى مجذوب ، ٢٢٢

يبدو محمد المهدى مجذوب فى هذه الامثلة التى عرضناها شاعراً قوى الخيال متأجج العاطفة بارعا فى نقل عاطفته إلى قرائه ومستمعى شعره وفى تصوير ما يدور بخياله ، يزين كل هذا اسلوب سليم ناصع .

من شعراء الوطنية المحدثين « جعفر حامد البشير » صاحب ديوان « حرية وجمال » ضمن الشاعر ديوانه هذا قصائد عديدة يحدثنا بعضها عن افتتانه ببعض مدن السودان وبقاعه ، وفى كثير من القصائد الاخرى يدعو الشاعر بنى وطنه للاتحاد ويستحثهم للعمل على اخراج الحكام الدخلاء ، ويوسع اولئك الحكام وحكمهم ذما وانتقاصا . كذلك يشجع فى قلة من قصائده نهضة الفتاة السودانية إلى غير ذلك من الموضوعات الوطنية . لم يغفل الشاعر العالم الاسلامى والعالم العربي فقد نظم لفلسطين وايران ودعا مصر والسودان « للكفاح المشترك » . فى الديوان ايضا قصائد عاطفية تكشف عن حب الشاعر الجمال وتعلقه الشديد بمفاتنه فى البشر ، وفى المظاهر الطبيعية فى المدن أو فى الريف ، وها هى ذى ابيات من قصيدته التى نظمها لمدينة الخرطوم : قال :

رعى الله فى الخرطوم حسنا وفتنة — وسحرا ودنيا كلها بسمات(١)
اذا جئتها عند المساء وقد زهت — واشرق افق حولها وجهات
وطارد اطياف الدياجر جحفل — من النور رفاف له بلجات
سرى فى سلوك الكهرباء فابرقت — وشعت انابيب به وكرات
وهبت من النيل الجميل نسائم — فهاجت جنان حوله نضرات
جنان ولكن لست اغفل ذكرها — ولو انها فى اهلها حرمات
حنانيك يا خرطوم كلك روضة — وحسن فهل فى روضك الحسنات
وماروع البيض الحسان سوافرا — مشين فكان الدل والخطرات
يطوفن فى وقت الاصيل تنزها — فتزدهر الساحات والطرقات

.... — ....

جمال يهز النفس اني توجهت — فللنفس فى محرابه سجدات
فما ابهج الخرطوم طاب غدوه — وطابت لدى مرتاده الروحات

---

١ — حرية وجمال الطبعة الاولى ٢٢٠

ونبحث عن عاطفة الشاعر التى اثارها جمال الخرطوم الطبيعى ، وجمال ما رأى الشاعر فيها من بشر فى هذه الابيات فلا نجدها انما نجد وصفا سطحيا لا يكشف عن اعجاب عميق أو افتتان – نلاحظ ان الشاعر انهى وصفه للطبيعة الجميلة بالبيت الخامس واجمله فيه فقال :

حنانيك يا خرطوم كلك روضة ....

فهل انتهى اعجابه . أو لم يبق بعد هذه الابيات الخمسة وما جاء فيها منظر جميل فى الخرطوم يستحق الوصف . « اما الجمال البشرى فقد خصه بثلاثة ابيات واختار «البيض الحسان السوافر» ولم يقل فيهن الا القليل ، وان لنا ان نتساءل عن السمراوات المحجبات . لقد احسن الشاعر وصف وتبيان ما يفعله الجمال فى المعجبين اذ قال :

ففى كل عين لهفة وتطلـــع   وفى كل قلب نابض لفتـــات
جمال يهـــز النفس أني توجهت   فللنفس فى محرابه ســـجدات

الا اننا نود لوأنْ استمر الشاعر وتعمق قليلا فالمجال متسع .

للشاعر قصيدة أخرى هى « ذكرى وادى الاراك » – تضمنت هذه القصيدة وصفا لذاك الوادى وبينت شوق الشاعر وحنينه اليه . وها هى ذى ابيات منها :

يا بلاد الاراك ما زالت الذكرى   بفكـــرى وما يزال الحـــنين
وغرامى .. فمانسيت غرامى   أو تشككت فيه ، فهو يقـــين
ان توالت منذ افترقنا ســنون   فلقد الهبت هواى الســنون
كيف وادى الاراك والغابة الخضرا   والرمـل والجبال الجـــون
والسحب الركام ، والافق النائم   والطـــل والنهار الضنـــين
والنسيم البليل يعبر فى رفـق   فتنســاق اذ يمر الشجـــون
والليالى بذى الاراك وبـــدر   انهكت ضوءه الحبيب الدجون
وصحابي بذى الاراك وقـــوم   انا صـــب بحبهم مفتـــون

ان الشاعر ههنا اقرب إلى التقرير والتعداد منه إلى الوصف العاطفى الذى يصور مواطن الذكريات تصويرا يشيع البهجة ويرسم لمناظر تلك المواطن صورا حية معبرة يراها القارىء بين الكلمات بعينى خياله .

عبر الشاعر فى أكثر من قصيدة من قصائد الديوان عن مسائل شغلت باله ، اولاها تفرق كلمة مواطنية فقد آلمه ذلك ايلاما اطلق لسانه فى لومهم وحثهم على الاتفاق — قال :

ياويح قومى الام الخلف يدفعهم — نحو الحتوف ومايدرون ماصنعا(١)
هل آثروا الخلف فى اهدافهم جزعاً — ام آثروه على اهدافهم طمعا
من لى بهم امة خرساء ان نطقت — الفيت شمل بنيها ظل مجتمعا
حتام ياقوم حتى فى تخلصنا — من ربقة الذل يغدو رأينا شيعا
اواه اني احس الغيظ يفجعنى — من امة لا تحس الضر والوجعا

ان هذه المقطوعة رغما عما تنطق به من غيظ الشاعر وما يبدو فى اولها من حيرته الا انها اشبه بالخطاب الوطني السياسى النثرى منها بالشعر اذ هى خلو من الخيال والعاطفة كما ان فى اسلوبها شيئا من الضعف — انه يذكر « ام » «والمعادل» بعد هل وفى قوله « حتى فى تخلصنا » رائحة العامية ، واننا لنحار فى مايريده الشاعر من البيتين الثاني والثالث . نعى الشاعر على مواطنيه خلفهم فى أكثر من قصيدة وشكا من تقصير بعضهم ومن ثقة بعض بالحكم الاجنبى ورجاله . كذلك اعلن سخطه على الاحزاب لانها اضرت بالبلاد ، قال :

وطنى لئن فتك الدخيل فمثله — واضر منه تفاتك الاحزاب(٢)
ماضر لو كان الكفاح مبرءا — من هذه الاوضار والاوشاب
وطنى لو الاعداء كانوا وحدهم — حربا عليك فذاك غير عجاب
لكن ويا اسفا عليك فانها — حرب من الاعداء والاحباب

كذلك اعلن سخطه على الحكم الاجنبى واوسعهم ذما ونقدا ودعا إلى اخراجهم وحث مصر والسودان على التعاون لبلوغ هذه الغاية الا انه فى كل ذلك كان خطيبا أكثر منه شاعرا فالعاطفة باردة والخيال ضعيف والاسلوب لا يخلو من ضعف احياناوقد مثلنا لذلك فيما مضى ونضيف استعمال الكلمة « تفاتك » ولا نحسب ان هذا الوزن يصاغ أو يستعمل من هذه المادة ، ومن اختلال الوزن قوله :

---

١ — حرية وجمال ، الطبعة الاولى ٢٦
٢ — المصدر السابق ٤٤

فرقت بيننا الحياة ولكن ربطت مصر حلقه الاتصال(١)
نحن جميعا بنو العروبة ان ننسب فما ثم غير عم وخال

وقوله :

هيمان مفتونا ولست اخاف بعد المزيد

وقوله :

ولكنما الشعب الابي سينتهي لغايته يوما والا فقد يفنى

وقوله :

انه المجهول فى الاحياء فليلق ادكارا
فاكرموه قبل ان تبنوا على الاموات دارا
هـذه « انصابكم » لم تلق منا اعتبارا

الاحداث العالمية فى الشعر السودانى الحديث :

لم يقصر شعراء السودان ـ على اختلاف مدارسهم الادبية وميولهم السياسية ـ شعرهم على مشكلات السودان وموضوعاته بل خرجوا به إلى العالم الافريقي لادراكهم ان الشعب الافريقى ضعيف مستضعف وانه يشاركهم المصيبة اى السيطرة الاجنبية ، وانه يحاول جاهدا التخلص من تلك السيطرة ، مثله فى ذلك مثل الشعوب فى السودان ومصر والجزائر وغيرها ـ فوق هذا و ذاك فان الشعب السوداني يمت للعالم الافريقى اصلا ونشأة كما يمت للعالم العربي ، وآلام اى جزء من أفريقيا تثير الحزن فى السودان ، وافراح اية بقعة فيها تحرك المشاعر فيظهر اثر ذلك كله فى شعر الشعراء ونثر الناثرين . وهذا الذى يظهر فى الشعر أو فى غيره يشد من ازر اولئك المصابين المكافحين الصابرين ، وفى الوقت ذاته يقض مضجع الحاكم الاجنبى المتسلط ، ويذيع امر ظلامتهم وينشر خبر جهادهم فى جهات متعددة وبهذا ولهذا يقلق الدخيل المتسلط ويضيق باولئك المناضلين ومن يؤازرونهم فيفكر فى مخرج ومن هنا يأتي الفرج .

عمد الشعراء السودانيون إلى مناصرة الافارقة والاشادة بابطالهم وبجهادهم

١ - حرية وجمال ، الطبعة الاولى

ليحصلوا على ما يريدون فى الحياة من حرية واستقلال تدفعهم إلى ذلك العواطف الانسانية والطموح البشرى فى ان تكون لهم وقفات مثل وقفات بعض الافارقة وزعماء مثل بعض زعمائهم . ها هو ذا جعفر حامد البشير يخاطب ثوار كينيا « الماوماو » قائلا :

وهب مناضلا جومو وقال لشعبه قوموا(١)
أيسعد عندنا الافاق وابن الغاب محروم
فرددها من الغابات موتور ومهضوم
واشعلها فما خمدت لها وقد وتضريم

....

وقالوا انهم جاءوا إلى التمدين فى الغاب
وكيف يمدن الغابات ذو ظفر وذو ناب
وذئب يشبه الانسان فى شكل واثواب
وافعى تحرق الاجسام بالنفثات والصاب

....

تحرك مارد الادغال وهو المارد الاكبر
شجاع لا يروعه لهيب النار والعسكر
خطير دونه المخشى والمرهوب والاخطر
ربيب الغاب ترب الاسد يزأر مثلما تزأر

....

اجومو يا عظيم السود انا نخفض الرأسا
تحيات واجلالا واعجابا واحساسا
اجومو اننا نشكو من الزعماء افلاسا
فكن بالله ياجومو لهم هديا ونبراسا

لم يشر فى قصيدته هذى رغما عن طولها الى صلة بين السودان وكينيا أو إلى هدف يسعى شعب كل منهما إلى بلوغه ، وفى القصيدة ضعف يظهر فى الأسلوب فقوله :

---

١ - حرية وجمال الطبعة الاولى ١٠١

اشبه بالعامية ، وقوله « وقالوا انهم جاءوا إلى التمدين فى الغاب » ركيك . يظهر الضعف ايضا فى الخيال حيث يقول :

وذئب يشبه الانسان فى شكل واثواب
وافعى تحرق الاجسام بالنفثات والصاب

وسبب الضعف أو منشأه فيما نرى التشبيه فى اول البيتين فهو القديم المعروف الذى كثر تداوله ، وفى ثانيهما اراد الشاعر ان يجدد ويبتكر فيحيد عن المألوف ليأتي بالعجب ولكنا نرى انه لم يوفق لان الافعى لا « تحرق بالنفثات والصاب » بل تقتل بسمها بعد ارهاب وايلام ، وهى ناعمة الملمس جميلة الجلد إلا أنها مخيفة قتول ومظهرها لايتفق وفعلها ، وهنا موضع التشبيه بها لكن الشاعر تجاهله لكثرة وروده فى شعر كثيرين من القدامى والمحدثين ، وكان ان جاء بهذا البيت وقرر فيه ان الافعى تنفث صابا يحرق الاجسام ، وهى لا تنفث صابا لان الصاب شجر مر » (١) ، ولم يعرف عن الصاب انه يقتل أو يحرق الاجسام حتى يقال او يظن ان الشاعر يشبه ما تنفثه الافعى وهو سم قاتل بالصاب .

لم يعجب الشاعر الدكتور عبد الله الطيب ما ارتأته حكومة بريطانيا فى امر الزعيم الافريقى « سرتس خاما » بل سخط على الحكومة ورئيسها وحزبه ثم عبر عن ذلك السخط بقوله :

لعمرك ان مالقى ابن خاما	عشية قولهم ألا يعودا(٢)
لموعظة لكل فتى رشيد	ومن لك ان تحس فتى رشيدا
ارى اتلى والعمال ضلوا	ضلالا لا منار به بعيدا
فيا تبا لهم ولا قوا	كما لاقى الاوائل من ثمودا

ويبدو الشاعر حزينا لمصير الزعيم فى قسمه الذى يبدأ به ابياته وفى الابهام الذى يحدثنا به عن مصير الزعيم « مالقى ابن خاما» ويظهر يأس الشاعر فى البيت الثاني ، اما السخط فنحسه قليلا فى البيت الثالث حيث يرمى الشاعر كبير وزراء

١ — القاموس
٢ — اصداء النيل ، الطبعة الثالثة ، ٤٨

بريطانيا وزملاءه « بالضلال البعيد » ثم يدعو عليهم في الرابع ويصل السخط قمته عندما يتمنى لهم مصير ثمود .

وجدت احداث العالم العربي طريقها إلى نفوس الشعراء السودانيين وحركت شاعرية عدد منهم مثلما حركتها احداث العالم الافريقي لنفس الاسباب ولان السودانيين يمتون إلى العروبة بصلة الدم وروابط الثقافة والعقيدة . ففي نكبة دمشق قال احمد محمد صالح :

صبرا دمشق فكل طـرف باك ... لما استبيح مع الظلام حماك[1]
جرح العروبة فيك جرح سائل ... بكـــت العروبة كلها لبكاك
جزعت عمان وروعت بغداد ... واهتزت ربي صنعاء يوم أساك
وقرأت في الخرطوم آيات الاسى ... وسمعت في بيروت انة شاكى

مصورا بهذه البداية ما اصاب بلدان العروبة من حزن عميق والم ممض لضرب دمشق ، وقد تطور الحزن الاليم إلى غضب ثائر بعد ذلك ، قال الشاعر :

ضربوك لا متعففين سفاهــة ... لم تأت اثما يا دمشــق يداك
ورماك جبار يتيه بجــوله ... شــلت يمين العلج حين رماك
اين الغساسنة الالى دانــت لهم ... عرب الجزيرة يلثمون حصاك

لقد اذكرته غضبته هذى جبابرة كانوا يحمون دمشق ويخضعون عرب الجزيرة كلها ، انه يناديهم لينتقموا لها ان امكن أو ليسرى عن نفسه مما الم بها ، قد عاد إلى الغساسنة ثم إلى الامويين فقال :

بل اين من مروان كل خليفة ... لو يستطيع بتاجــه لفــداك
قم يا ابن هند وامشى فيهم غازيا ... في كل جبار العزيمة شـــاكى

ولما هدأت ثائرته قليلا اخذ يعزى دمشق بل يعزى العروبة كلها ليهون على نفسه وقع الكارثة قائلا :

صبرا دمشق فكل هم زائـل ... وغدا يلوح مع النجوم سناك
تتألقين كما عهـــدتك درة ... في تاج اروع من امية زاكى

---

١ – مع الاحرار ، الطبعة الاولى ، احمد محمد صالح ، ٩٣

في الجاهلية كان عزك باذخا ... وازدان بالاسلام عقد حلاك
يا جنة الدنيا وبهجة اهلها ... وحظيرة العباد والنساك
يا معقل الاسلام في عليائه ... لا تذعني للغاصب السفاك

هنا سكت غضب الشاعر شيئا ما فقد تأسى بذكر الماضي وامجاده ثم التفت إلى فرنسا لائما مقرعا بقوله :

قولي لديجول مقالة شامت ... انسيت في باريس نوح الباكي
أنسيت كيف ترنحت « سيدان » ... من ضرب على هام الرجال دراك
أنسيت يوم اتاك هتلر غازيا ... وفررت لم تصبر ليوم عراك

وهكذا يمضي احمد محمد صالح من حزن عميق إلى غضب ثائر ثم إلى تصبر هادىء ونحن نتبعه في وهاد عاطفته ونجادها إلى ان يختتم قصيدته بالنصح يزجيه للعروبة شأن الوالد العطوف والشيخ المحنك الشفيق ، فيقول :

قل للعروبة قول باك مشفق ... لا تركني للغرب في مسعاك
الوعد عندهم جهام خلب ... وعهودهم شرك من الاشراك
ان كنت تبغين الحياة عزيزة ... صوني حماك وسددي مرماك

نظم الشاعر قصائد أخرى للعروبة في محنها ، فنظم لمصر عن « العدوان الثلاثي » ولفلسطين كما خاطب اقطاب العرب بشعره وفي ديوانه[1] مجموعة قصائد سماها « عروبة » وهو فيها كلها عاطف غيور يفيض حماسا واعتدادا .

لا يكاد شاعر واحد من شعراء السودان يقصر في مشاركة العروبة افراحها واتراحها ، ولا يمكن لأي منهم ان يكبح جماح شعوره ازاء ما يدور في بلاد العروبة، ولم يكن احمد محمد صالح الوحيد في هذا المجال فقد سبقه كثيرون واعقبه كثيرون ، فمن الذين سبقوه محمد سعيد العباسي بقصيدته « الطرابلسية »[2] لما شن الطليان الاغارة على مدينة طرابلس « ليبيا » ، ومن الذين اعقبوه الدكتور عبد الله الطيب ومما نظم للعروبة قوله في فلسطين :

---

١ – مع الاحرار ، الطبعة الاولى ، ٩١–١٠٦
٢ – ديوان العباسي ، دار الفكر العربي ١٠٦

ما بال همك جنح الليل منتابا ام مالدمعك لا ينفك صبابا[1]
اما تسلى بكأس من معتقة صفراء قد حبست في الدن احقابا
وكيف يسلو أخوهم تؤرقه لواعج الهم لا تألوه الهابا
اذا حسا الراح هاجته هوائجها وجددت حزنا منه واطرابا
في الشرق والغرب اخوان ألم بهم صرف الزمان فانحى الظفر والنابا
مشردين بآفاق رجاؤهم داج ألاح جبين الشمس أم غابا
كم في فلسطين موتور وثاكلة ويائس شك في الرحمن وارتابا
الدور صارت لاسرائيل خالصة والمال غودر انفالا واسلابا
واصبح القوم في دهياء جائحة يغالبون من الاقدار غلابا
دهاهم ما دهانا من مواعد لا يوفى بها جعلت مينا وكذابا

ان عبد الله الطيب في ابياته هذى كئيب مغتم لا يكاد يغمض عينيه حتى ينتابه هم فيوقظه ويجرى دمعه حتى لا يكاد يقف عن الجريان . واذا حاول ان يتسلى بخمر معتقة جيدة صافية ، هاجت تلك الخمر « لواعج همه » وزادت التهابا . انها اكبر من ان تنزاح عن صدره بكأس فقد آخاها وآخته . والاخاء والمؤاخاة صلتان لا تنفصمان ، بل تبقيان بقاء الحياة . لقد تكاثرت الهموم على الشاعر حتى ضاق بها وانا لنحس ضيقه في تساؤله : « مابال همك .. » و « اما تسلى بكأس ... » ثم « وكيف يسلو .. » . لقد تكاثرت عليه ولازمته حتى لم يعد التخلص منها ممكنا اما ما اعتاد الناس على صرف الهموم به وهو الخمر فيزيدها ويؤجج نيرانها . لابد ان مصدرهم الشاعر الذى يعتاده ولا يفارقه ، وربما يزيد ان حاول التخلص منه لابد ان مصدره امر عظيم هائل أو امور متعددة بذرت الحزن في نفسه فعبر عن حزنه ذاك بهذا الاسلوب الرائع ، ولنتأمل قوله :

مشردين بآفاق رجاؤهم داج ألاح جبين الشمس ام غابا
كم في فلسطين موتور وثاكلة ويائس شك في الرحمن وارتابا

لنحس فداحة الخطب الذى اثار عاطفة الشاعر فاتحفنا بهذه الابيات .

السودان كما قلنا من قبل ، وهو امر معروف ، جزء من العالم العربي ،

---

[1] ٣ — اصداء النيل ، الطبعة الثالثة ، ١٧٥

وهو ايضا جزء من العالم الافريقي ، وهذا الجزء مع كله الاول و كله الثاني فرع من الاصل الكبير – العالم وعليه فلا عجب بل ومن الطبيعي ان تثير احداث العالم شعراء السودان . لعل اقوى هذه الاحداث وأكثرها اثارة الحرب العالمية الثانية التى نشبت فى سبتمبر عام ١٩٣٩ ووضعت اوزارها عام ١٩٤٥ ، اى بعد ست سنوات عانت فيها البشرية ما عانت . قامت هذه الحرب والسودان يحكمه البريطانيون وقد كانوا طرفا فيها فوقف السودان معهم بجنوده وماله واراضيه ، وسخر الحكام الانجليز كل قدرات اهله لتأييدهم ومناصرتهم ، وقد قبل السودانيون ذلك مع كراهتهم الحرب وبعدهم عن اسبابها ، وها هوذا يوسف مصطفى التنى يعبر عن ضيقهم بالحرب وعن براءتهم مما تجره ثم يسأل الله عودة السلام للعالم :

الا قل لهذى الرحـــى وقفى ... تجاوزت فى الطحن ان تسرفى(١)
هصرت الشباب قبيــل الاوان ... ولم تبقى من ظـــله المـــورف
واعمارنا قد تســـاوت لد ... يك ابا لطفل والشيخ لم ترأفى
. . . .
هنالك فى الغرب جاشت صدور ... بها حبس الجن ، مثل القماقـــم
وقد اطلقـــت جنها للـــورى ... فعاث بها واستباح المحـــارم
وساق إلى الحرب فتيانـهـــم ... على البر والبحر أو كالقشاعـم
. . . .
الهى ! لقد ضاق ذرع الورى ... فاين واين الغـــــد المشرق
لئن علـــق الأثم أرواحهـــم ... فقد طهروها لدن احرقـــوا
فهب عالم الارض برد السلام ... وقـــل لبيارقـــه تخفـــق

لم ينظم الشاعر حسن طه فى الحرب نفسها انما نظم فى مؤتمر سان فرانسيسكو الذى انعقد عقبها لانشاء « هيئة الامم » وقد قدم لقصيدته بقوله : « ولما كنت اول كافر بها رأيت ان اخاطب الوفود المغررين بهذه القصيدة التى حالت السلطات دون القائها فى المهرجان الادبي بالابيض فى ذلك العام » . عام ١٩٤٥ . وقد بدأ قصيدته بهذه السخرية :

---

١ – ديوان التنى ١٠٥

هذى دموعى حيرى فى محاجزها قد انكرت ما اعاني اى انكار[1]
سيان منهزم عندى ومنتصر هذا صريع وهذا جائع عاري
كلاهما لم يضع حدا لغايته ولم يراع حقوق الجار للجار
كلاهما خان بالامس العهود ولم يرع المواثيق ، لكن تحت استار
هذا جزاء وفاق للذى كسبت يد السياسة آثار بآثار

ولكنه عاد فصور بعض اهوالها بأسلوب قرآني قائلا :

قد هالنى شرر كالقصر تقذفه طير ابابيل مخلوق من النار
تساقط النجم شهبا كلها رصد فاندكت الارض لم تحفل بديار
ياغارة الله نار الحشر الطف بي نزاعة للشوى لكن بمقدار
كم من دماء اريقت وهى آمنة فى غارة فاجأتنا دون انذار
وكم صريع قضى نحبا بالاجدث وجثة تحت انقاض من الدار
هذا يتيم وهذا ثاكل جزع وتلك تبكي بقاني الدمع مدرار

ولعل أبشع ما يصفها به :

يا غارة الله نار الحشر الطف بي نزاعة للشوى لكن بمقدار

فالجحيم لا يدخلها كل انسان ولا يصيب لهبها الا فئة معينة اما هذه فلا ، وقد يعفو الله عن بعض اهل جهنهم فيخرجهم منها إلى جنان عدن ، وإلى هذا اشار بقوله « لكن بمقدار » ان الله يقدرها على بعض عباده . ويذكر الشاعر هيئة قامت قبل ذلك وسميت « عصبة الامم » الا انها تعثرت وسقطت فى خضم اطماع الدول الكبرى فيقول عنها :

يا عصبة الامم الكبرى التى طلعت فى سانفر نسسك نجما يرشد السارى
ردت بضاعتكم ان كان خالطها من الاراجيف ماقد يغبن الشارى

يوجه الخطاب بعد هذا إلى اعضاء المؤتمر مذكرا بالامم الصغرى التى تتطلع للحرية والاستقلال محذرا من اغفال امر تلك الامم ومن الاذعان لطمع الطامعين ، يقول :

هل جئتم بجديد فى حقائبكم وهل حظيتم بدرس من سنمار

---

١ - هتاف الجماهير ، حسن طه ٥٨

وهل شحذتم ضميرا قد يوفرمن ... شحذ الحديد ورد النار بالنار
وهل علمتم بان الحرب قائمة ... مالم يك العدل فيكم زنده وار
وهل سمعتم بان الناس غايتهم ... أوطانهم ليعيشوا عيش احرار
لاتجلسوا وقفوا فى البهو خاشعة ... قلوبكم قبل ان تدلوا بأفكار
واستلهموا الله فى محراب قاعتكم ... بقلب مسترحم لا قلب جزار

ثم ينتقل إلى مطالب موطنه « السودان » وحق اهليه فى الحرية بجلاء جيوش الاحتلال وتولى بنيه السلطة كاملة غير منقوصة ويذكر بدور السودان فى الحرب بمناصرة الحلفاء ، فيقول :

يا عصبة الامم الكبرى هنا غرد ... يطارح النيل اشعارا باشعار
. . . .
هل تسمعين إلى نجواى انشدها ... ام تطربين إلى الحان اوتارى
هى الاماني غدت سرا يضيق بها ... صدرى ولولاك ما افشيت اسرارى
هى الحقوق التى غنى الزمان بها ... من عهد آدم عهد الكهف والغار
هى الجلاء ، وفك القيد عن وطن ... قد ناصر الحلف لم يبخل بمغوار

أما الشاعر عبد الله الطيب فقد اختلف عن سابقيه – يوسف مصطفى التنى وحسن طه – اذ رثي المانيا بعد هزيمتها فى هذه الحرب رثاء معجب محزون ، ولنعرض الآن ابياتا من تلك المرثاة لنرى مبلغ اعجابه وحزنه. بدأ الرثاء باكيا ابطال الاسلام الشهداء الاوائل الذين مضوا ، وذم الحياة لانها فيما قال لا تصفو الا للئام ، ولام الاقدار ايضا ، حيث قال :

مضى الشهداء الاولون وقتلت ... بناة المعالى من لؤى بن غالب[1]
يظلون فى خشناء من شدة الاذى ... ويمسون صرعى تحت ضوء الكواكب
وما زالت الاقدار ترفع باطلا ... وتطمس ذا نور من الحق ثاقب
وكيف تلذين الحياة وماصفت ... بعلمك الا للئام الاشائب
مضى كرماء الناس فابكى عليهم ... بفيض الدموع كالغيوث الهواضب

ثم برر بكاءه عليهم بقوله :

---

١ – اصداء النيل ، الطبعة الثالثة ، ١٦٢

لعمرك انى يوم ابكى عليهم — لباك لايامى وسود ذوائبى
وباك على ابناء قومى ادلجوا — حثاثا وما يدرون ريب العواقب
وباك على الدنيا يصير مآلهـا — إلى سنن عن سنة العدل عازب
وباك على نفس تجيب نداءها — وتصبو اليها وهى ألأم صاحب

ويبكى الالمان قائلا :

اسيت عليها امة عبقـرية — لها شرف عالى الذرا والمناكب
اذا ما اربا فاخرتنا بغايـة — من المجد كانوا افخرها فى المواكب
جهابذ افلاطون يصغر شأنه — اليهم ورسطاليس شيخ المذاهب
اذا حملوا الاقلام وفوا حقوقها — بدائع يعيى نسجها كل كاتب
وان حركتهم سورة العزحطموا — صدور القنا فى الفيلق المتراكب
وما فتئـوا يستنزلون إلى الوغى — مشائيم فى عين العدو المحارب
اذا عفيت منهم كلوم اثارها — حفاظ بعيد الهم وعر المراكب
فقدحرصوا حرص الكريم على العلا — وقدغالبوا ريب الصروف الغوالب
سقتهم حياض الموت كاسا شقوا بها — فهم بين مطلوب بثأر وطالب
عجبت لقوم شامتين وقدرأوا — مصارع امثال الليوث الاغالب
فان حياء ان يحبر فيهم المراثي — ويبكوا بالعيون السواكب
لعمرى لقد ساروا جبالا وازبدوا — كازباد بحر غيلم ذى غوارب
وضاءوا كاضواء النجوم وقد هووا — بنار تلظى فى يباب وعاشب

ان بكاء الشاعر شهداء الاسلام الاوائل وابطاله وحزنه عليهم حزنا يبغض الحياة اليه امران طبيعيان شبيهان بعبد الله الطيب الشاعر العربي المسلم ، لكن بكاءه الامة الالمانية وحزنه على مصيرها الذى قادها اليه زعيمها « هتلر » امران غريبان فلم يقل عن الالمان احد ــ فيما نعلم ــ ما قاله عبد الله الطيب بعد هزيمتهم فقد أخذ الناس فى ذمهم وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ونسوا ما قدموه للبشرية فى محيط العلم والادب والاختراع ، ولكن ابت جرأة الشاعر الا ان يسجل ذلك فى شعره ويعلن اعجابه بهم وحزنه لما اصابهم فقد كانت لهم امجاد ومواقف حميدة كما كان للعرب . ويختم الشاعر رثاءه العرب والالمان بالسخرية من المنتصرين قائلا :

فلا زالت النيران تشعل بعدهم | بمضطرم الاحقاد بين العصائب
وغصت حلوق بعد نصر تسيغه | بمثل المدى أو كالحميم لشارب

يستغل الشاعر جعفر حامد البشير حالة احد « ضحايا الحرب » ، رجل معتوه يسير فى الطريق والناس يضحكون منه فيكيل اللوم للذين يقيمون « الانصاب » للذكرى ولتمجيد الاموات ويهملون حيا مثل هذا المعتوه — يقول :

ضحك الناس وما أغباهمو إذ يضحكون(١)
ضحكوا منه ومن انفسهم لو يعلمونا
لم يزيدوا غير ان قالوا فتى جن جنونا
ومضوا فى شأنهم من حيث جاءوا غافلينا

. . . .

ثم يقول عنه وعن الحرب واهوالها :

وانبرى المسكين يشكو فى ذهول ويصيح
انه المدفع والبنج وفى جسمى جروح
ويحه ما زالت الحرب لعينيه تلوح
والضحايا حوله منها صريع وطريح
والشواء الآدمى الكره فى الجو يفوح
وشظايا برؤوس الجند كالسيف تطيح
وشهيق كلما فاضت إلى المجهول روح
هكذا كان خيال منه يغدو ويروح

ثم يوجه اللوم والسخرية لبناة « الانصاب » قائلا :

انه المجهول فى الاحياء فليلق ادكارا
فاكرموه قبل ان تبنوا على الاموات دارا
هذه « انصابكم » لم تلق منا اعتبارا
خدع اشبعها الوعى نفورا واحتقارا

---

١ — حرية وجمال ، الطبعة الاولى ، ٦٠

عظموا ما شئتمو منها : صغارا أو كبارا
فهي في اعيننا كادت من الخزى توارى

وانها لسخرية مرة ، فبينما يسير احد الضحايا حيا كميت ، لا مأوى ولا علاج يجد الضحايا الاموات تكريما باقامة الابنية والاحتفال بها في صور مختلفة متوالية يختم الشاعر قصيدته معنفا المنتصرين لان بلده لم تجن من الحرب شيئا مع انها شاركت فيها وكان الشاعر — كغيره من مواطنيه — يتوقع تقدير الحلفاء عامة والبريطانيين خاصة جهود السودان وما قدموا لهم ، ولما لم يجد اهل السودان ما انتظروه عبر شعراؤهم نيابة عنهم عن سخطهم ومن ذلك قول جعفر :

نحن خضنا حربكم تلك فماذا قد جنينا(١)
غير بؤس لم يزل ينصب في جـود علينا
وشـقـاء لم نـزل نبعثـه منـا الينـا
وكؤوس الذل مـع انا من الذل ارتوينا
قدعرفنا وغـدا ان قيل يوم الحرب اينا
عسكـر السـودان جاوبنا على بعد ابينا

اثار انتصار الحلفاء الشاعر احمد محمد صالح فنظم قصيدته « يوم النصر » اعلن فيها ابتهاجه قائلا :

هتفت ورقه وغـنى هـزاره ... وضح الحق واستطل مناره(٢)
ليس سيف يثأر في نصره الحق ... كسيف على الضلال مثـاره
ان ستا من السنين تقضـت ... طاح فيها زيد واملق جـاره
برز اللحم والعظام ولم تبـق ... على اخضر يسر اخضـراره
حي عهد السلام يا بلبل الشر ... ق فقد جاد السلام وقـاره
وامش في موكب السلام اختيالا ... انت في موكب السلام كناره

ثم التفت بعد هذا الابتهاج إلى المانيا المنهزمة وزعيمها نادبا حظها التعس الذى هيأ لها زعيما طاغية اوردها هذا المورد ، انه لم يحزن لها ولم يظهر اعجابا كما فعل عبد الله

---

١ — حرية وجمال ، الطبعة الاولى ، ٦١
٢ — مع الاحرار ، الطبعة الاولى ٤٨

الطيب ، بل قال :

قف ببرلين ساعة واندب الحظ　　　　.. . . . . . . ما تقلبت اطواره
يا عروس البلدان يا ربة المنعة　　　　اين العـــزيز ايان داره
اين من كان فى يديه المنـايا　　　　والعطايا كيف استبيح جداره
عند رأى الزعيم تنخفض الهام　　　　فـلا رأى غـير ما يختـاره
. . . .　　　　. . . . .
ضربوا حوله سوارا من الجند　　　　فلم يدفع القضاء ســواره
الصليب المعقوف قد لمس التر　　　　ب وسوى مع الثرى جبـاره
ذهبت ريحه وشالت مع الصبح　　　　نعامـاته واقــوت ديـاره
تلك عقبى الطغيان يا صاحب الحول وهــذا بواره وخساره

انه بهذه الابيات يسوق العظة للاخرين ولكل « صاحب حول » ويتجه بعدها إلى حكام السودان وهم من الحلفاء المنتصرين مذكرا مطالبا فى لباقته المعهودة ــ انه يقول لهم :

قد رأيتم بلادنا يوم خضـنا　　　　معــكم قسطلا شـديدا اواره
واكلنا الحـديد والنار لم نر　　　　هـب عدوا قسا وطال انتظاره
امة العرب لا تطيـق هـوانا　　　　ما لهذا اعانكم احـــراره
قد صبرتم عـلى العدو كراما　　　　لم يرعكم يوم الوغى بتـاره
وانتصرتم عـلى العدا فأرونا　　　　كيف لا يبطر الكريم انتصاره

انه لا يتحدث عن مطلب وطنه الصغير السودان انما عن بلدان العروبة كلها « انها لا تطيق الهوان » ولا هوان الا الحكم الاجنبى ، فليجلوا عنها ليثبتوا كرمهم الذى بدر فى صبرهم على الحرب ليرونا «كيف لا يبطر الكريم انتصاره» انه طلب رقيق مهذب يتفق وخلق الشاعر وسنه وحنكته .

خاتمة

تناولنا في هذا البحث الشعر الذى نظمه شعراء السو
منذ عهد مملكة الفونج إلى عام ١٩٧٠ ، وهو ذاك الشعر ا
سياسية صريحة لوضع معين تكون فيه البلاد . تناولنا هذا
فنظرنا فى شكل شعر كل شاعر واعقبنا هذا بالنظر فى الم
فى كل ذلك مبينين المحاسن والمآخذ حسب ما تراءى لنا .

لقد تتبعنا الشعر بشعرائه واحدا فواحدا ، وبقصائده قصيد
الاحيان متأملين أساليبه فى كل حقبة من حقب الفترة (من عهد
١٩٧٠) فتبين لنا ان تلك الأساليب رقيت من حقبة إلى أخرى ر
واكتسبت فى كل حقبة صفة مميزة . ففى أيام الفونج ظهر الشعر الفصيح
عن قلة المتعلمين وضيق مجال القول وجاء ضعيفا فى مبناه ومعناه اذ جاءت أوز
مختلة فى الأغلب الأعم وشاع الخطأ فى تعبيره وألفاظه مع قرب بعضها من العامية
وجاءت معانية مطبوعة بطابع صوفى مع بساطتها وذبولها . لكن شعراء الحقبة التالية
وهى عهد الأتراك العثمانيين قربوا شعرهم من سلامة التركيب فقد قلت فيه الأخطاء
الا أنهم مالوا إلى التلاعب بالألفاظ ، وإلى اتباع نهج خاص فى اختتام القصائد
وايراد شيء من المصطلحات العلمية ــ كمصطلحات النحو والفقه والعروض
وبعض معاني القرآن وألفاظه .

أما شعراء المهدية فقد حرصوا على صحة أوزانهم فجاءت قصائدهم سليمة
لكنها احتفظت بالكثير من خصائص شعر الحقبتين السابقتين كورود المصطلحات
العلمية وختم القصائد بالتاريخ أو الدعاء ثم اللجوء إلى التحسين البديعى ، كما انها
لم تسلم من بعض الأخطاء، واتسمت بالتكرار ــ تكرار بعض الحروف والالفاظ .

فى عهد الحكم الثنائي تخلص الشعر من عدة سمات طغت على اساليبه فى
الحقب السابقة ، فزايلتها العامية ، وهجر الشعراء تعمد التحسين البديعى وعنوا
بصحة التركيب وسلامة الوزن ، وقد برزت فى هذا العهد فئة من الشعراء عرفت

لدية » ، حملت هذه الفئة لواء الشعر عاليا وشاركت به في
ت فلفتت الانظار اليه وإلى موسيقاه وأساليبه وإلى دوره في
يجو كلية غردون القديمة الذين تتلمذوا على نفر من علماء
عبد الله محمد عمر البنا وعبد الله عبدالرحمن واحمد محمد
على هؤلاء عدد من شعراء السودان المحدثين ولم يقلوا عنهم
كيب وسلامة الوزن وفاقوهم باستغلال الخيال والعاطفة .

من شيء فان الشعر السوداني الفصيح شارك في اشعال جذوة
ى السياسي عبر تاريخ السودان وقطع بعضه برأي محدد في مستقبل
. الا ان عددا من الشعراء السـودانيين لم يدعم في شعره دعوة
ة « لكيان وطني » معين ، لذلك لم نتعرض لهم الا لماما ، وهؤلاء
ر لبلادهم كيانا في محافل أخرى غير سياسية ، وأعلوا من شأن أمتهم بما
موا وألفوا وبما القوا في الاجتماعات والمؤتمرات .

ولله الحمد وبه الاستعانة وعليه الاتكال .

المراجـــع

(أ) الدواوين :

أحزان أفريقيا — محمد الفيتورى — دار العودة بيروت

أذكريني يا أفريقيا — محمد الفيتورى — دار العودة ، بيروت ١٩٧٠

اشراقة — التجاني يوسف بشير — مطبعة التمدن — الخرطوم ١٩٦٤

أصداء النيل — د . عبد الله الطيب — الدار السودانية ، بيروت ١٩٦٩

أغاني أفريقيا — محمد الفيتورى ، دار العودة ، بيروت

الجواد والسيف المكسور — جيلي عبد الرحمن — الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧

حرية وجمال — جعفـــر حـــامد البشير — مطبعة جريدة الصراحة الخرطوم ١٩٥٣

ديوان أبي تمام — تحقيق محمد عبده عزام — دار المعارف ١٩٦٤

ديوان البنا — عبد الله محمد عمر البنا — ١٩٢١

ديوان التنى — يوسف مصطفى التنى ، دار الكتاب العربي — القاهرة ١٩٥٥

ديوان الطبيعة — حمزة الملك طنبل — المطبعة الرحمانية — مصر ١٩٣١

ديوان العباسى — محمد سعيد العباسى — دار الفكر العربي — القاهرة ١٩٤٨

ديوان العروبة — عبد الله عبد الرحمن الامين

ديوان المتنبى — الكعبرى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى القاهرة ٥٦

الشاطىء الصخرى — حسين منصور — مطبعة البيت الأخضر — مصر

شعراء السودان — سعد ميخائيل مطبعة رعمسيس — القاهرة

الشوقيات — أحمد شوقى ـ القاهرة ـ ١٩٥٥ ، ١٩٥٩
غضبة الهبباى — صلاح أحمد ابراهيم ـ دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥
القلب الأخضر — تاج السر الحسن ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة
مع الاحرار — أحمد محمد صالح وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية بيروت ١٩٦٩
نار المجاذيب — محمد المهدى مجذوب ، وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية بيروت ١٩٦٩
هتاف الجماهير — حسن طه ، مطبعـة كوركين اسكندريـان ، أمدرمان ـ ١٩٤٩

(ب) الكتب :

الاتجاه القومى فى الشعر العربي الحديث ـ عمر الدقاق ـ دار الشرق حلب١٩٦٣
الاتجاهات الشعرية فىالسودان د. محمد النويهى ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ القاهرة ـ ١٩٥٧
تاريخ الثقافة العربية فى السودان ـ د. عبد المجيد عابدين ، مطبعة الشبكشى القاهرة ـ ١٩٥٣
تاريخ السودان ـ نعوم شقير ـ دار الثقافة بيروت ١٩٦٧
تراث الشعر السوداني ـ عز الدين الأمين ـ معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ـ ١٩٦٩
تقرير لجنة تنظيم الخدمة المدنية ـ المطبعة الحكومية ـ الخرطوم ـ ١٩٦٨
الثورة المهدية ـ جلال يحيى ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩
الحركة الفكرية فى السودان ـ محمد أحمد محجوب ـ ١٩٤١
الخطط المقريزية . تقى الدين المقريزى ـ مؤسسة الحلبى وشركاه
السودان فى قرن ـ د . مكى شبيكة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦١
الشعر الحديث فى السودان ـ د . عبده بدوى ـ المجلس الاعلى لرعاية الفنون

والآداب ـ القاهرة ١٩٦٤
الشعر الحديث فى السودان ـ د. محمد ابراهيم الشوش ـ معهد الدراسات العالية
القاهرة ١٩٦٢
الشعر السوداني فى المعارك السياسية ـ محمد محمد على ـ مطبعة النهضة الجديدة
القاهرة ١٩٦٩
طبقات ود ضيف الله ـ ابراهيم صديق ـ المطبعة المحمودية التجارية القاهرة ١٩٣٠
القاموس المحيط ـ الفيروزبادى ـ المطبعة الحسينية ـ القاهرة ١٩١٣
محاولات فى النقد ـ محمد محمد على ـ مطبعة التمدن ـ الخرطوم ١٩٥٨
مخطوطة كاتب الشونة ـ أحمد بن الحاج ابي على ـ تحقيق الشاطر بصيلى عبدالجليل
سلسلة تراثنا ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ مصر
مصر والسودان ـ د. محمد فؤاد شكرى ـ دار المعارف. القاهرة ١٩٦٣
ملامح من المجتمع السوداني ـ حسن نجيله. مكتبة الحياة بيروت ـ ١٩٦٤
منشورات المهدية ـ د. محمد أبو سليم. دار الثقافة بيروت ١٩٦٩
المهدى والمهدوية ـ أحمد امين دار المعارف مصر ١٩٥١
نفثات اليراع ـ محمد عبد الرحيم ، شركة الطبع والنشر الخرطوم ١٩٣٦

(ح) المجـــلات :

الفجر

النهضة السودانية.

الملاحق

(١)

شعراء العهد التركى

الشيخ يحي السلاوى

يمدح محمد سر الختم الميرغني

بليت وطرفى للمحاسن يقظان   وطرف الليالى عن ذوى المجد وسنان

عفى الدهر بعد الاكرمين وما عفى   كمالى ولكن للسعادة إبان ..

رعى الله دهرا كان بالحظ مسعدا   وسامر ليلى العامرية عمران

وللنفس مرعى فى التصابي ومرتع   بربع مريع للصبا فيه افنان

ليال تقضت بالاماني واننى   على العهد باق بالصبابة نشوان

صبرت على خطب سبرت الورى به   فلم يخف عن علمى من الناس انسان

شكوت زماني بالاسى وشكرته   وتهذيبه لى فى الحقيقة إحسان

وهبت له نفسا غدت مطمئنة   بحزم عظيم عنه يضعف ثهلان

على اننى لم انزعج فى صفائه   ولم اكترث يوما اذا هو غضبان

فسيان عندى احسن الدهر أم أسا   متى صح لى بالله عقل وايمان

وهل بعد تهذيبى على المجد اتقى   من الدهر اناسا ان دنا الناس او بانو

ولى جيش عزم ثابت متألف   عظيم له فى الخطب بالحرب آذان

قدير على خصم الخصوم مبارز   له عند وقع البؤس نور ونيران

وسهم رديني قويم مهفف   به عجر للحادثات واعكان

يروى به ظامى الوغى غير انه   لنهل الدما يوم الوغى هو ظمآن

وسيف يماني صقيل مرهف   يجرده للنصر مولاى عثمان

بمن يا رعاك الله ان لم يكن به   يغاث ضعيف او يدارك حيران

وللمجد ركن منه لا زال ثابتا   توطد منه بالولاية اركان

وللرفد وفد فى حماه معزز   ضيوف تواليها على الحظ ضيفان

وفخر تليد آنست منه نوره   رجال كرام فى الفضائل اخوان

فلله ذاك الغوث والفيصل الذى   على الدهر تاج من حلاه وعنوان

سليل رسول الله طه كفى به   فخارا وحسبى منه ما نال حسان

ومن ذا الذى يرجو شفاعة جده   اذا لم يكن فى الحب منه له شان

وحسبك غوثا فى الخطوب وناصرا ... اذا بان من صدم الشدائد خسران
جليل المزايا واسع الفضل والندى ... جليل المحيا فى الشدائد معوان
تقاصر عن جدواه معن وحاتم ... تقاعس عن دعواه قس وسحبان
امام همام واحد العصر لم يكن ... على فضله المأثور فى الدهر رجحان
تجلت له ذات العلى عن حقيقة ... بها نال فضلا قصرت عنه أقران ..
تبدت له منها علوم جليله ... جلتها كرامات لدينا وبرهان
وما شاهد عين اليقين بعينه ... كمن هو عن علم الحقيقة ذهلان
إلى شيخه ابن ادريس يعزى كماله ... وحسبك من أهل العزائم انسان
وفى جده المحجوب قل كيف ماتشاء ... وكافيك فى مدح القرابة فرقان
رجال كرام فى البرية عهدهم ... تحلت به الاقطار مصر وسودان
تأدب وسالم يا زمان فشيخنا ... غيور له فى الامر رشد وعرفان
مزاياه لا تحصى وآيات مجده ... حلاها على صدر الاكابر نيشان
بنوه الكرام الغر حازوا مقامه ... سواء بذلك الفضل شيب وشبان
بنوا فوق هام الفرقدين لذكره ... مكانا عليا لا يوازيه كيوان
فالله اصل فى العلى طاب فرعه ... تدانت الينا بالجنى من اغصان
افادوا صوابا واستفادوا اصبابه ... وصانوا غن الاغيار اعظم ماصانوا
ابانوا وبانوا فى السلوك طريقة ... على كل حزب عن طريقتهم بانوا
هم الصيد آل الميرغنى معدن الحلا ... اذا فاخر الاقران بالمجد وازدانوا
محبتهم فرض على كل مسلم ... مودتهم فى الله لله قربان
فكيف يخاف الضيم مثلى وحبهم ... غدا رأس مالى وهو بالله ربحان
ومن حسن الافعال لى حسن ذمة ... ومن هاشم عهدى نوال واحسان
ولى عزوة فى حبهم وعشيرة ... وأهل واخوان وصحب وخلان
ولا زال فى بيت السلاوى حبهم ... علينا به بين البرية تيجان
انخشى بورا أو نخاف كريهة ... ونحن لهم ابناء عهد واخوان
وهل نتقى فى حادث الدهر سطوة ... ونحن لسر الختم فى مصر جيران
الهى بهم فرج من الهم كربتى ... وحقق رجائى والرجا منك غفران

وصن «سرهم» واحفظ «خديجة» بنتهم عليهم سلام من علاك ورضوان
وصلى عليك الله يا خير من سعى لطيبته الغرا رجال وركبان

وقال ايضا يمدحه :ـ

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر
وفضلك الجم لا شيء يقاس به حتى تحاط بتعداد فينحصر
وطيب اصلك مشهود تؤكده شواهد الحال والاحوال تعتبر
ورشد عقلك يهدى كل مقتبس والكل منا بذاك الرشد مفتقر
ونور علمك لا تخفاه خافيه من الأمر وهذا مدرك عسر
وفرط مدحى عبارات مقصرة عن وصف حسنك تعيينى فاختصر
فغاية الأمر أن ادعوك محتشما يا حبر يا بحر يا ضرغام يا قمر
يعز اسمك ان يطريه سامعه لكن على نية التعظيم يغتفر
دم للندم يا بن سر الختم مبتهجا وقر عينا بذكر نشره عطر
لك العلا والحلا حالان لم يحلا فيهن للمدح اسواق ومتجر
فاظهر بما شئت وافخر غير مكترث فليس بعد النهى علا ومفتخر
ماذا اقول ومدحى فيك معجزة لا تستطاع وشأن شأوه خطر
أما أنا فأمرؤ اوليتنى مننا لا زلت فى شكرها اثنى واعتذر
والناس صنفان مدحور ومدخر وأنت زخر لريب الدهر مدخر
والمجد عقد نفيس أدن جوهره فى سلكه انتظمت اخوانك الغرر
أبو كم الغوث عثمان الكرامة من فى مدحه ترشد الايات والسور
عد جده الميرغنى المحجوب اورثكم فضل ابن ادريس ذاك السيد القمر
والشبل من ذلك الضرغام مكتسب وقل ما قل من فرع الحياة ثمر
لا زلت ركنا لنا فى ظلمة متع كالشمس تمتد منها الانجم الزهر
فاحفل بذكرك ان الله رافعه وألسن الخلق لا تبقى ولا تذر
واشكر على أن حباك الله مكرمة للناس فى سوحها حج ومعتمر
فللندى منك اسباب موفرة بها على شكرك الميمون يقتدر
والمخلص الشاكر الداعي لعزتكم يحى السلاوى لكم فى امره نظر

اثنى عليكم وان ابديت معذرة   فلا ملام ولا ريب ولا ضرر

خذها اميرى رعاك الله سالمه   من كل عيب عروسا زانها الخفر

زفت لعلياك والاجلال يقدمها   والعز والبشر والتكريم والظفر

سوى جنابك لم اختر لها احد   والناس غيرك لا ذكر ولا أثر

فاقبل ثنائى وخذا يا سيدى بيدى   فالامر يا عدتي صعب به خطر

ولا تكلنى إلى من ليس يسعفنى   وفى ارتكاني على من دونكم ضرر

هذا واستودع الرحمان جيرتكم   وذمة عندكم فى الحب تعتبر

دم للمحبين والانجال مسندا   يؤوى إلى ركنه ما دامت لك البشر

في ثورة احمد عرابي

شغل العدى بتشتت الاحزاب ... والله ناصرنا بسيف عـرابي
القطر فيه من الرجـال كفاءة ... للحادثات فهم أولو الالبـاب
وحمية الاسلام تقضى بالوفا ... حتما على كل أمـرى أواب
ومحبة الوطن العزيز تحثهـم ... والفتح أذن باتباع صـواب
والمشركون خواسر فى سعيهم ... هزموا وقد نكصوا على الاعقاب
هيا بنا يا أهل مصر إلى الرضا ... والفوز فى العقبى بغير حساب
أنتم أولو الهمم التى بسـهامها ... كم من عـدو آب شر ايـاب
أنتم ولاة المجد أرباب النهى ... والحر يظهر عند صدم مصاب
لا تشغلنكم الحيـاة فانهـا ... ذل لمن يرضى بهتك جنـاب
ولقد نرى اخواننا فى حـالة ... تحتاج للاعـوان والاصحاب
أعنى عساكرنا الكرام ومن أتوا ... متطوعـين لهم من الاعراب
والعاملين لهذه الخيرات مـن ... عمد البلاد وسائر الاجبـاب
حسب الاعانة فى الافاضل قدوة ... شمس المفاخر شيخنا الانبابي
فعل الجميل ولم يكن فى فعله ... هـذا بمفتخر ولا مربـاب
وجناب قاضى مصر سيف شريعة ... يسطو على كل امرىء متقـابي
ومحقق الفتوى محرر مذهـب ... النعمان بالايضـاح للطـلاب
والشيد البكرى تاج بقـابة ... الاشراف أهل المجد والانساب
والخيرة السادات بيت مناقب ... عقدت له العليا رفيع قبـاب
والهجرسى له سوابق همـة ... جمعت نظـام الفخر والآداب
أنعم بطائفـة التجار وقل لهم ... شكرت أياديكم كغيث سحاب
واذكر لتميم الكرام فـتى من ... الجيزا وذاك محمد بن عـراب
وافاضل بذلوا الاعانة غيرهم ... فى حضرهم نصب على الكتاب
وبمثلهم فى الناس تفتخر العلا ... والمجد يرفل فى رفيع ثيـاب

نعم البرنسات الكرام ومالهم … فى الدهر من شرف ومن آداب

جمعوا بتنظيماتهم شمل الورى … من بعد ما انحلت عرى النواب

هو من عملت مجاهد بمهند … ترك الرؤس مواسىء الاذناب

وسيوفهم مسلولة باكابر … فى المجد من علمائنا الاقطاب

يكفيك قدوتنا عليش وشيخنا … حسن الوفا العدوى خير مثاب

جبلان مرتفعان دونهما الورى … كالشمس من زحل بلا اطناب

شدا عراه وايداه وسددا … ما يتقى من كل فرجة باب

والشهم ابراهيم فوزى انه … فى ضبط مصر أصاب خير صواب

وعلى الروبي الرضا وسميه … يرضيك فهمى فى سديد جواب

يا ربنا عجل لدينك نصره … واجعل له الحسنى بخير مآب

وبال بيت محمد رد العدا … وارسل عليهم منك سوط عذاب

وبعبد غفار بدّر شمل العدا … وارحم برحمي معشرى وصحابي

وامدد عساكر باعظم قوة … يا عالما بالقانت الاواب

واشدد عراهم بالخليفة انه … متكفل بالنصر للاحزاب

ولنا به ثقة قوابل سعده … ترمى شياطين العدا بشهاب

هذا ونحن الخاضعون لحكمه … لا نرتضى بتعدد الارباب

يا ناصر السلطان دونك والعلا … فجنابها بك ثابت الاطناب

رد الطغاة وكيدهم فى نحرهم … بعظيم بأسك من اليم عقاب

جرد لهم سيف اليقين فانهم … خسروا وسيف الحق ليس يناب

واسلم ودم فى حظوة يحيا بها … يحى السلاوى منك بالترحاب

هذى مآثرك الجميلة زينت … رمضان بالترغيب والارهاب

لثمان عشر منه قد ارختها … بالله نصرتنا وسيف عرابى

السيد أحمد الازهرى

في ذكر والده

أدر ذكر اسماعيل بين المحافل … ولو هازلا واطرب به قلب غافل

ليعلم من ذكراه من نحو قلبه … طلاوة ما يبدو لأهل القوابل

وقل لزنيم كان يجهل أمره … أتاك أتاك الخزى اتيان وابل

فهلا علمت السم كان بلحمه … يفرق أجزاء تلى كل آكل

وغيرة رب العالمين لغاية … وايذانه بالحرب للمتجاهل

ألم تر أن الله ميز خلقه … بتأخير مفضول وتقديم فاضل

فقال رفعنا بعضكم فوق فاذكر … ترى رفع بعض فوق بعض المقابل

نعم درجات خصها الله بالذى … تقرب بالمفروض ثم النوافل

فلم تحضر الخيرات فيمن تقدموا … فرب أخير جاز بحر الاوائل

ولكن مزكوم الخلائق لم يجد … روائح عطر فاح بين المزابل

وأعشى الورى لم تبصر الشمس عينه … ولم يدر الاسقام طيب المآكل

فلو أنصف الكفار ما أنكروا على … الذين أتوا من ربهم بالرسائل

وما قبلوا بعض النبين فاعتدوا … وحادوا ولم يصغوا مقالا لقائل

فلا عجب من أن بعض أولى الشقى … يؤمون دفع الفضل عن كل كامل

ولا سيما من بعض أهل زماننا … شياطين أنس عصبوا كل خامل

ظواهرهم مصلوحة باحتيالهم … يراهم غبى القوم مثل الأماثل

ولكن ذئاب فى بواطنهم يرى … علاماتهم عن حالهم كل عاقل

أراهم اعابوا فى الخروج ونحوه … وفى بعض أقوال تجل لجاهل

ألم يعلموا أن الخروج ونحو ما … نعوه طريق القوم اهل الفضائل

عماهم عن القرآن محض شقائهم … وعما حكاه الله فى فعل فاعل

أما علموا أن التأسى مجمع … عليه ومن آداب اهل الفواصل

فلم تعرف الانصار الا بهجرة … ولم يظهر الدين القويم لنائل

وهجرة خير الخلق كانت لحكمة … وما فر موسى من عدو لباطل

نعم قوله صدق فرار أناله ... رسالة مولاه وأحكام مائل
ويونس لم يأبق إلى الفلك عابثا ... أتي نبذة بعد التقام لساحل
فكم من صحابي جلى بعد هجرة ... من البلد المكى من ثقل حامل
وكم من نبي أو ولى تجهزوا ... بأمر قضاء الله فيهم لقاتل
لانهم لم يعصموا من بلائه ... بدينا فما قد شاءه حكم عادل
وكم من ولى أخرجوه مغلغلا ... وكم خارج من كيد أخبث عاضل
وقد نص أهل الشرع من قول ربهم ... وأقوال من سادوا بهدى الخصائل
فما رغبة من أسوة قد تقدمت ... أكابر قوم قد رقوا بالوسائل
ووالدى اسماعيل غوث زمانه ... له اسوة فى خير أفضل عامل
ومن حضرة الرحمن والمصطفى أتي ... له الاذن حتى سار بين المحافل
وكان دليل الاذن صولته التى ... عليها ثوى فى أرض كفر أسافل
أطاعوه قهرا ثم بالقول أسلموا ... وكانوا الوفا ما اهتدوا لمقاتل
وكيف ولم يؤذن وان مقامه ... تقاصر عنه الان أيسل باسل
فما من تجل أو شهود وحضرة ... وديوان سر أو نكات جلائل
وصحو ومحو ثم سحق ومحقهم ... وجمع وفرق ثم حوز منازل
وكل فناء أو بقاء غير ما ... ذكرنا الا أنه باب داخل
فذا عصره لا ثم فيه معاصر ... فقم نحوه واترك هوى المتكاسل
ولا تعتبر أقوال غمز ومنكر ... على أولياء الله من غير طائل
يقوم بدفع الاذن ينفى صدوره ... من الله المختار فى أي نازل
ويزعم أن الاولياء كان فعلهم ... عن النفس لا بالاذن من غير فاصل
لذلك عندي سيف نصر موضح ... أجز به رأس الجهول المجادل
ولو كان ذو الانكار عالم عصره ... سأدرعه درعا بأوفى دلائل
ولست أبالى من تعنت بعضهم ... ولو كان قس منهم وابن وائل
فبحرى طويل حيث صرعت وزنه ... بثاني ضروب من فعول مفاعل
فها ابن اسماعيل أحمد مادحا ... ذخيرته فى كل ماض وقابل
يروم بها منه الرضاء لنفسه ... واخوته اهل الوفاق الكوامل

خليفته المكي فهو محمد … كذا مصطفى البكرى مع كل واصل
وكل محب جاء ينصر حزبه … من الاقرباء أو شتيت القبائل
وأنصاره من بادروا لوصاله … ومهدية من حاز قمع المحاول
وأصحابه أهل الشهود الذين لا … يرى مثلهم فى الارض من متطاول
فانهم عين الدليل بأنه … وينقذني من سوء خبث الرذائل
صلاتي وتسليمي على أشرف الورى … محمد من ولى اليوم أعظم كافل
وأصحابه والآل ما قال قائل … أدر ذكر اسماعيل بين المحافل

الشيخ الامين محمد الضرير . قال :

يمدح الخديوى

الود مأدبة والصـــدق اخوان ... والصادقون لدى الآداب اخوان
اشعارهم ذات اشعار بحـالهم ... فهي الشعار حظوا بالوصل أو بانوا
فالمرء مختبىء تحت اللســان وما ... غير الكلام له كشف وتبيــان
قلوبهم حاضرات حيث ما علموا ... وان تناءت ببعد الدار ابــدان
لكن علمهموا قد كان في دعة ... والناس في غفلة والدهر وسنان
خان الاخلاء حتى قال واصفهم ... ما للامين بهذا الدهر خــلان
يا ليت شعرى هل يبقى لنا زمن ... لا يستوى عاقل فيه وسـجان
فقلت قد لاح لى والله ذو كرم ... وجعفر الفيض بالخيرات ملآن
حسن التخلص من أهل الزمان بمن ... تضمنوا النفع كى يرتاد ظمآن
فيا أولى الجمع أهل العلم انكموا ... في نشر ما يرتضيه الله أخوان
ومصركم مصر والتوفيق حافظكم ... والمعتنى عارف والوقت ابان
أما حويتم بتوفيق العزيز حمى ... أبعد توفيق رب العـز خذلان
أليس عار فكم يبدى معارفكم ... كما يرى وله للنصح ديــوان
ألم توزع عليكم كلكم كتب ... في العلم نافعة بالطبع تزدان
ألم يكن جمعكم أرعى لصحتها ... الم تيسر على التدريج أثمــان
ألم يبح لكم فيها تنــاولكم ... اذ ليس يمنع مما رام انســـان
فحاصل القول ان العلم قد سهلت ... اسبابه اذ بدت للخير اعـوان
لذاك قلت رجاء نيـل وصلكم ... وما رجاء الامين الأهل حسبان
عسى الأحبة ان يرضوا مشاركتى ... فاننى باقتناء الكتب فرحـان
مع اننى آلف التأليف اذ صدرت ... عنى رسائل ميراث لها شـأن
وفى الزوايا خبايا لو وجدت لها ... دهرا لكان والله وجـدان
ما قلت ذلك الا من محبتهـم ... نشر العلوم كما أبداه اعـلان
فالله يحفظ هذا الجمع متبعـا ... توفيقه وله عـز وسلطـان

في ظل والده الممدود في عمر ... له مع الطول بالخيرات عمران
يدى الافاضل للقوم الأفاضل لا ... يثنيه عما يريد الشهم شنآن
حتى يرى دهرنا فوق الدهور علا ... وأهله فوق أهليها الاولى بانوا
حتى تقول على عكس الذى زعموا ... من ساءه زمن سرته أزمــــان
فالعسر يغلبه يسر ان اوضح ذا ... ما فى الحديث وما أخفاه قرآن
من معشر ما زهت مصر بمثلهم ... من الملوك وللتحقيق برهــان
بحور فضل بلامنّ ولا عــلل ... نعم لهم عمل بالحسن مزدان
فالجد جد عليا فى محامــــده ... وسيفه الشهم ابراهيم معــوان
لما غدا رافعا اعــلام نصرته ... مع نصبها انخفضت بالفتح بلدان
فصــار يكسر بالتقويم شوكتها ... فلم يعد اهلها للحرب بل دانوا
هذا وجودهما مستعبد بشــرا ... اذ طالما استعبد الانسان احسان
وصاحب الوقت اسماعيل زاد على ... ما كان اضعافه والدهر جذلان
مخائل الخير فى توفيقه ظهرت ... اكرم بشهم له التوفيق عنــوان
عين الفضائل لا تحصى فواضله ... لأنه فاضل الأعيان محســان
صان المواطن توفيق العزيز كما ... حمى أولى العلم مهما كان أو كانوا
لذاك حسن ختام القول أرخه ... صون المواطن توفيق و عرفان

الاستاذ محمد أحمد هاشم

يمدح الخديوى

اليمن اقبل بالاحسان طائره ... والكون نار وقد زادت بشائره

والبشر بدى سروراً من عجائبه ... لما بدا طالع الاسعاد نائره

والكون قد رقصت فيه محاسنه ... والغصن اعلن بالتغريد طائره

لما اتى مهبط الخيرات فى رجب ... فى عاشر الشهر قد لاحت مفاخره

« محمد » من بتوفيق الاله سما ... فوافق الاسم معنى طاب ذاكره

بمولد منه كل الكون فى طرب ... لا سيما مصر تعلوها أوامره

قد ضاء سوداننا من حسن رأفته ... وصب فى بربر منها جواهره

والسعد خادمه فى كل آونة ... لم لا وذا منبع الاحسان ماطره

ذاك المليك الذى أنوا سلعته ... عمت جميع الورى منه ستائره

كل الممالك أمت باب سدته ... لنيلها فضل من تسطو بواتره

حيث المفاخر مضروب سرادقها ... والنور يلمع فى الاكوان زاهره

مليك حسن واحسان وأبهة ... جلالة المجد سامتها عساكره

تمدنت مصر من آداب سيرته ... وسامر الفخر من كانت تسامره

نامت رعاياه فى ظل الأمان كما ... سارت مزاياه نعم الفضل ناشره

هذا الخديوى الذى سحت فضائله ... على الرعية مذ فاضت بواكره

موفق لامور الخير مجتهد ... فى راحة الخلق حتى قام ناصره

تبارك الله من بالفضل كمله ... ونال ما كان فى الألباب ضامره

سامت به مصر أفلاك السماء علا ... لم لا وفيها ملا الامر ظاهره

تباشرت بربر فى يوم مجمعها ... بمولد فيه نال الخير ناشره

أعاده الله فى كل العصور لنا ... مذكرا للمليك عز شاعره

أبيات شعر بدت فيه على عجل ... من نجل هاشم من طابت عناصره

مقامه بربر فيها بمدرسة ... فانظر له نظرة تعلو شعائره

ماانشدت يا مليك الفخر فى ملأ ... اليمن اقبل بالاحسان طائره

الاستاذ أحمد مدني

يرثي أحد السادة الادارسة

مالى أرى رونق البلدان قد ذهبا — والنور أضحى عن الأكوان منسلبا
والناس مشغولة الافكار حايرة — يا صاح ماذا بهم هل تعرف السببا؟
نعم مصيبة أستاذ بنا نزلـــت — فأشعلت فى القلوب الحر واللهبا
وصارت العين بعد النوم ساهرة — تبكى بدمع يفوق البحر والسحبا
على الوسيلة عبد العال عمدتنا — من قام لله بالاخـــلاص محتسبا
حاوى الفخار ومن بالجود منفرد — وفى العلوم كبحر موجه اضطربا
يسر عقلك أن وافيت مجلسه — يوما وينسيك حسانا اذا خطبا
له الولاية قد جاءت مسلسلة — من الاكابر فاسمع واطرح الريبا
لان أحمدنا بن ادريس والده — للنبى والزهرا قد انتسبا
ما جاء مستمنح الأحوى كرما — ومنه ولا سالك الا رقى رتبا
يا طالب الخير عرج نحو تربته — واظهر خضوعا وراع الذل والادبا
يفز بنيل مرامات ابيت لها — كذا هبات تزيل الهم والنصبا
يا سيدى احمد يرجو مراحمكم — اذ عم كل العجم والعربا
اهدى جنابكم مقدار طاقته — نظما قليلا وللتاريخ قد حسبا
بالهاء والصاد ثم الراء بعدهما — والغين بالنقط عام الموت قد كتبا

*

محمد شريف قال في

هجاء المهدى وانكار دعوته

لقد جاءني في عام «زع» لموضع — على جبل السلطان في شاطىء البحر
يروم الصراط المستقيم على يدى — فبايعته عهدا على النهى والأمر
فقام على نهج الهداية مخلصا — وقد لازم الاذكار في السر والجهر
وأفرغ في نهج المحامد جهده — فرقيته جهلا بعاقبة الامر
أقام لدينا خادما كل خدمة — تعز، على اهل التواضع في السير
كطحن وعوس واحتطاب غيره — ويعطى عطاء من لا يخاف من الفقر
وكم صام كم صلى وكم قام كم تلا — من الله لا زالت مدامعه تجرى
وكم بضوء الليل كبر للضحى — وكم ختم القرآن في سنة الوتر
لذلك سقى من منهم القوم شربة — بها كان محبوبا لدى الناس في البر
وكان لدينا عيشه صدقاتنا — وخادمنا عشرين عاما من العمر
إلى الخمس والتسعين أدركه القضا — على ما مضى في سابق العلم بالشر
بصحبة شيطان من الجن ايس — وشيطان انس وافقاه على الضر
ولا تنس داعي الاحتياج فثالث — وكم ساقط في الشر من ألم الفقر
فقال أنا المهدى فقلت له استقم — فهذا مقام في الطريق لمن يدرى
وخادعني بالقول كالمهد ابنكم — ومحسوبكم في الحب في عالم الذر
فقم بي لنصر الدين نقتل من عصا — فأنت لك الكرسي ولي دول الغير
فقلت له دع ما نويت فانه — وتالله شر قد يجر إلى الخسر
وقال له الشيطان بشّر ولا تخف — فانك منصور على البر والبحر
وقد فهم القولين فهم أولى النهى — ومال إلى حب الرياسة والجبر
فقال أنا كالماء في الطبع بارد — واما يسخن كان كالنار في الحر
وان يستخفوا بي وان يقتلوني — فقبلي عليّ والحسين ولي أمري
ومن ذلك النادى أبي وابيته — وأفتيت فيه بالضلال والكفر

واني أذنت الجيش ان يضربوه ان ... أتاهم بما يهــواه من واضح النكر

وقد جــاء للعلّــوب فى سفهائه ... وقد رده الاتبــاع بالجبر والقهر

وكان من الاسرى لديهــم نياقه ... وراياته والجيش قد صار فى البحر

وكنت نصحت القمقــام بجبســه ... فما جاءني من غير داع صاحب الحضر

عمر الازهرى قال فى :

مـــدح النبى

تألق البرق من نجـــد فاشجاني قرب البعاد وهاج اليوم اشجـاني
والضحك منه التوى فى البرق تعرفه العشاق لم يختلف فى ذاك اثنـان
فان اشار بطرف العين هم حملوا او البنان فقـد بانوا عن البـان
هاجوا وماجوا كأن قامت قيامتهم يا برق مالك قد فرغـت خلانى
ظلت قبابهم بالرقمتين لـــدى حى الهواجـر فى أفياء أفنـان
وبعد ذا قيل امروا الجزع ثم ولا علم ولا علم عن حيهـم ثانى
فصرت أحير من ضب واذهل من صب عدمت الذى فى الحب يلحاني
ياليت شعرى مذ شطت ديارهم والدهر اقصـاهم عنى وأقصاني
هل قوضوا بعدنا يوما قبابهـم ام طنبوها باشـكال وألـوان
تنكـر العلم المعلوم بعـدهم فى الشعب من بعدهم قد قيل شعبان
وقفت بالغور لا داع هنـاك ولا مجيب الا صدى صوتي قلبـاني
مستفتيا جئت فتيانا فتنت بهـم فما فتى فات بي عنهن افتـاني
وطفت نجـدا فلما ان عدمتهم استرجعت جهدى واستنجدت اجفاني
وحسن ظنى بسكان العذيب فمذ وردت ماء العذيب العذب أظماني
وكم اطلت وقوفي بالهضاب وكم سفحت بالسفح عنهم دمعى القاني
وكم بحزوى وسلع والعقيق وبالجر عـاء والمنحنى اوقفت قعـداني
فما حصلت على صاب ولا عمل حتى سرت نحو خير الخلق ركباني
محمد صفوة البارى و خيرته المختار من أرسـله للانس والجـان

ثم اختتم الشاعر قصيدته هذه بقوله :ـ

وبعد ما قد أتي التنزيل ممتـدحا غدا القصور قصارى كل انسان
الازهرى بن عبد الله ذا عمـر الصـاردى فعامله باحسان
بالحمل من كل ذنب جاء متصفا يرجو نتيجـة عفو شكلها ثانى

فاشفع له فى غدا يا ابن العواتك واستغفر له فهو عبد مسرف جاني
واشمل بفضلك أهلى والبنين مع الزوجات ثم ذوى سقرني واخواني
اذ انت أكرم من ترجى شفاعته يوم القيامة من أثم وعدوان
صلى عليك الهى يا ابن مدركة والآل والصحب ماكر الجديدان
يارب واختم بخير فى الممات لنا والمسلمين كذا واختم بايمان

ومن مدائحه فى النبى صلى الله عليه وسلم :

باد هواه وزائد خفقانه صب تفرق بالنوى اخدانه
فجرت بوادر مقلتيه لما جرى حمرا وحن إلى الوصال جنانه
لم يدر قبل البين ان فؤاده رهن لهن وطيفهن رهانه
عجبا لربع بالنوى لعبت به ايدى النوى فتفرقت سكانه
نادوا الرحيل وقوضوا لخيامهم والصبح قد صدع الدجى سرحانه

إلى ان قال :—

حسب الفتى من كل ما قد جنا دهره بالمصطفى ايمانه
بحر الصفا ذاك المصفى من مصا ص شيبة الحمد غدا جثمانه
المنتقى المبعوث من خير الورى للخلق طرا انسه او جانه
من معجز المختار يا قوم اسمعوا نزرا يسيرا حاكه حسانه
لولاه ماكان الوجود ولم يكن ملك ولا ملك ولا أعوانه
حتى ولم يك آدم كلا ولا شيث ولا نوح ولا طوفانه
ونجا الخليل بجاهه من نار نمرود لعمرى اذ جفا خلانه
ونجا نجى الطور موسى باسمه حتما فما فرعون فى هامانه
ودعا به من نومه ذا النون فى ظلم البحار فكان منه أمانه
وبه دعا من كيد ضرمه ايوب يوما فانجلت احزانه

ثم اختتمها قائلا :—

يا سيد الثقلين يا مجلى العدا يا عين هذا الكون بل انسانه
الازهرى الصاردى عمر الذى زانت بمدحك فى الورى أوزانه

يرجو النجاة بفضل جاه محمد مما جناه قلبه ولسانه
واذا وعى لكتابه يلقى غدا معه كتابا منك فيه أمانه
وبذى الدنية يرتجيك لعله طالت عليه دهت لها أركانه
ويفيض فضلك عم من يعينه من اهل واصحاب كذا اخوانه
صلى عليك الله يا نور الهدى والآل ما برق أضاء لمعانه
وعلى الصحابة من اذا دعيت نزا ل بيوم معركة فهم شجعانه
والتابعين وتابعيهم كلما قد سح قطرا واني ابانه
واختم بخير ربنا لعمومنا واغفر لنا مايرتجى غفرانه

ولهذا الشيخ الشاعر قصيدة نشرتها مجلة « الجوائب » المصرية لانها نالت جائزة تلك المجلة ، يقول فيها :—

سلوا عن فؤادى مسبلات الذوائب فقد ضاع من بين القلوب الذوائب
فلاسلمت نفسى من الحب قد خلت ولا كان جفن دمعه غير ساكب
سبى مهجتى لدن المعاطف أهيف له لفتات دونها كل غارب
ولا عيب فيه غير ان جفونه بنتها على كسر جميع المذاهب
وكم اتقى كسر الجفون لانها اعدت لتفويق السهام الصوائب
اذا ضل على فى ظلام شعوره هداني محيا منه مصباح راهب
رقيق رحيق خصره ورضابه رماني بسهم من قسى الحواجب
تجر فؤادى سين طرته وما سمعنا بجر السين يعزى لذاهب
فلا تحسبوا اني تصنعت فى الهوى فوجدى قديم لم يزل غير كاذب

. . . .

وحبى له لم يخف فى الكون أمره كحب العلا مصباح أفق الجوائب
هو الماجد المفضال احمد من دعا بفارس ميدان الوغى فى الكتائب
له الله من مولى تفرد فى الورى باوصاف مجد لا تعد لحاسب
سجيته نصح العباد لامرهم وهمته اضحت بهام الكواكب
فتى كلما اجرى يراعا بنانه لتحرير الفاظ اصطلاح التخاطب
ترى الدر يزهو من سموط سطوره على صفحات الحسن من دون حاجب

. . . .

فيا سيدا قد طاب فى الناس سيرة كما انه من نسل قوم أطايـــب
بفضلك فاقبل بنت فكر تزينــت بمدحاك لا مما حوت من عجائب
ودم سالما فى بسط عيش مــؤيدا بأمن وحفظ من جميع النوائـــب
ولازلت اصلا للجميل ومحـتدا حميد المساعى فى الورى والعواقب

(٢)

شعراء المهدية

محمد عمر البنا

الحرب صبر واللقاء ثبات ... والموت فى شأن الاله حياة
الجبن عار والشجاعة هيبة ... للمرء ما اقترنت بها العزمات
والصبر عند اليأس مكرمة ... ومقدام الرجال تهابه الوقعات
والاقتحام إلى العدو مزية ... لا يستطاع لنيلها غايات
والعمر فى الدنيا له أجل متى ... يقضى فليس تزيده خشيات
فعلام خوف المرء ان غشى الوغى ... نفس الكريم وحانت الاوقات
والفخر كل الفخر بين النفس لله ... العلى وأجرها الجنات
ان الجهاد فضيلة مرضية ... شهدت بمحكم اجرها الآيات
قد حاز هذا الافتخار جميعه ... صحب الامام السادة القادات
قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم ... شم الجبال وللضعيف حماة
ولباسهم زرد الحديد وبأسهم ... شهدت به يوم اللقا الغارات
وخلوفهم صدأ الدروع لحزمهم ... قتل الاعادى عندهم عادات
فى السلم تلقاهم ركوعا سجدا ... اثر السجود عليهم وسمات
وتخالهم يوم الجلاد ضراغما ... اسد واسل رماحهم غابات
ركبوا الجياد وغادروا شلو العدى ... رزق النسور ولحمهم اقوات
والخيل ترقص بالكماة كأنها ... تختال فى ميدانها فتيات
فأثرن نقع الموت فى عرصاتهم ... وأغرن صبحا اذ علت اصوات
وذباب اسياف المنية فوقها ... رعفت دما وجلاؤها الهامات
والأرض سالت بالدماء وما بها ... غير الجماجم والشعور نبات
ظنوا جبالهم المنيعة تقية ... وتوهموا ان الصعود نجاة
ذهلوا اصحاب الامام ومادروا ... ان الشوامخ عندهم صخرات
عميت بصائرهم وتلك مصيبة ... نزلت بهم عقولهم اشتات
يا أيها الانصار ان صنيعكم ... شكر الاله له وتلك هبات

أعليتم دين الاله وما بكم — الا الثبات تزينه الوثبات
وشرحتم صدر الرسول محمد — بالفتح وانكشفت بكم ظلمات
ورهبتم العلج الكفور بسيفكم — والدين تصلح شأنه الرهبات
وسقيتم الأعداء كأس منية — عبراتها ما مثلها عبرات
فصعودكم متن الجبال دلالة — اذ لا يحط لقدركم درجات
فالفخر فخركم وفخر سواكم — محض ادعاء ماله اثبات
انتم جهابذة كرام مالكم — فى الصدق من سبة ولا شبهات
واذا العناية قارنت عزم الفتى — نجحت مساعيه وهان ممات
خالى متى انتم قعود تنظرون — لوعودهم وهم للجميع خزاة
السيف أصدق ناصح فى حقهم — والفتك فيهم حسنته اساة
قوموا لهم وتأهبوا للقائهم — ولتقصدنهم فى الديار امات
اجلوهم من دورهم فلأنهم — كتب الجلاء لهم وحق شتات
فخذوهم قهرا وسوموهم أذى — فلكيدهم لا تنفع الحسنات
هانت جبالهم ولان شديدهم — وتحيرت ألبابهم والذات
فتحت لكم فتحا مبينا واضحا — سرت به الارضون والسموات
يا سيدا وسع الانام بجمله — واستطرتهم بالهدى بركات
فانهض إلى الخرطوم ان بسوحه — اهل الغواية والمفاسد باتوا
بطروا راءوا ثم صدوا معشرا — فى الله لم تعرف لهم رغبات
وتكبروا وعتوا عتوا فائقا — والله اكبر والسيوف هداة
نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم — عن دينهم شغلتهم الشهوات
الله اكبر لن يدوم صنيعهم — هذا وانتم للانام رعاة
خذ جيشك المنصور لاتحفل بهم — ولتقدمن امامه الرايات
فتسوروا لهم الخنادق وافعلوا — فعل الصحابة اذ اتت غزوات
فتحوا حصون الخير بين التى — زعموا بان حروبهم هلكات
صدقوا فان الحرب اسقى مرحبا — موتا وما علمت لهم سطوات
فتكا وضربا بالسيوف وطعنة — ذاقت مرارة طعمها اللبات
ونكاية الاعداء احلى من عناق — خريدة لعبت بها نشوات

قوم اذا ما السيف فارق رأسهم ... فجروا ولم تصلح لهم حالات

جدوا ولا تهنوا ولا تبغوا على ... الدين القويم وهؤلاء بغاة

فرشادكم عين الحقيقة واضح ... ورشاد اهل البغى تمويهات

قووا عزائمكم وكونوا واثقين ... بربكم قد امكنت فرصات

وليهن بالحبر الجزيل شهيدكم ... فلقد تسابق روحه الرحمات

والحور تنتظر اللقاء فرحا بهم ... وتزينت لقدومهم جنات

رضى الاله عليهم من فضله ... وتعرضوا فاتتهم النفحات

الفاظ شعرى شرفت بمديحكم ... وتعمرت بثناكم الابيات

قد قلتها وانا الفقير محمد ... ارجو الاقالة ان بدت عثرات

ان لم اكن سلمان بيتكم الذى ... سترت خطاه بحبكم سكرات

دمتم ودام ثناؤكم متابعا ... ما هب ريح النصر والنسمات

وقد مدح الشيخ البنا عثمان دقنه بقوله :

ما بال طرفى للدموع سكوب ... شوقا وقلبى للملاح طروب

ولقد فتنت وما ظفرت وربما ... فتن المشوق وفاته المطلوب

انا فى هوّ الغيد الحسان معذب ... وسواى ينعم باله ويطيب

متواصل الاحزان ألجأ للبكا ... سهر الجفون كأننى يعقوب

متعفف عن فعل كل دنيئة ... ما رابنى فى عشقهن مريب

ماضرني ان لو حثثت العيس في ... اثر الحمول وان علا التأنيب

وزجرت للبكرات دامية الخطا ... قد مسها نحو الحبيب لغوب

أو جفتها فسيرا فصارت ضمرا ... كهلال شك ينجلى ويغيب

فسألتنى اين المسير ومن تريد ... وانت تذرف دمعك المسكوب

فاجبتها عنى اليك فيممى ... حيث الزهادة والتقى المرغوب

فعساك تلقى نفحة من سر من ... زهدوا الدنا فاتاهم التقريب

عثمان دقنه من رقى اوج العلا ... بفخاره والطاهر المجذوب

ومحمدابن الطاهر المجذوب خل ... نجابة وابن النجيب نجيب

وحماة ذاك الثغر أجمعهم فهم ... شم الثوابت ان الم خطوب

ما شوقهم دوما لطعنة فارس … الا كشوق العاشقين يصيب

والدين اصبح ضاحكا فى ثغرهم … والشرك حل بربعه التخريب

فلأم اهل الشرك حزن دائم … ولا سهم منح السرور نصيب

بعثت لهم همم الجهاد ملابس … النصر العزيز يمده التصويب

وامدهم جيش الملائك ناشرا … رايات نصر للبلاد تجوب

فسيوفهم مسلولة ورماحهم … مسنونة وعدوهم مرهوب

فعدوّهم دوما يغص بريقه … والرعب منهم للفلول يذيب

ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا … او غولبوا فعدوهم مغلوب

او حربوا فالرعب من اعوانهم … دوما وعقل عداتهم مسلوب

واميرهم عثمان اهلك ملة … عدم النصير صريخها المكروب

ان صال فالفرسان تحجم دونه … فرق الهلاك وللسنان لعوب

او جال فى الميدان تحسب لنه … اسد تفرس والرجال تثوب

او جرد السيف المهند مؤمنا … لاولى القساوة فالرؤوس تجيب

فالحلم فيه سجية مغروسة … أما لدى حرم الاله غضوب

فطالما عين الشريعة اسهرت … ذلا وذرف دمعها المصبوب

فانامها عثمان وانكشفت به … اهوال حرب للصغير تشيب

وافاد ثغر سواكن امنا وايمانا … ويمنا وليس فيه عزوب

وكفاه فخرا ان من اعوانه … ذاك الذى هو للقلوب طبيب

يتفجر العرفان من اسراره … للرائدين ومنه اليه يؤوب

صدقت عزائمه واخلص نية … فى الله ثم مرادها المحبوب

قد سالمته يد النوائب فانثنت … جذلانة بوادره وتطيب

وغدت تناضل دونه اعداءه … قد كشرت منها لهن نيوب

لا شك ان الله اكرم ذا الفتى … واقامه للدين نعم رقيب

فاد فى حفظ الشريعة بل ابى … ونفوس قوم حظهن لهيب

ما ضر عثمان الهزبر اخا التقى … من بعد ما افسداه قط عصيب

فالسعد يخدم جيشه بشهادة … من نالها ابتسمت اليه عروب

فجزاه رب العرش عنا خير ما يجزاه في يوم النشور منيب
وتزاحمت من ربه الجنابه خيراته وتتابع التحبيب
عثمان هذى حلية الفكر التى لودادكم ادني جناها اديب
وبعشر معشار الذى اوتيته فخرت وعبق من ثناياك طيب
جاءت تجبر عن غرام محمد فيكم وتشهد ان ذاك عجيب
وبمبتدى المدح الذى قد حزته كملت وزين بمدحك التشبيب
وبطول احسان غرست وسؤدد قد طال غصن للكمال رطيب

وقد بدأ هذا الشاعر قصيدة مدح بها الأمير الزاكي بأبيات الغزل الآتية :ـ

أبدا يؤرقنى عبير شذاك ويزيدني قلقا دوام جفاك
ويردني من حالة العقلا إلى حال الخيال تذللى واباك
ويزيدني طربا وحسن مسرة برق تألق من ضياء سناك
يا ربة الحسن الذى فتن الورى اكذا يكون جزاء من يهواك
عذبتنى بالصد والهجران ما ذنبى سوى اني اروم لقاك
كفى فقد نزل السلو بخاطرى عنى اليك فقد تركت هراك
وظللت اروى من احاديث الندى عن معدن الكرم العريق الزاكى

كما بدأ قصيدة أخرى بقوله :ـ

دعوني اجتنى ثمر الرقاد وخلوني اميل إلى الوساد
الا يا حادى عيسهم رويدا سلمت من الملمات العوادى
ويا دار الاحبة خبريني سقتك هرامع السحب الغوادى
متى رحلوا واين ثووا وقاموا على هجرى ام اقترحوا ودادى
وليل بت فيه سمير انس قرير العين مشروح الفؤاد
كأن ضياء انجمه علينا ايادى الشهم عثمان الجواد

برح الخفا ما الحق فيه خفاء ... وتوالت الآيات والانباء

فالامر جد والقلوب مريضة ... والداء داء والدواء دواء

والحادثات مصاعق بمنابر ... بعظاتها تتواضع الاشياء

والحق اظهر ان يرى بشواهد ... لم لا وقد قامت به الاسماء

والشمس في أوج العلا من مغرب ... بهرت عليها هيبة وبهاء

والبدر قابلها فتم كماله ... وتقلدت بعقودها الجوزاء

وداري أفلاك العلا دارت على ... اقطابها فزهت بها العلياء

وتكاملت في كل مجد ابجد ... لما استقام زمانها الاشياء

ما ان ترى الا جميلا زاهرا ... بهرته في حلل البها زهراء

وسقته من خمر الهوى بعيونها ... ولمى ثغور شفاهها لمياء

بالآية الكبرى التي بظهورها ... كمل الرضا وانجابت الاسواء

مهدي رب العرش منتظر الورى ... وإلى الولي والاكرمون وراء

السابق ابن السابقين إلى الهدى ... من معشر نتجت بهم زهراء

ولهم تبلج كل غصن مثمر ... بحلاه تزهو روضة خضراء

تسقى بعذب رائق من ابحر ... من فيضها ملأ البحور الماء

وهمى وجاد على الانام بما ترى ... من غيثه الهامي عميم سماء

بشرى لنا بظهور مهدي الورى ... آية ونعمى بعدها نعماء

جمعت حذ افير الولاء للنا به ... وعلى الجميع من الامام خباء

رفعته منه يد بقدرة قادر ... فوق المباني ما علاه بناء

بمكانه الامن المؤيد وقته ... والارض ارض والسماء سماء

انعم بأمر كان من جد القضا ... جار وقد حكمت به الاسماء

وله الاشارة من الست بركبهم ... طوعا له وليسمع العلماء

ما حالهم ما بالهم لم يسمعوا ... نفسي لهم مما يشين فداء

من يحفظ التنزيل من يدرى الذى   فيه ومن لم يدر ذاك سواء
من يحفظ الاخبار على اهل النبى   وتعين ذلك فطنة وذكاء
ويرد اشكال الامور لشكلها   ولها عليه من الثناء سناء
ويرى للقبيح بداية ونهاية   ويروم احسن ما الاله يشاء
مثل الذى فى بحر ليل جهله   داج وأشرق ما يراه مساء
لا والذى خلق النوى وهدى الورى   وله وراء مماتهم احياء

. . . .

مهدى امة احمد بي لم تذر   خلا يدوم له لدى اخاء
فتنكرت من ذاك كل مقاصدى   فاذا الجميع سوى علاك هباء
مالى سواك وليس بعدى من جفا   لكن بذاك جرى على قضاء
وأنا المصغر بين ظهرانيهم   حسبي التصاغر انهم اكفاء
لم تعرف الايام قبلك منزلى   ولذلك لم يرفع على لواء
واستعملتنى اليوم فى عاداتها   فاطعتهن ولى اليك رجاء
اجملت فيما لا ارى اجماله   حقا ولكن للامور مضاء
ومواضع التفصيل دوني شأوها   لعبت بها من دوني الاهواء
فلسان حالى الكنته فهاهتى   بعضال داء ما لديه دواء

. . . .

وامانة الجم الغفير مهاجرا   وله بماء سمائك الاحياء
نتناوله من اللئام واعطه   صنف الكرام فاهله العلماء
واشرط عليهم ما اردت من الهدى   يعطوا العهود لانهم امناء
رسم ترقرق بالسنا فله الهنا   اذ ناله بعد الفناء بقاء
وكسته أثواب الرضا مهدية   تتلو المضرة اختها السراء
فغدا بها يختال فى حال البها   ولكل شيء شدة ورخاء
كم ارتعى من روض دانية الجنا   ثمر الرضا تدينه لى وجناء
طرحتها تحف الكلام فنوعت   تحف الملام وهاجها ادلاء
واذا نسيمات الصبا دعت الصبا   لوصالها تتصل الاعضاء

ترتاع ان هتفت بها من كسوة سحرا لتجديد السلام رخاء
عاش ابن سينا جهده اوصافها بشفائه فاذا هى العنقاء
دقت ورنت وارتقت فى سكره بلمى شفاء دونه الصهباء
كيف التواصل والقوى نهت السرى اذ مسها من ضعفها الاعياء
فتنزلت حاجاتها فى سوح من بحمولهم تتنزل الضعفاء
وتركتها وكفى لقائى مرة اذ لا يدوم مع الزمان لقاء
تلك التى جهد الزمان لوصلها وله بذلك غدوة ومساء
حتى بالطاف المهيمن مكنت اعراضه منها يد بيضاء
فغدا بها متصرفا فى اهله يعطى ويمنع من يرى ويشاء
ودعا بها لله دعوة قاهر سمعت بعز مكانها العظماء
فاجابه اهل النهى فى طاعة سفكت بها قبلى اللقاء دماء
وديار من نادى الهدى منقضة وسقوفها بين السقوف هواء
حاكت بها يسرى الشمال عجائبا شملا تفتقه يد عسراء
فى ثانى ايام الدنية عطلت بيض المها وجواهر ونساء
فى تاسع من رابع فى الثان من بعد الكثين وللامور مضاء

. . . .

ما النار شأن النار اعجب ما أرى تجرى بهم وجسومهم سوداء
عنها استفد خيرا وكن متبصرا فى امرها وليعمل منك بكاء
عبر تجل عن القلوب ذوى الذكا اية وتكسف بينهن ذكاء
اتظن تلك كرامة مأنوسة لا والذى خبلت به الاراء
وهدى لدين محمد من يهتدى وبه تخصص فى الهدى الخلفاء
هم والذى برأ الورى هم لاسوى كل النفوس لهم سواى فداء
وفدى النفوس انا فاني دونهم بي والذى برأ الورى أدواء
هم كالنجوم هدى وفى الجدوى بلى العدى ما بعدهم اظماء
ماذا الذى تقتاس من افعالهم فقياسهم بسواهم اغواء
ما دونهم مرمى مريد صادق هل بعد عرش الاسواء بناء

فسوى خلائف احمد مهدى الورى ... كل الانام من الخيور فضاء
الا الذين غدوا على آثارهم ... اهل الولاية والصفاء الامراء
ذاك الرفيق الزمه واترك غيره ... ربط الجياد لغير ذاك نواء
واعصم سقاءك بالوكاء من الظما ... ما فى القضاء امام قصدك ماء
واصحب خبيرك فى الثرى خوف ... بين المنا وخطا الخطا بهماء
واحلل اسيرك ها هنا ان تستطع ... ما فى القيامة للاسير فداء
خفض عليه فللخطوب ترسل ... طورا وطورا شدة ورخاء
وعلى النبى وآله صلى الذى ... وصل الصلاة فطالها العظماء
وكذلك سلم ذو العلا ما انشدت ... برح الخفا ما الحق فيه خفاء

وقد رفع هذا الشاعر قصيدة ثانية للمهدى قال فيها :ـ

الامر جد والخطوب جداد ... وجند مهدى الورى امجاد
نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر ... فبدت لهم من حاجر ازواد
مهج تقعقع فى شتات جسومها ... فكأنها بنشيد أعواد
قضب يحرك معهد اوتارها ... يزهى بها الانشاء والانشاد
دقت ورنقها الصغار وعادها ... بعد الرقاد من الخطوب سهاد
وكأنها يوم الوغى فى كرها ... بخطوبه تخطو به الاساد
وعيونها مغموضة بعيونها ... والحق ابلج والورى اشهاد
نادى بها ذو الصور يطغى نورها ... فرنت له الارواح والاجساد
بين الرقاق البيض والسمر القنا ... بحلومها تتراقص العباد
طربا يفوق على الشمول لمامة ... لم لا وكيف وفى العيون سماد
ومحاسن العلياء بين مطارف ... خضر بها جمع الجمال جواد
ما بعد طيف خيال ظل خيالها ... يوما ويوما يراد سهاد
حرب بمحراب الهدى من يأسه ... بشتاتها تتزلزل الاطواد
لم لا واملاك السموات العلا ... فى جيش مهدى الورى اجناد
والجن والانس الذين عهدتهم ... سوى الذين وماهم اعداد
فاخبر بنفسك خل اخبار الورى ... والزاد خل ولا يعقك بعاد

واحذر تقوّل ذى اعتداء جائر كذب أتى منه له وعناد
اقضى المقالة فيه حق كله انقى نقى ما عليه سواد
للحق جائر وللمناكر قاتل وعلى الفعال من المقال مزاد
يكفى الذى مليته فى حق من فى جنبه يستصغر الانشاد
وعلى النبى محمد خير الورى جمل الصلاة كذا السلام يزاد
ولآله والقائم المهدى ما فتحت بأسياف الرشاد بلاد
وسمت له رتب الولاة على السما وعلا له فى الخافقين عماد

ورفع قصيدة ثالثة للمهدى قال فيها :—

أهاجك وصل بالاباطح يلمع لها فيه ما شاء السراب الململع
أم للبرق فى شعار العقيق لعلع فهاجك يا هذا العقيق ولعلع
ام الواقع المبتول بين اجادع عليه بها طير المنية وقع
دعاك ومل النفس لولاك من ولا به هو فى البيداء واه مولع
فسامرته والليل يلهو بنفسه وكل بكل ذى عموم موجع
واسنى صلاة حان وقت اداءها وتكبيرها كالعبد فيها مسبع
وطلعة شمس من سنى الغيب عزز باشراق بدر الكواكب شرع
بها انبهرت شمس السنا من سنائها حياء فوالاها لثام وبرقع
عاد الهدى اس الجدى معدم العدا بدا واليه الناس فى الارض نجع
ملاك اساطين الخلافة كفوها المعد لها الحصن الحصين الممنع
امام المهدى الهادى لكل مرشد بهامته التاج النفيس المرصع
به اخبرت من قبل وقت ظهوره صحاح رواها هبرزى موضع
به انفجرت من قدح زند خواطرى سعير الهوى فى القلب والجند تبع
فاهديت در القول غير مثقب ولكنه منه اليه مشيع
واوليت ما اوليت عقدا منظما ولكنه بالمجد منه موصع
ولرسلت دمع العين فيه مفقرا ولم يلق للتطريب الا مسجع
سجية ذى وجد عليك مؤبد سخاء بنوم العين والناس هجع
سجية من لا غير وجهك قصده ذهاب عن الاغيار والناس طمع

فلهتم لهى ماليس فيهن طائل   وعلقها فى كل طبع منقـع

قصور وحور والحبور ونعمة   ومال وآمال وخـير ممتـع

وهاك وخذ منى ودونك واغتبط   بما تبتغى عفوا فانت مشـفع

بنا انت مالا حت بروق لغيرنا   وما اطربت آلات لهو تقعقـع

وما امعنت فى الشجو ساجعة الحمام   على فنن غض وطلبت ترجع

أدرت سراج الفكر فى افق خاطرى   فلم ألق من فيه الكمال مجمـع

وما لذ فى عينى وقلبى وقالبى   ولا هـاج اهوائى خباء مضلع

ولا سامرت نفسى من الليل سمرا   ولاضمنى فى الدهر بين مصرع

ولا رد فى وجهى السلام تحية   من الناس شخص حاسر أو مقنع

فسرت به روحى مسرة بهجة   لحسن واحسـان له اتضرع

سواك فانت الجمع والفرق دائما   كذاك وانت الاروع المتورع

لمن تزجر الحاجات زجرا مبرحا   ومن فى حمى احسانه تتمـر

فهل دون مأمول الخصيب فناؤه   لحاج ذوى الحاجات باعيش مربع

انادى فلم يذهب ندائى لمذهب   شقائى ولم يجمع شتاتي مجمع

وانى لعل الصوت يبلغ احـدا   فيعلم ما بي او يعيه فيسمـع

توجه ومنه السير سر فيه تنتهى   اليه فلولاه البسيطة بلقـــع

وقل عنه وأسمع لطف كل مقالة   يمر بها فى أفق اذنك اصمـع

وعاين ومافى العين الا اشعة   يمر بها فى افق اذنك اصمـع

وجمال بريق العين من فرط حسنه   فيبهرها اذ بالجـلال مقنـع

تخر له زهر الدرارى كواسفا   وتنزل من اوج العلا وهى خضع

عليه صلاة دون كيف وعـدة   واسنى سلام ما تلألأ يلمـع

ومن شعر الشيخ الحسين هذه القصيدة :ـ

بنفس فتى بالشمس رأد الضحى ازرى   ونورا يفوق النور من كان والبدرا

تبـدى لنا من ذيـل آفاق غيبه   إلى ان تراءى فى العـلا بيننا جهرا

وما كان ذاك الغيب من فرط صونه   لذاك السنا من قلبه يظهـر السرا

ولكن فيض الفضل من نفحة الرضا — جدير باعطاء المنى العبد والحرا

وهيهات كتم الغيب اشراق ضوئه — واسفار وحي فى الدجى يشرح الصدر

ولما تبدى لى وفاض شعاعـــه — تذكرت من نور الهداية لى ذكرا

وسامرت منه خير نفس ابيـــة — وقدرا تعالى ان احاذى به قدرا

ومعنى متى احرزت من غير علة — وفوزا بخير لم اخل بعده خيـــرا

اظل بذات الضال فى جرع رامة — اصلى بظل الضال لى الظهر والعصرا

ارى مغرب الاغيار اعتمْ ظلمة — فهيهات هيهات انتقالى ولا بدرا

اراغب نور الشمس من كوة الحمى — طوال الليالى علنى ان ارى الفجرا

اردد فى تلك الطلول على الربي — تردد ذى حاج ليدركها شهرا

وان هى لم تفتح مغلق بابهـــا — عكفت بذاك الباب اطلبها عشرا

وامكث ان لم الق من جانب الحمى — رفيق بروق عند ذاك الحمى دهرا

اراقب من فيض الرحيم مراحما — ونعماء من ضراء لا تنتهى حصرا

وارضى بكوني ناسكا غير عارف — على حد علم العقل استعمل الفكرا

وان كان علم العقل غير موصل إلى — شرح علم السر اذ لم يزل قسرا

نهاية اعقال العقول معاقـــل — عن الحق فى كن قصرت قصرا

قديما ارتنا من وراء خبائهـــا — ستور رسوم لم تزل للعلا سترا

سبرنا بها بحرا المعاني فلم نجـد — لنا بعد ذاك السبر من احد خيرا

الا ليت ذاك المبر ما كان حاصلا — لقد ضيع الايام والفاضل الفخرا

فعض هكذا اما هكذا غير ماترى — من الامر لا ترفع بأمر ترى امرا

به واحد فيه له وهو صاحب — وليس به فيه فلا ترتكب جورا

قرأت كتاب الكائنات مسطرا — فلم استفد منه سوى واحد سطرا

وعانيت فيه كل صعب وساهل — فما شرحت تلك المعاناة لى صدرا

وسبرت نهج السير مع كل شاحب — فما رضيت امرا قط لى يسر الامرا

تخيلته وهما فوافيت غيره فالفيت — فى اخطار سيرى له خطـــرا

ونمت فخال النوم اني ناظـر — اليه وادني داره دونها بصرى

بيني وبين الناعمات مجاهل يضل — لها الخريت عن ساحة الزهـرا

ودوني ودون الملتقى كل شاهق على ان يرى نسر السماء بها وكرا
فيا املى دوني توقف فانــــنى رجوتك لى تعرضت الاخرى
ونادى صريخ بالرحيل واسمعت خطوب الليالى ذا الندى لبنى الغبرا
افى الحشر بعد النشر أفت منازل مقامى لأني اليوم انتظر الحشــرا
سلاما متمما من والى مجــــدد ايادى عرف لا يرى بعدها نكرا
مجيد القوافى الحاسرات وجوهها من الذل ياابن العز يعزى إلى زهرا
خذوا من التبريح ذاب مفارقا وليس من الدنيا يعد ولا الاخرى
لكم فضل اصحاب النبى محمد بخاتم اقطاب الورى الآية الكبرى
على احمد منى صلاة تأيدت وخير سلام قد ابي العد والحصرا

محمد الطاهر المجذوب

هندوب تعرف صبرنا   كيف ارتكبنا للمصاعب
وهشيم تشهد عزمنا   كيف أدرعنا للمصائب
يا طالما صدنا بها   صيد القضنفر للثعالب
جيشا يرن سلاحه   كالرعد اذ ما المزن صائب
وسواكن تدرى بنا   أنا لدى الهيجا نضارب
بالمشرف كأنه   وقع الصوافع فى المضارب
زمنا رصدنا نحوها   نبدى العجائب والغرائب
ونئز فى ارجائها   كالليث اذ نشب المخالب
ولطالما برزت لنا   منها العسكاو الكتائب
من كل فج يمنة   بل يسرةمن كل جانب
فتجاذبتهم خيلنا   ترمى بهم رمى الثواقب
البيض تلعب فيهم   فوق العمائم والعصائب
حتى أتت اخبارنا   من مصر تكتبها الجوائب
وأقر ويك بفضلنا   الاعداء فى كل المكاتب
وتحققوا أن لا نبا   لى بالمشقة والمتاعب
نحمى لدين الله بل   فى شأنه نلقى المعاطب
متوسلين اليه بالمهدى   وجهة كل راغب
وخليفة المهدى   عبد الله مفتاح المطالب
ما ان رحلنا عنهموا   جزعا زلا خوف النوائب
بل طاعة لولينا   فليدر ذا كل الاجانب

محمد الطاهر المجذوب

في رثاء المهدى

دهتنا دواة يضرس القلب نابها ... ويوقد فى الاحشاء نارا منابها

غداة نعى الناعون مهدينا الذى ... به ملة الاسلام جل مصابها

امام الهدى المهدى افضل من دعا ... إلى الله مفتاح النجاة وبابها

ألا قد اصابنا اذ عدمنا حبيبنا ... وضاقت بنا الارض الوسيع رحابها

لبيك له الدين الحنيف وملة ... ابان هداها حين تم خرابها

فقدناك يا هديا يتمنا بفقده ... فقدناك يا شمسا دهانا غيابها

إلى الله انا راجعون هو الذى ... اليه نفوس العالمين ايابها

هو الفاعل المختار باق وانما ... نفوس الورى جمعا اليه انقلابها

وكنا نرى انا نفوز بوصله ... بذى الدار حتى صاح فينا غرابها

فلم يبق فيها الآن ما يبتغى له ... بقاها فقد اضحى سرابا شرابها

سقى الله ارضا ضمنته بقاعها ... به فاقت العرش العظيم قبابها

عزاء إلى الصديق نائبه الذى ... به الملة الغراء شد انتصابها

عزاء إلى الفاروق من كان دأبه ... لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها

عزاء إلى الكرار ذى الناصر الذى ... لديه يهاب الباترات ذبابها

عزاء الى الآل الكرام اولى التقى ... على الله هاتيك الرزايا احتسابها

والحقنا المهدى فى جنة العلى ... ليذهب عن هذى القلوب اكتئابها

الا ابلغوا عنا ضريح الهدى ... تحايا إلى الله الكريم انتبابها

عبد الغنى السلاوى

راق الصبوح ورقت الصهباء … مذ كان فيها للعليل شفاء

ربيبة نبوية ملكية … مهدية روحية وسماء

شمسية قمرية ما فض عنها … ختمها فى دنها ورقاء

تشدو بأعلى صوتها طربا بها … فغدت تناوب شدوها الشعراء

معصومة عما يحرم كأسها … فأشرب به ثم أدر هناك هناء

أن كنت من أنصار مهديها لنا … مهدى الورى من فاض عنه هداء

ما هديه غير الكتاب وسنة … والتاركون لذاك هم كفراء

أجلى الصدا وأزاح أنواع الردى … وسمت به فوق السما علياء

أضحى به روض المعالى يانعا … وعلا لرواد الضلال رداء

أمست به آثار طه نورها … يعلو ولا يعلو عليه سناء

فالمجد فيه مؤثل والفضل منه … مؤمل والناس فيه سواء

آياته نسجت بمحكم ناسج … ولواؤه بالنصر نعم لواء

أن فاه يوما فى الذى خلق العلى … أبدت عجائب نطقه صدحاء

ما قيس ما سحبان ما أحزابهم … فى بحره أبدا لهم ادلاء

الله اكبر لا ارتياب لهديه … والجاحدون له اذن اعداء

والآخذون به لقد اعلاهم … أوج العلا فخرت بهم علياء

أمسيت فيه حليف ود لا ارو … م به بديلا لو بدت بدلاء

من أين تبدو والختام ختامه … والروم شاهدة وفيه كفاء

والعقل قبلا فيه يشهد أنه … بعث الهدى أو ليس فيه خفاء

ولنا عليه نتائج بالفكر ثم … لأ عين النظرا له أضواء

اذ نصره من ربه مشهود كل … العالمين وليس فيه مراء

وقتيلة يوم الطعان معجل … أحراقه وبذاك لى أنباء

هذا وما قصدى بنظمى ان أض … م إلى الاولى مدحوا وهم بلغاء

لكننى عبد متيم حبه ... استخدمتنى مدحه الآلاء
وكذاك لا الدنيا بمقصودى وان ... انا ذو احتياج لى اليه شكاء
بل مقصدى نظر بعين رضائه ... عنى وان لى فى الهواء اعواء
نظر به يمحى شقاى وكلما ... كسبته حقا منى الاعضاء
يا سيد السادات يا مهدى الورى ... منى النداء ومنك لى الارضاء
أن الزمان هو المحاول صرعتى ... ويدى لدفع اذاه لى شلاء
لى ذمة ارجوك نجح عهودها ... وكذلك الآباء والابناء
أن قمت يا بن الطيبين بنا فما ... هول له نخشى ولا حوباء

اسماعيل عبد القادر المفتى قال فى

وصف قبة المهدى

سمت قبة المهدى مجدا وسؤددا ... ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا

وصيغ من الاكليل تاج لها مها ... وسال بها نهر المجرة مزبدا

وقد نظمت زهر النجوم قلائدا ... لجيد علاها جائز السبق مفردا

ولاحت بانوار الهداية شمسها ... فأشرق منها الكون وانقشع الردى

بنية مجد شادها العلم والتقى ... يطوف بها الزوار مثنى وموحدا

فلله معناها ومحكم صنعها ... وروضتها الزهراء بالفضل والندى

ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث ... لخير الورى طه المشفع احمدا

خلاصة صفو المجد عن آل هاشم ... وافضل من فى الخير راح او أغتدى

إمام له فى كل مجد وسؤدد ... مآثر فضل ما اجل وامجدا

محمد المهدى بشرى محمد شفيع ... الورى فى الحشر من طاب محتدا

ببشراه غنى بلبل السعد مطربا ... وقام على غصن المسرات منشدا

به الله احيانا واظهر دينه ... وأولاه افضالا ونصرا مؤيدا

وقد احرز الدين الحنيفى بالظبا ... ودمر جبارا طغى وترددا

وجاهد من قد حاد عن شرح أحمد ... وقد فل جيش المعتدين وشردا

ولما دعاه الحق جل جلاله ... لدار بها الفوز العظيم مخلدا

اجاب الندا فالقلب بعد فراقه ... يذوب أسى والصبر عز وابعدا

وقد جبر الله الوجود بأسره ... وأعلى منار الدين حقا وشيدا

بهدى الذى قام فينا مقامه ... خليفته هادى الورى قامع العدى

فقام بأمر الدين حق قيامه ... واعمل فى أهل الضلال المهندا

قلوب الورى تعنو جميعا لهديه ... فلا تنثنى الا وعنها انجلى الصدا

امام اجل الله فى الكون قدره ... وتوجه تاج القلوب وأيدا

مآثره فى الدين يعسر حصرها ... فغاية ما عندى القصور وقد بدا

وقد اصدر الامر الكريم مخاطبا ... لانصار دين الله حالا ومبتدا

وقال لهم قوموا بكامل جهدكم ... لنحرز اجرا فى البنية سرمدا
وبادر أبقاه الاله مسارعا ... يباشر اعمال البنية مرشدا
ومن بعده الانصار تحت اشارة ... له وهو بدر فى سماء العلا بدا
فجاءت بحمد الله اعظم قبة ... حوت كل مجد لا يعد وسؤددا
فيا زائرا تلك البنية لائذا ... بقبر حوى الفضل الجسيم المؤيدا
توسل ببشرى المصطفى متأدبا ... لتظفر بالحسنى وتبلغ مقصدا
وقف خاضعا وأرخ القبول مؤرخا ... بقبة مهدى الانام ترى هدى

ابراهيم شريف الدولابي قال فى :

رثـــاء المهدى

كيف التئام فؤادي المفطـــور ورقؤ دمع محاجرى المفجور
أم كيف الضنا عن مهجـــة أحشاؤها تصلى على تنـــور
أسف على المهدى من سهد الصبا قد كان معصوما عن المحظور
لازال فى كنف العناية يغتدى بدقائق التبصـــير والتنوير
حتى انتهى لمقامه الاعلى الذى عنه النهى فى حيرة وقصـــور
واقامه المختار عنـــه خليفـــة خلعت عليه ملابس من نـــور
ورقى إلى كرسيه متسنمـــا فى مشهد بالاوليا معمـــور
فدعا إلى الدين الحنيف مجاهدا بالسيف والانذار والتبشير
فتح الكفار ودمر الكفار فى كل البلاد بجيشـــه المنصـــور
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلا سور الرضى اعظم به من سور
ومن انتمى لســـراه أمسى حائرا ضل الطريق بليلة ديجـــو ر
ما شئت فيه من الثناء فقل ولا تأخـذك لومة لأئم مدحـــور
ما أطنبت مداحـــه الا وهم عن وصف بعض حلاه فى تقصير
هو مجمع البحرين بحر شريعة طام وبحر حقيقة مسحـــور
سر الوجود وترجمان الحضرة العليا ومظهر عليها المســـتور
والله اكرمه بطيب تحيـــة يحـذو بها موسى كليم الطيور
قد كان قوام الدجى متبتـــلا متواصل الاحسان غير فخـــور
طلق المحيا خاشـــعا متواضعا كهف الفقير وجابر المكسور
وتفيض بالجود الكثير يمينـــه أبدا بلا من ولا تكـــدير
ويبيت طاو الكشف جوعا وهو قد اعطى الكنوز بجمعها الموفـــور
لا يبتغى جاها ولاما لا ولا عز الملوك ولا ارتفاع الـــدور
ما همة الا اجتذاب الخلق من درك الشقاوة عميهم والعـــور
لما ابان لنا السبيل ولم يـــدع ايضاح منهى ولا مأمـــور

والدين عز وأهله بلغوا المــنى ... وتقبلوا فى نعمة وحبـــور
تاقت إلى الذات العلية روحه ... وسعت لمقصد صدقها المزخور
فمضى وأودع كل قلب حسرة ... وحشا الحشا ببلابل وسعــير
تبكى المساجد والمحارب فقده ... ومواطن الاذكار والتذكـير
ياطيب أرض ضم جسمك تربها ... تزرى بعرف المسك والكافـور
يا آل بيت المصطفى صبرا وان ... جل المصاب وعز عن تبصير
فلكم تجمع فى مصيبة جدكم ... خير الانام الحى والمقبـور
واذا توارت فى الثرى شمس الهدى ... فهناك بدر هدى عظيم النور
أبقاه مهـدى الالــه وراءه ... خلفا يسير بسيره المشكــور
ويسوق للنهج القـويم بحـاله ... ومقاله وحســامه المشهـور
هو ذاك عبد الله نجـل محمد ... وسع الورى بالحلم والتدبـير
وخليفة الفاروق نجم ثاقـب ... بضيائه يجلو ظـلام الزور
وخليفة الكرار سيف منتضى ... بالحق يقطـع هام كل كفور
بطل اذا اقتحم الكتيبة غادر الا ... بطـال بين مضرج واسـير
فيهم قوام الدين بعـد امامه ... وبهم تمام ظهـوره المأثــور
صلى الاله على ضريح ضمـه ... أزكى صلاة فى المسا وبكــور

الاستاذ المضوى عبد الرحمن

أوميض برق أم سـنى مصباح | أم ضوء فجر صادق الأصباح
أم قام فى الدياجـى ناشـر | بيض المـلاء على دربي وبطاح
أم ذى الغزالة تزدهى بأشعـة | مكسـوة بجمالها الوضـاح
أم تلك عارفة الزبير اخى الندى | لألاؤها يجلـو دجى الاتراح
ضخم الدسيعة ما خلـت أبوابه | من قاصـديه فى مساء وصباح
من دوحة العباس عم المصطفى | اكـرم به من سيد جحجـاح

إلى أن قال :ـ

هو فخر سنار الذى عظمت به | وجـداه عم بها جميع نواحى
وتواضعت عظماؤها لعلاه اذ | علموا بما أوتي من الفتـاح
من فطنة ونزاهـة وشـهامة | وشجاعة فى الغارة الملحـاح
يحنـو عـلى مسكنيهم بتعطف | ويسـد خلقهم بخفض جنـاح
فلـذا تراهم يلهجون بذكره | لا يطربون بغـير هذا الراح
يا من يباريه بلا فضـل أفق | أيسابق الباز بغـير جنـاح
فالله يبقيـه ويجعل سـعيه | فى كل ما يهوى قرين نجـاح
ويمتع الاوطان منه بعـودة | تهـب الدواء بها لكل جـراح

(٣)

شعراء الحكم الثانى

عبد الله محمد عمر البنا

فى تحية العام الهجرى ١٣٥٥هـ

يا ذا الهلال عن الدنيا او الدين ... حدث فان حديثا منك يشفيني

طلعت كالنون لا تنفك فى صغر ... طفلا وانك قد شاهدت ذا النون

سايرت نوحا ولم تركب سفينته ... وانت انت فتى فى عصر زبلين

خبر عن الاعصر الأولى لتضحكني ... فان اخبار هذا العصر تبكيني

خبر ملوكا ذوى عز وابهة ... ان الملوك وان عزوا إلى هون

وارمق بطرفك من بغداد داثرها ... واندب بها كل ماضى العزم ميمون

سلها تخبرك كم ضمت مقابرها ... من ذى حفاظ وبذل غير ممنون

سل دار عاتكة عن شأن عاتكة ... فيها وعن سائل فيها لهارون

وسل زبيدة عن قصر تبوأه ... بعد الامين حسام الشهم مأمون

سلها عن الجيش جيش الله اين مضى ... وكيف جرد من ماض ومسنون

أخلى منابرها من فى مقابرها ... من كل متضح الآثار مدفون

وقبلها ابك دمشقا انها فجعت ... بسادة عمروا الدنيا اساطين

وسل معاوية عن شاتميه فكم ... عفا واعطى برأى منه مرصون

يأسو جروح مقال ليس تؤلمه ... بالمال والمال من أجدى القرابين

هى السياسة تأليف وبذل وندى ... واللين والصفح كل المجد فى اللين

هى التى حكمها بين القلوب له ... على رقاب الورى امضى القوانين

وعهد طيبة فاذكر فيه كل فتى ... جم الأياد من الشم العرانين

واذكر ليالى للفاروق أرقه ... فيها التقى وحنان للمساكين

وكم تفجر فيها المصطفى كرما ... عطفا ورفقا لبادى الفقر محزون

انى بكيت على ماض تكفل ... للمجد الاثيل بفخر غير ممنون

احبتى ودعاء الحب مرحمة ... لا يحزننكم بالنصح تلقيني

فرب قول غليظ اللفظ باطنه ... رحمى ولين بفظ الروح مقرون

ترضون بالدون والعلياء تقسم لا ... تدين يوما لراضى النفس بالدون

والمجد ينأى فلا تدنو مراكبه … من الجبان ولا ينقاد بالهون
تفرق وتوان واتباع هوى … إن الهوى لهوان غير مأمون
والحادثات تريكم كل آونة … ان التقاطع من شأن المجانين
فلا اعتبار ولا رقبى لنازلة … ولا احتياط ولا رحمى لمغبون
بليتم وبلايا الدهر ان نزلت … فالصبر يكشف منها كل مدفون
بامة جهلت طرق العلاءفلم … تسبق لغاية معقول ومخزون ..
فللمدارس هجران وسخرية … وللمتاجر ضعف غير موزون
وللفاسد اسراع وتلبية … ولا التفات لمفروض ومسنون
والناس فى القطر اشياء ملفقة … فان تكشف فعن ضعف وتوهين
فمن غنى فقير فى مروءته … ومن قوى بضعف النفس مرهون
ومن طليق حبيس الرأى متقبض … فاعجب لمنطلق فى الأرض مسجون
وآخر هو طوع البطن يبرز فى … زى الملوك واخلاق البرازين
وهيكل تبعته الناس عن شرف … كالسامرى بلا عقل ولا دين
يحتال بالدين للدنيا ليجمعها … سحتا وتورده فى قاع سجين
أحبتى هى نفس هاج هائجها … من الشجون فلم تبخل بمكنون
هزت فكيم سيوفا فى مضاربها … عون الطريح وارهاب المطاعين
ان الحياة لمضمار اذا ازدحمت … به الرجال تردى كل مفتون
لها وسائل ان شدت أواصرها … تبين المجد فيها أى تبيين
تواضع وتوان واتباع هوى … والصبر والحزم ازكى فى الموازين
فاحسنوا انما الاحسان واسطة … للعالمين به فى كل تمكين
ثم انشروا من شريف العلم أنفعه … فانما هو معنى كل تمدين
العلم زين وبالاخلاق رفعته … ان قارنته يد فى خير
ان الخلائق ان طابت منابتها … كانت لكسب المعالى كالبراهين

استقبال لورد ألنبى

هى الاخبار آفتها الرواة وصيقلها التثبت والثبات

وفى الحدثان آلام . ولكن لنا فى كل حادثة عظات

تغلغل بيننا للجبن داء اصيب به الاطبة والرقاة

فلا شبابنا جدوا فنالوا وقد خارت كهولهم فماتوا

ولا أدرى اهم للقطر بشرى ولا أدرى أهم فيه نعاة

فما لنفوسهم ذلت فطالت يلذ لها من الخبز الفتات

وما للناهضين بها استراحوا وهم فى يوم أزمتها الحماة

وهم فى يوم زينتها رجاء وهم فى يوم شدتها الكماة

وهم فى يوم ظلمتها بدور وهم فى نحر حاسدها الرماة

تراءت مشكلات الدهر فينا وارجفت المعاهد والجهات

وجاء اللورد يرفل فى ثياب تضم بها المنافع والشكات

اذا ما قيل قد اوفى ألنبى تطمأنت الامور الجانحات

ألا يا حامل السيفين انا نفوس للمعالى جائعات

دخلت (القدس) يوم دخلت برا رفيقا فى الامور لك انصلات

وسرت على جلالك فوق أرض بها حجج النبوة مشرقات

ولم يعجزك ان حييت فينا وان قامت هناك المعجزات

وسرت بها بروقك فى ثراها رجال للهدى احيوا وماتوا

فهل احرزت من عظة نصيبا وخير الواعظين بها رفات

مررت على الديار وجزت فيها بواد ارض ساكنة موات

فبعض من تكاثفهم عراة وبعض من ملابسهم عراة

فهل للساكنين بها نصيب تعود به على الشعب الحياة

وهل اوليت هذا القطر خيرا فتحمده البقاع الناهضات

وهل قررت ان يبقى ويرقى تسير به الامور الصاعدات

وعهدى ان ايديكم جميعا … عوامل فى الحوادث ناصبات

وانك ان اعطفت فينا … ايادى تستقل بها الهبات

لنا بالطب جهل اى جهل … وان الجهل من شعب ممات

وكيف يجوز قصب السبق قطر … جفاه مع المجامين الاساة([1])

شباب القطر فى لهف وشوق … إلى سبب تزال به الاذاة

هم القوم الذين على هداهم … يهذب ناشىء وتربى فتاة

ومنهم (كاتبون) وهم كرام … ومنهم «حاكمون» وهم قضاة

بأيديهم ، وان كانوا قليلا … مفاتيح القلوب الحاكمات

وفينا اذ نسام الهون عزم … منيع لا تفل له سبات([1])

وفينا فطنة كملت وطابت … وفينا حين تبصرنا أناة

فضع مجد البلاد على وداد … تقاد به القلوب النافرات

على حكم التسامح والتغاني … تدين لك النفوس الجامحات

على حسن التفاهم من رجال … كهول قرح وهم لدات

روض بالجود جامحهم وايقن … بأن الامر تصلحه العدات

نأت بك عن ذات الحجاب الرواسم ... فقلبك مقسوم وبينك قاسم
مدامع تذريها من البين مثلما ... همت من حصار المرسلات غمائم
جراح بأعماق النفوس تغرنها ... وهيهات منها ما تفيد المراهم
وانين ولا كالثاكلات ومهجة ... براها حنين قلدته الحمائم
عيون ولا كالمرهفات تألبت ... عليها جيوش الهم لازم
ترفق فما يجدى البكاء ولاارى ... من الخير ما يلقاه فى الناس نائم
أرانا هجرنا الدين والدين معقل ... فما خير سيف لم يؤيده قائم
أرى البدعة الحمقاء ارخت سدولها ... على السنة الغراء لين الصوارم ؟
أرى شرعة الاسلام رثت حبالها ... وراحت بامواج الخطوب تلاطم
أرى زهرة الدنيا وشرخ شبابها ... تبدل بؤسا . بئس تلك المغارم
ارى ما ارى مذ ساد فى الناس واهن ... وخارت عن الاقدام منا العزائم
سلام على الدين الحنيف وفتية ... على عهدهم ترعى النهى والمحارم
تبدل ماضينا ولم تبق سنة ... وصار لنا مما نعد المواسم
اذا شئت يا ذات الثنايا تشاهدى ... بنيك على مر الليالى فهاهم
اغاروا ، وقد انجدت ، لما تحولوا ... عن العهد واستولى القياد سواهم
فبيناهم للامر والعرض سالم ... اذا بهم يفضون والانف راغم
يقال رجال ، لا وربك انهم ... جديرون حقا ان يقال الفواطم
نفوس ابت فعل الجميل لاهلها ... وايد إلى الاعدام نعم الهازم
فما روع العلياء الا عمائم ... تساوم فينا وهى فينا سوائم
أجل نظرا فى من مضى من رعيلنا ... فهم عند ناب النائبات ضراغم
تخلى لهم عن امره الدهر خاشعا ... وتسلم دولاب الحياة الأعاجم
رحى الحرب فى ايديهم وزمانهم ... حليف وان هم سالموا فمسالم
اذا نال من فى الغرب سوء تراكضت ... سوابحه واهتز فى الشرق عالم

اديروا علينا كأس ذكرهم عسى ... نريكم اخا البأساء فى البؤس ناعم

كأن لم تكن تغنى مغانيهم ولم ... يبوأ سرير الملك منهم خضارم

فيا نعم عيش بالشام وامرة ... ببغداد حيتها السعود البواسم

وكائن ترى بالنيل من متملك ... وبالسند مندوب الخلافة حاكم

وقد نبغت يوما بأندلس لنا ... شئون أبانت للفرنجة .. ما هم ؟

وحسب العلا أنا عقدنا لواءها ... فصار لها بعد الخفاء معالم

اطلى صروح من آل هاشم ... فقد ساد قدما فى الخلائق هاشم

وكيف يدانى الناس محتد احمد ... واحمد نودى حيث جبريل واجم

من الناس ، لكن مع صنائع بره ... ومن ملكوت الله ، لكن سماهم

ملائكة الرحمن أحراسه ومن ... مقاتلة الانصار جند مقاوم

حمزة الملك طمبل

في استقبال الورد أللنبي

أنا أهوى الكمال فى كل نفس   وأجل الرجال من كل جنس
واذا جاشت العواطف فى نفسى   عمدت إلى دواتي وطرسى
فاتح القدس قد تغمدك الله   بروح من المهيمن قدسى
لك عزم من القضاء وذكر   مشرق فى الزمان اشراق شمس
جئت تستعرض الصفوف احتفاء   لا لحرب بمدفع أو بترس
يا أجل القواد فى الحرب شرف   فوق عين من البلاد ورأس
كان تاريخها القديم جليلا   مثل مصر ومثل روم وفرس
ثم دار الزمان دورة نحس   عكست نجم سعدها شر عكس
فدرجنا على الصعيد حفاة   بين غبر من الجياع وشعس
قل من يذكر الحقائق منا   وكذا الجهل والنصب ينسى
فاسعدونا فقد شقينا بجهل   مطبق كالدجى وفقر وبؤس ..
وافتحوا فنحن أحوج منكم   ليد تعمر البلاد ورأس ..
واسندوا الحكم للكرام فمنا   فى الهوى والضلال عالم رجس
وادفعونا إلى الامام فانتم   اقدر للعاملين من غير لبس
وخذونا برأفة وببأس   يثمر الحكم بين لين وبأس
عشت يالورد للبلاد وعاشت   امة متعت بأ فخم كرسى
وليدم بيننا التعاون والاخلاص   والود وهو أطيب غرس
ثم لو تنطق البلاد لقالت   ألف شتان بين يومى وأمسى

توفيق صالح جبريل

في استقبال «لورد ألنبى»

أيها القـوم لا تجروا الذيـولا　　　يأنف الحـر أن يعيش ذليلا

سمتمونا العـذاب ، ضيقتم الأ　　　رض علينا حتى هوينا الرحيـلا

ان أردتم اصلاحنا ، قد فعلتم　　　فاعذورنا اذا ظللنـا الدخيلا

أيهذا الزعيم أودى بنا الفقـر　　　فعطفـا فقد صبرنا طويـلا

فقبيح ان نرتضى الذل دهـرا　　　ونرى مالنـا لكم مبـذولا

كل يوم تبـدو بثوب جديد　　　من دهـاء فحسـبكم تبديلا

علمتنا الايام ما قد جهلنـا　　　فلسـنا نطيق عبئا ثقيـلا

تلك عشرون حجة بعد خمس　　　قد تقضت وما شفيتم غليلا

فادعيتم نشر الحضارة والعـر　　　فان والشعب ما يزال جهـولا

ما اكتسـبنا الا الشقاء كسانا　　　سملا باليا وجسما نحيـلا

ويح قلـبى ماذا يروم ألنبى　　　يوم وافى يجـر سيفا صقيـلا

جمع الجميع ، أرهب القوم حتى　　　أصبح السيد النبيـل ذليـلا

أتراه يريد يفصـم حبـلا　　　بين مصر وبيننا موصـولا

ولماذا تراه يمـلى عليهم　　　ونراه مـدونا ما قيـلا ؟

جـل من ملك الدخـيل فجر　　　الذيل واستمطر العذاب الوبيلا

يوسف مصطفى التنى : قال عن

وحـــدة وادى النيـــل

فى قصيدة يهنىء بها صديقا دخل الوزارة :ـ

ومن طلب الموت نال الحياة ... وكلل بالنصر والعافيه
وزيرهم اليوم نعم الوزير ... فتى الحرب والفطن الباديه
فخرت به لكريم الخصال ... واني فخور بآبائيه
ويعجبنى فيه حسن الجميل ... فكل يد عنده عاريه
ترد مضاعفة دون من ... ودون انتظار يد ثانيه
وما كان عرفانه للصنيع ... لينسيه أمته العانيه
فان هب قوم يعينونها ... لارجاع حرية غاليه
فليس جزاؤهمو أن تئول ... إلى من أعان على الطاغيه
فما عتق العبد أن صار ... عبدا لكف مدللة حانية
واما تقاضى اخى أجره ... على نجدة ضد أعدائيه
وقاسمنى بعد خوض الوغى ... غنائمها وهى أسلابية ..
فما كان للرحم ما قدمت ... يداه ، وما فضل اخوانيه ؟
ولو كان مغنما من متاع ... لهانت به القسمة الراضيه
ولكن حرية ان تشارك ... بها لم تعد أبدا ماهيه
وهل يشرك المرء فى اهله ... وتؤبي الشراكة فى غانيه
أمن عنده فرصة الانطلاق ... يفضل قيدا بلا داعيه ؟
هبوا أنها ضيعة ضخمة ... مساحتها مثل افريقيه ..
يشاركم ملكها بالشيوع ... شريك بحصته الواهيه
اتنهون فى تلك أو تأمرون ... بغير شريككم الداهيه ؟
ستغدون مصالحكم طوعه ... وطوع مطامحه النابيه
فلسنا على أرضنا سادة ... اذا لم تك السلطة العاليه

وقولتنا ، فى اطار الحدود وخارجها ، القولة الماضيه
ترى العبد فى بيته سيدا وخارجه يدفع الساقيه
ليس انفرادك بالحق يعنى انفصام عرى القرية الدانيه
وليس الاخاء كوننا تبعا وليس لنا فى الورى ذاتيه

يوسف مصطفى التني

الشرق جنــة الله

يا صاحبي مال دنيانا التي بسمت بالامس ، عاودها شح وتقتير ؟
وجنــة الله ، حيا الله جنتــه ما بالها لا تواتيها المقــادير ؟
في الفجر من عمر هذا الدهر نسقها فحدثت عن أياديه البواكير
وأنزل الحكمة العليــا ترجعها شعرا على مسمع الدنيا الشحــارير
تدفق النور من شماء قبتهـــا وأينعــت في روابيها الأزاهــير
وفجــر الله فيها كل دافقــة بها من الاثم والعدوان تطهير
فأشرق (البيت) في بطحاء (مكتها) كما تلألأ في(اقداسها) (الطور)
وأبلغ الدهر (عيساها) (وأحمدها) رســالة الله فانجابــت دياجــير
منارة الحق من (فرقانها) ســور ومن فلاسفة الاسلام تفكــير
قد أرسلت نحو أهل الغرب ومضتها والغرب في جهله المضروب مغمور
رقته بالنــور حتى شــد واهنه أليس يرقى بآى الله مسحــور ؟
واليوم اقبل هذا الغرب يكلؤه حظ له في ضمير الغيب مسطــور
سطا على جنة الرحمن ينهبهــا كما تحط على الزرع العصافــير
فما بها لترانــيم الطيور صــدى ولا لحكمتها فيض وتفجــير

اني لأسأل هــذا الدهر في ألم ما بالها لا تواتيها المقــادير ؟
فلا مجيب ســوى (صوت) توقعه عــلى هشيم روابيها الاعاصــير
خميلة الله لا زالت بها رمــق وما سها الله بل نام النواطــير
لو أصلح الشرق نقصا في زعامته لعــاد للشرق مجد منه مقصــور

يوسف مصطفى التني :

وطني

وطني شقيت بشيبه وشبابه
زمن سقاك السم من اكوابه

قد اسلموك إلى الخراب ضحية
واليوم هل طربوا لصوت غرابه ؟

وطني تنازعه التحزب والهوى
هذا يكيد له وذاك طغى بـه

ولقد يعاني من جفا ابنـائه
فوق الذى عاناه من اغـرابه

بالامس كانوا وحدة فتفرقت
فسطا المغير بظفـره وبنـابه

واليوم هم شيع تنافس بعضها
فرع برقها لمسـود أو نـابه

حتى الذى ثرف الدماء مسخرا
كالطير حفـوا خشعا بركابه

كم أوهم الدهماء فيه فأمتلوا
في العالم الثاني جـزيل ثـوابه

ومشت ذرافات الحجيج لبابه
فكأنما البيـت الحرام ببـابه

وطني يعيـث به العدو ولاترى
من دافع عن حوضه ورحـابه

واذا انبرى ليذود عن سودانه
البارع المقـدام من كتـابه

لم يعـدم الشر الدخيل جماعة
لترتل الامـداح فى محرابه

وطـني أصيب بمعشر آواهمو
وأظلهم فسعـوا ليوم خـرابه

لو طهر السودان من دخـلائه
لتطهـر السودان من أوشابه

لهفى على السودان من دخلائه
لهفى على السودان من أحزابه

يوسف مصطفى التنى :

ثورة شاعر

ايها المغلق الحكيم الرشيد ... عز ما قد (تريد) أو (لا تريد)
عز ما تبتغيه فالشعب غاف ... واهن العزم والشعور بليد
أمة للخراب تسعى حثيثا ... وعن المجد والكمال تحيد
أيفيد النشيد شعبا قنوعا ... وله الجبن والبوار نشيد ؟
كم دعا قبلنا الدعاة إلى الحق ... وكم اخفق الدعاة وصيدوا
صادهم صائد الانانية الحمقاء ... والخبث والنقود ، النقود
انها أمة تضيع بنيها ... ولكم كاد للأبى عبيد
يعمل القوم فى الظلام خفافا ... وبنو القطر فى الضياء هجود
فشلت أمة يقوم بنوها ... عبد النفس سعدها وسعيد
هام بالجاه والثراء كبير ... وارتضى الذل والهوان وليد
قنع الشعب بالكفاف ركودا ... ومماث الشعوب هذا الركود
لاطماح إلى العلا أكيد ... لا نزوع إلى النجاة حميد
أمة خيم الجمود عليها ... وعداها النهوض والتجديد
أمسها قاتم وأقتم منه ... يومها والغد الغد المنكود
لا قديم من المحامد يوحى ... لا جليل من الفخار جديد

آه يا موطنى العزيز عزاءا ... من دموع اذا الدموع تفيد
آه يا موطنى عزاؤك شعرى ... ان يكن احسن العزاء قصيد

يوسف مصطفى التنى

بين السخط والرضا

سئمت عبادة الارواح لم تجلب سوى الضر
وعدت أهيم بالاشباح فى علنى وفى سرى
أليس (المثل الاعلى) محالا واضح العسر؟
اذا فاتهموا عقلى اذا همت به عمرى
كما اتهم الذى يبغى منال الكوكب الدرى

.. .. ..

سئمت عبادة الاشباح لم تجلب سوى الضر
وعدت أهيم بالأرواح فى علنى وفى سرى
أليس (المثل الاعلى) منى نفس الفتى الحر
كفاني طيفه الذهبى فى أحلامنا يسرى
كفاني الظمأ الروحى أحسوه على الأثر

.. .. ..

الهى عفوك السابغ كاد يضلنى فكرى
ألست (المثل الاعلى) وهذا السخط كالكفر

صالح عبد القادر

يا صاحب القرآن نظرة مشفق ... الدهر خان وحلت البأساء
عطفا على الاسلام ان شعوبه ... اجتيحت وقد لعبت بها الأعداء
عاثت به أيدى الطغاة فبدلت ... أزياءه فتجاهل العلماء
ما أضعف الاسلام فيما بيننا ... عز النصير وضلت الأراء
حمل الزمان عليه حملة قادر ... والقائمون بأمره ضعفاء
لو لم يكن دينا قويا لانمحت ... آثاره مذ خانه الامناء
لكنه باق على حالاته ... رغم العدا مهما اليه اساوء
بالفضل قد شهدت له أعداؤه ... (والفضل ما شهدت به الاعداء)
دين النبى محمد دين الهدى ... والناس احرار لهم ما شاءوا
يا أمة هضم الزمان حقوقها ... كم نبهتك بوعظك الحكماء
لعبت بك الأيام لعب مقامر ... فتنبأت بمصيرك الخبراء
ما نلت من أحداث دهرك راحة ... ومن الحوادث راحة وعناء
حظ الممالك والشعوب تقدم ... لكن حظك شدة وعناء
فبأى حكم قد هويت ولم تزل ... فيك الحياة وتحكم العقلاء
وبأى ذنب قد قتلت ولم يزل ... فيك الشعور وتنطق الشعراء ؟
ومن العجائب ان تموت بلادنا ... جهلا وفيها السادة العلماء
يا قوم قد لعبت لكم أهواؤكم ... ولحتفكم قادتكم الأهواء
نمتم وما نام الزمان وان ما ... طلب العلا ما لذة الاغفاء
خارت عزائمكم فمات شعوركم ... والله يفعل ما يرى ويشاء

هل أوهن الاسلام الا أهله ... ما أيدوه لأنهم جبناء
خانوا عهود الله لما استهجنوا ... سنن النبى فبدلوا ما شاءوا
عقدوا على هدم الشريعة وحيهم ... قد افسدوا ما أصلح الآباء

ما للمساجد لا تؤم حـزينة ... تبكى عليها السنة السمحـاء

وديار فسـق فتحت أبوابهـا ... علنـا وبـات يؤمها الابنـاء

الله اكبر كم سعت ابناؤنا ... نحـو النساء وكلنا شهـداء

يا معشر الاسـلام عفوا لم تكن ... ترضى بهـذا همة شمـاء

أهل الشريعة ما الذى نرجوه قد ... عظم المصاب. بكم يطول رجاء

هذى شريعتكم تئن لضعفهـا ... وجميعكم بدوائها خـبراء

الدين دين الله . هـذا قولكم ... لكن نسيتم انكم نصـراء

يا رحمة الله العلى تنـزلى ... فالمسلمون جميعهـم ضعفاء

ياصاحب الشرف الرفيع ومن له ... انتسـب العلا والعزة القعساء

ماذا أقول وفيك كل فضيلة ... لهجت بها الكتاب والشعراء

نور بدا للعالمـين به الهـدى ... فتفننـت فى وصفه البلغـاء

يا معجز الحكماء والبلغـاء ... والفصحاء عفوا هكذا العليـاء

بالحق قلت وأنت اصدق قائل ... استشهدت بحديثـك الحكماء

نطقت بك التوراة وهى قديمة ... واستبشرت بظهورك القدماء

وبك الحواريون قديمـا بشروا ... وتواترت بمجيئـك الانبـاء

بلغت ما أوحى اليك وما انثنيت ... عن الهـدى اذ كـذب السفهاء

ما خفت جبارا وكنت مؤيدا ... حـتى علوت بالحضارة باءوا

أعلنت دين الحـق بالترغيب ... والترهـيب فانقادت لك الآراء

صلى عليك الله ما ليل دجـا ... او ما بـدا فجر ولاح ضيـاء

صالح بطرس

يا من رأى طوق الهلال وقد بدا　　يهـدى لنا عاما اغـر مشهـرا
اكرم بطلعتـه وبهجـة نـوره　　اذ بشـرتنا ان سنحمد مخـبرا
شبهته لما بدا متجـليا　　فى افقـه ملكا تبوأ منـبرا
وغـدت تحف به النجوم كأنها　　حفـل لتسمع فى الخطابة اسطرا
يمشى على هـام القرون مجـددا　　عصـر الشبيبة لا يمـل من السرى
أنت الذى تهـب الخيـل لشاعر　　حتى يرى فوق المجـرة طـائرا
ولانت احـدى بينـات الهنا　　من ذا يراك ولا يسبح من بـرا
أدركـت اسرار الوجود فحزتها　　ورايت من آياته ما لا نـرى
هـل انت مخبرنا عن القـوم الى　　فلعلنا ان نستفيد تذكـرا ؟
القـوا إلى الروع ، ها انا نافث　　بعض الحديث فهامس ذكر الورى
كانـوا اولى تناجى رفقـتى　　قد ادركـوا ما أملوا بل اكثرا
هم انهجـوا سنن الفضيلة واضحا　　هم اخرجـوا علما غـدا متفجرا
أخـذوا بأعناق المكارم أخـذة　　وتربعـوا من عزهم فوق الذرى
يترفعـون عن الدنيـة او يرى　　سـيل الدماء على الاباطح انهرا
لايرتضـون الضيم شرعة مورد　　شـأن الابى ، ولا للوان معشرا
شـادوا لكم رفيعـا سـماكه　　وبنـوا لكم مجدا اثيلا اكـبرا
ذهبـوا وقد أدوا الامانة حقها　　ونما اليكم ذكـرهم متعطـرا
انا غـبرنا بعدهم فى هجعـة　　شتان ما بين الثريا والـثرى
يا عـام انا آمـلوك لخـيرنا　　املا ينيـل الحظ فيك موفرا

عبد الرحمن شوقي :

نديمي من سلاف الخمر هات | وشنفني بذكرى الماضيات
أترضى ان أضام وانت حر | وتسمح ان تلين لهم قناتي ؟
فحدث عن بني النيلين قوما | بأدني النيل او أعلى الفرات
بأنا ننتمي حسبا ومجدا | إلى ما بالجزيرة من رفات
يعز عليهم نحيا ولسنا | مثالا للشجاعة والثبات
وان لا يبصروا في النيل قرنا | ولا بطلا يعد من الكماة
يجود بنفسه للموت حبا | بنيل الباقيات الصالحات
فليس الجود بذل دريهمات | لمسكين على قيد الحياة
بل الجود الممات على بلاد | ليحيا أهلها بعد الممات
سلام الله يا عهد المواضي | وايام الظبا المرهفات
وعهدا فيه جبريل نبي | يجيء محمدا بالبينات
ويدلي حجة من بعد أخرى | تزول لها جميع الراسيات
يقول لهم اتيتكم رحيما | لاجمع شملكم بعد الشتات
هلموا آمنوا بالله حقا | تعالوا للسلامة والنجاة
فلاقى منهم كيدا وظلما | وعدوانا . فأف للطغاة
ولما أن رأوا منه اصطبار | رموه بكل جبار وعات
بكل مدجج في زي ليث | صؤول مغرم السيئات
صليب الرأي قاسي القلب | عنيد لا يمل من الاذاة
قتال دائم غزو وسبي | وأزلام ووأد للبنات
وقد عبدوا الحجارة وهو كفر | وقد سجدوا إلى عزى ولات
وساقوا للقتال الجيش لجبا | يزمجر كالبحار الزافرات
وكل مقسم منهم يمينا | برأس محمد للقوم آتى
فلاقى جيشهم جيش كريم | به الروح الامين من الغزات

ومن يك جنده جبريل منهم بلا سيف يفوز ولا قناة
وما زال النبى بكل فج يبث الدين يدعو للصلات
وينهى القوم عن وثن وثأر ويبهرهم بتلك المعجزات
إلى ان آمن الكفار منهم مسلمات القبائل واسلمت
واصبح كل جبار عنيد أخا رفق وكان من القساة
رفيقا لبنا شهما حليما كريم النفس من خير الهداة
فدين محمد دين ائتلاف دين مروءة والمكرمات
هو الدين قد عم نفعا وقام على الثورة والاناة
كفى فخرا به ائتلفت قلوب وكانت قبلة متفرقات
فأصبح من بمصر اخا كريما لمن بالشام أو من بالفرات
لقد حسنت به الدنيا وزانت كما ازدان السماء بالنيرات
فهلل يا زمان به وكبر وحدث وافتخر بالباقيات
وأبلغ أمة بالشرق كانت تظل الشرق من كيد العداة
وكانت للعلا فيه منارا محطا للعلوم وللغات
بان يتمسكوا بالدين حقا وأن لا يعبأوا بالترهات
وأن لا ييأسوا ما دام فيهم دم يسرى من الشم الأباة
فمولد أحمد فى كل عام يجدد للعهود الماضيات

أحمد محمد صالح

عيد اغر محجّل   والخير فيه أجزل
والناس فى شكر الاله   ارض الحجاز تهرول
ارض بها البيت   العتيق الزاهر المتهلل
وبها ثوى خير الانا   م الهاشمى المرسل
فالروض يبسم عن اقا   ح والربى تتهلل
وملائك الرحمن تصعد   بالدعاء وتنزل
يا خير من عند الشدا   ئد والنوائب يسأل
اشمل بلطفك جمعنا   يا رب فى من تشمل
وافض على نادى المدارس   صالحات تهطل
واجهل بفضلك اهله   فى نعمة لا ترحل
(شوقى) أجدت فليت   شعرى ما تقول وتفعل
أتتغزل ؟ أفديك من   مترنم يتغزل
ما الناى يضرب والمغنى   فوق ذاك يرتل
بألذ من سجع سجعت   مرددا يا بلبل
قل لى أهذا ما ابتكر   ت أم الرحيق السلسل
أم ما يبيح البحتر   ى له السجود وجرول
ان كان ظبيك يستبيح   حمى العقول ويخبل
أو كان يسبى العاشقين   أغن أغيد أكحل
أو كان يسحرهم بلحظيه   رشا متدلل
فاعلم ـ بأن بيانك   السحر الحلال وافعل
هاروت يلثم لحظه   متواضعا ويقبل
لما انتضيت سلاحه   فالكل بعدك اعزل

حسن طـه :

حـى عيـد الجهاد

حى عيد الجهاد توف الجهادا ... هو عيـد يخلد الاعيـادا
واستعد فرحة البـلاد غـداة ... التأم شـمل البلاد والوفد قادا
واستبن خيبة الدخـيل غـداة ... الشعب قد قـرر الجلاء فنادى
يوم ثبنا وكان رائـدنا السو ... دان لا نبتغى سـواه مرادا
كسر القيد يومها فمشى الركب ... قويا ولم يـزل يتهـادى
صـرخة الحق لن يقاومها البا ... طـل بأسا وعـدة وعتـادا
وقد سمعنا دويهـا هو فى الغر ... ب نذير لمن طـغى أو كـادا
ورأينا مضاءها بات فى الشرق ... جهـادا ولم يلك استنجـادا
وحـدة التاج والدفاع سـلاح ... يفرق الانجلـيز منه سـدادا

قل لمن يرفض السـيادة اغرا ... ضا لكى يلبس البياض السـوادا
ان معنى سـيادة التـاج أنا ... سوف نحـيا اخـوة أنـدادا

أيها الوفـد لا عدمناك من وفد ... يهدى مجاهـدا فأجهـادا
لم تكن مغرضا يساومك الخصم ... ولا كنت واهيـا منقـادا
ليس للصبر والأنـاة مكـان ... طالما السيف فارق الاغمـادا
أنت سيف الجهاد والشعب عمد ... لك بل كان غـاربا ونجـادا
أنت وفـد البلاد للملك الصالح ... بلغـة حبنـا المزدادا
ناد واهتف به مليكا مفـدى ... دام للنيـل كعبـة وعمـادا
فتم واصل جهاد شعبك واحمل ... لرجالات مصـر منـه الزادا

قل لهم اننى امـثل شعـبا ... لم يخن عهـدكم ولا عنه حادا
قـد ربطنا كفاحـنا نبتغى ... التحرير نختال سادة امجـادا

فوجدناكم اهلا وصحبا ولقينا محبة ووادادا
ايها الضاربون تيها على بيداء اغراضهم هوى وعنادا
قلتم الانجليز قد وعدونا وركبتم رؤسكم آحادا
واتخذتم من الحرير فراشا وافترشنا من الاديم مهادا
حبذا ذا العذاب لا بد يحلو عندما تصبح البلاد بلادا

لا نريد العداء معكم ومعهم انما لا نريد الاستعبادا
اين منى ضميركم فأناجيه فقد يقدح الزناد الزنادا
قد رسمنا طريقنا ومضينا وبلغنا من المراد مرادا
خبرونا بما رسمتم لنستجلى طريقا سلكتموه فرادى
حكموا الشرق اينا وهب الله سبيلا ومنطقا ورشادا
وسلوا الانجليز أى البلاد واعدوها فانجزوا الميعادا
أى قطر سلوهم خرجوا منه وبقوا أسياد اسيادا

فيم تنساب كوثرا ولجينا وعلى من تتيه أو تتهادى
أيها النيل ؟ قف ولا تجر فى الوادى إلى ان تحطم الاصفادا
وإلى ان يعود واديك حرا يتغنى فيحن الانشادا
خدع الظالمون شعبك حتى جندوا منه من يخون الضادا
بيننا عاث ذا الدخيل فيها كما عاث فى البلاد فسادا
فرق الشمل واستغل من الاهواء ما شاء بأسه استبدادا
سم هذا الخلاف ان شئت اشرا كا وان شئت سمه إلحادا

وحدوا الشعب ان اردتم جهادا وانزعوا من صدره الاحقادا
وانما الخلف والعدو مقيم حجة للعدو كى يتمادا

حسن طه : قال فى وداع قائد القوات المصرية بالسودان :

اين دار العزيز

اين دار العــزيز للمدلج السا ... رى اناخت له المصائب ركبا
كم اناجى بها الحياة كما ناجى ... حبيب فى وهدة الليل حبا
جنة النيـل قد حباها الله ... من فيضـه حدائق قلبـا

اجر بي يا قطار واطو الفيافي ... اوفطر بى وانهب الارض نهبا
ذبب شـوقا إلى الشمال من الوا ... دى فمن لى بهم اهيلا وصحبا
وحدا بى إلى الكنانة ما يحدو ... بمن هـام فى الكنانة حبـا
أين منى منابع كن للسـودان ... وردا يعـب منهن عبـا
ادب رائع وفـن طليـق ... وسع العلم والمعارف رحبـا
وطـامح إلى العلا ونهـوض ... عالج الشرق من أساة وطبـا
وكفاح موحـد وجهاد ... أيقظ الشـرق السبات فهبـا

ان قيثارتي اذا ذكـر الوادى ... تغنى فتبعث اللحن عذبا
لم أخاطـب بها الذوات بمصرا ... لا ولكننى أخـاطب شعبا
واناجى بها (البشارى) فكم ذاد ... غيورا وعن حمى النيل ذبـا
رجل كان فى المواقف كالفولاذ ... صـلبا وكالمهنـد غربا
كان كالطـود شامخا وكاسد ... الغـاب ثبتا وكالمقادير ضربا
كان والله للدخيل قذا العيـن ... وللاهـل والعشيرة هدبا
لاأقول الوداع مادمت قد خلقت ... (م) (جـاد) وجاد مثلك قلبا
لا أقول الوداع ما دام فينـا ... قائـدا كالبشارى عقـلا ولبا

حى مصـر وهنها برجال قد ... قد دعوا الشرق للجهاد فلبى
انت يا مصر كعبة الشرق مذكا ... ن وما زلت للمشارق قطبا
اشرق النور من رباك علينا ... فمشـينا اليك نختـال عجبا
ثم اضفى على المشارق فاهتزت ... وقامت تناهض الغـرب حربا

ايها الغـــرب هـل علمـت بأن الشرق ما عاد في حذائك كعبا
ان يك الشرق قبـل ذلك يحبو فاعلموا انه عن الطوق شـبا
واعلموا انه افاق فألفاكـم وحـوشا تعيش نهبا وغصبا

من رسـولي إلى الطغاة فكم ذا ضاق صدري بهم وقد كان رحبا
أفسـدوا جادة الطريق ولو لا هم قطعنا الطريق جريا ووثبا
ها هم الغاصبون قد تركوا النيل جديبا ولم يك النيـل جـدبا
غرسوا بذرة الشقاق بواديه ليجنـو من الدسائس ابا
قل لهم خاب سعيكم فذرونا نحن بعد الجلاء اهل وقربي

وقد خبرنا طريقكم فغوينـا ووجـدناه كالمنيـة صعبا
وصحبناكم طـويلا فما نلنا سـوى الفقر والجهالة صحبا
قد نزلتم على البلاد شـقاءا وحللتم بها عنـاءا وكـربا
أى عقل يجيز للذئب دعـوا على من فرى فأرداه قضبـا
سائلوا وفدنا الامين يجبكـم عن اماني البـلاد عجما وعربا
كل صوت عداه كان نشازا لم يمثل سوى الخوارج حزبا
وقف الشعـب خلفه وقفة الآ سـاد يستجمع القوى ليـذبا
إن يك الموت دون مطلبه الاسمى (م) ير العيش دون ذلك عيبـا
فتية اوقفوا دمـاءهم لله نذرا ووحدة النيـل قـربى

إن سودا ننا هو العين للنيل «م» وكانت له الكنـانة قلبـا
غضب النيـل فى منابعه العليا فثارت له الكنـانة غضـبى
وحـد النيـل بيننا فسقاها وسـقانا من المحبـة نخبـا
هو جـل الوريد بينا متى نبتره نقضـى الغداة والله نحبـا
هو سر الحياة مجده التـاريخ حـتى غـدا اليها وربـا

وحـدة النيـل مبدأ كان للسو دان جدى وكان أطيب عقبى
ليس فى منطق السياسة الاها طريق يرى وصـوت يلـبى

حسن طـه :

سـفر الجهـاد

فى تـأبين على عبد اللطيف

لأن يبكى غـيرى على فقـده ... بكيـت على العيش من بعـده

لقد كافح الظلـم فى عهده ... وقـد كاد يرديه فى مهده

(على) وحسبك من ضيغـم ... تعيش الذئاب عـلى صيـده

ومن صـال صولته فى الزمان ... يعيش الزمـان على مجـده

فما الموت ان تذهب الروح عنا ... وان يغـير المرء فى لحـده

ولكنه أن تعيش طليقـا ... ونيلك يرسـف فى قيـده

لقد سطر الخلد نارا تلظى ... فأورى له الخلـد من زنـده

وخاض إلى المجد بحر الدمـاء ... فشـق الطريق عـلى بعـده

وزلزل ركن الطغـاة بعزم ... تجـول المنيـة فى حسـده

وقارع تحت (اللواء) الخصوم ... فلم تلـق بأسا إلى صـده

ونادى بوحـدة نيـل البلاد ... منـاداة شـيخ إلى ولـده

وقال الجـلاء فكان الفـداء ... جـوابا تلقـاه من (سعده)

ألا ليتنى كنـت فى قيـده ... ويا ليتنى كنت من جنـده

ويا ليتنى بين من شـردوا ... ليشـفع إلى النيـل فى سده

وليت الردى اذ طواهم فرادى ... طـوانى جـذلان فر بـرده

(على) وصحب (على) تساموا ... فآواهـم الله فى خلـده

تمنيت لا راغبـا فى حياتى ... ولكـننى غـرت من زهـده

على ، وهل مثله من شجـاع ... لهيب المدافـع لم يجـده

وهـل كان من قبلـه فارس ... وهـل جاء مغوار من بعـده

يضحى فكان من مثال البطولة — لم يثنه الهول عن قصده
ولم يرتعد لوعيد الدخيل — ولم يلق بالا إلى وعده
لذلك فليعمل العاملون — والا فليسوا على عهده

فيا شعب دونك سفر الجهاد — اذا رمت هديا فمن عنده
ويا شعب ان مات ذاك الزعيم — ليحي الزعيم هادى وفده
سينصرك (الازهرى) الرئيس — ويستل سيفك من غمده
ويدفع عنك افتراء الدخيل — إلى ان يثوب إلى رشده
فيا شعب كن خلفه صامدا — اذا مسه غاشم افده
ويا شعب دونك حق سليب — فشد الرحال إلى رده
بعيد ولكن اذا لم تكافح — سيزداد بعدا على بعده

لقد اوشك النيل يجرى حمماً — فيا ضيعة النيل من ورده
تماسكه غاصب مستبد — وها هو يسعى إلى وأده
وسخر من بين ابنائه — ذئابا لتحميه من أسده
وألهبه بسياط الضرائب — حتى يعيش على كده
ففى مصر أعوانه ساخرين — كما يسخر الضد من ضده
وهاهم هنا يدرأون الدخيل — عساهم ينالون من رفده

لقد أوشك النيل يجرى دماءا — فيزداد وجدا على وجده
فيا شعب دونك عيش مرير — لقد وضع الشوك فى ورده
ودونك يا شعب هذا العدو — وناهيك منه ومن كيده
ويا شعب دون العدو الرصاص — وكان الدليل على حقده
ودونك ان تستكين والا — فاحشد قواك إلى طرده

حسن طـــه :

الاســـلام

شعلة بددت دياجى الأباطيل — وقد عبّدت طريق الخلـود
هبطت فى الربيع مكـة روحا — فى اهـاب المجمد المحمود
غمرت كل بقعـة من فجاج — الأرض بالنور فازدهت من جديد
واشاحت عن الفناء فأحنـت — فى سماء الخلـود دنيا الوجود
واشـارت لنا على المثـل — ابتغـاء المهيمن المعبـود
واماطت عن الجنان حجـايا — كم اباداته آية التوحيـد
وأتاحـت لجامح الفكر ان — يعـدو ويعـدو بغيرما تقييد
فانجلى الحـق للبصائر وانجابت — دياجـى مذاهـب التعديـد
تلكم الشـعلة الحنيفة ظلـت — ترقـب الخلـق من زمان بعيد
مهـدت للورى بكل طريف — فى مراقى الحجا و كل تليـد
سايرت (عاد) حقبة (فثمودا) — فتهادت مع الكلـيم و (هـود)
انزلت من سمائها لهـم الآيات — نعمـى ورحمـة للعبيـد
فاذا ما اعـدت الفكر لاستيعا — ب لألاء دينـه المنشـود
صاغها الله فى الكتاب وقـل — اليوم اكملت للوجود وجودى

من يغص فى الخضم يستخرج الدر — يتيماً من القـرار البعيـد
كل ما ادهش الخلائق من فن — وطب ففى الكتاب المجيـد
تحت اشعاعه ستخلق اكـوان — من العلم مالها من حـدود
وعـلى ضوئه سنخطو ويخطو — اثرنا الغرب فى الركاب الرشيد
وعلى آيه سيلتئم الشـمل — ويغـزو السلام كل صعيـد
وإذن يأمن الضعيف على علاّ — ته شـر سـائد ومسـود
وإذن تسعد الخلائق جمعـا — تحت ظل من الرضى الممدود
تحت ملك من الضمائر محروس — بعـزم من الاباء اكيـد

تلكم الشعلة الحنيفة لايزهو سناها بغير خلق حميد
بعثت للكمال وللعلم والنور وللعدل والنهوض المشيد
بعثت تصرع الرذيلة فى كل صعيد بكل بأس شديد
وإذا سادت الفضيلة فالناس تغنى بكل ما فى الخلود

ذلكم دينكم فهبوا سراعا والبسوا منه زاهيات البرود
واستمدوا قواكم منه بالتو حيد فى كل ركعة وسجود
يا له مبدأ يوحد هذا الكون رغم السلاح والتجنيد
مبدأ خالد وروح قوى يا نعما السلاح للتشييد

وأساس النهوض فى الشرق روح معنوىّ يزرى ببأس الحديد
ها هو الشرق معقل الدين والسودان فى الشرق كان عاطل جيد
سنحيله فى غد برجال وعتاد وعدة وعديد
وسنخطو به إلى ذروة العلياء او سفح مجده المنشود

حسبنا ذلك الركود ألاهبوا سراعا ، فلات حين ركود
وقياما إلى الفلاح نحرر شعبنا من سلاسل وقيود
هذى يمناى فى يمينك يا هذا وما كنت حانثا بعهودى
لا نبالى تفاقم الخطب يوما ان يحل دوننا وبذل الجهود
حقق (المهرجان) أمنية تهفو فما عذر الاديب القعيد
لا تقل لى (عكاظ) قد بزها فى العلم والفن وابتكار الجديد
قد علا صوته بنهضتنا الفكرية اليوم ، بالعصر الرشيد
وزها نوره بحرية الفكر وحسم النزاع والتأييد
سأغنى اذن باغنية النيل لدى المهرجان فى كل عيد
مزهرى حكمة الحنيفة فى النادى وللوحدة الجليلة عودى
فاسمعوني مع الزمان اغنى ياليالى البشير بالنصر عودى
واسمعوني مع الحداة اغنى يا سماء الفخار بالعز جودى

حسن طه ـ

سانفرنسسكو

هـذي دموعي حيرى في محاجرها ... قد انكرت ما اعاني أي انكار
سيان منهزم عندي ومنتصر ،، ... هـذا طريح وهذا جائع عاري
كلاهما لم يضع حدا لغايته ... ولم يراع حقوق الجار للجار
كلاهما خان بالامس العهود ولم ... يرع المواثيق ، لكن تحت استار
هذا جزاء وفاق للذى كسبت ... يد السياسة آثارا بآثار

ليت الألى وقعوا (فرساي) رائدهم ... رد الحقوق وليس الاخذ بالثأر
لا فرق بين قوى صال مغتصبا ... حق الضعيف وبين الكاسر الضاري
نسوا العدالة حتى هاج هائجها ... وللعدالة جيش جد جرار
ظنوا السياسة صنوا للعدالة في ... نيل السلام وحسم الظلم والعار
وللسياسة لحن مطرب أبدا ... كالغانيات وقلب جد غدار
فأشعلتها ضروسا ملؤها حمم ... شعواء تقذف طيارا بطيار

قد هالني شرر كالقصر تقذفه ... طير أبابيل مخلوق من النار
تساقط النجم شهبا كلها رصد ... فاندكت الأرض لم تحفل بديار
يا غارة الله نار الحشر الطف بي ... نزاعة للشوى ، لكن بمقدار
كم من دماء اريقت وهي آمنة ... في غارة فاجأتنا دون انذار
وكم صريع قضى نحبا بلا جدث ... وجثة تحت انقاض من الدار
هـذا يتيم وهذا ثاكل جزع ... وتلك تبكى بقاني الدمع مدرار

حتى اذا شاخ وجه الارض كالحة ... لم يبق للناس فيها غير آثار
القى السلاح هزيل ما به رمق ... من الحياة سوى تاج من غار
وعاد يشدو بتوقيع السلام على ... عود السياسة . هذا محض تكرار

يا عصبة الأمم الكبرى التى طلعت   فى سانفرنسك نجما يرشد السارى
ردت بضاعتكم ان كان خالطها   من الأراجيف ما قد يغبن الشارى

هل جئتم بجديد فى حقائبكم   وهل حظيتم بدرس من (سنمار) ؟
وهل شحذتم ضميرا قد يوفر من   شحذ الحديد ورد النار بالنار
وهل علمتم بأن الحرب قائمة   مالم يلك العدل فيكم زنده وار
وهل سمعتم بأن الناس غايتهم   اوطانهم ليعيشوا عيش أحرار ،
لا تجلسوا. وقفوا فى البهو خاشعة   قلوبكم قبل ان تدلوا بأفكار
واستلهموا الله فى محراب قاعتكم   بقلب مسترحم لا قلب جزار
ثم استجيبوا إلى صوت الضمير ولا   يلهيكم كيد انصار لأنصار
ولتعجموا كل شعب شد ساعده   كى تنقذوه من المستعمر الزارى

فرب حاسمة للشر تغفل فى   هذا الندى فلا يأتي بأثمار
ورب بادرة للخير قد غرست   أنبتت نباتا واضحت ذات نوار
قضية العالم المنهوك فاشلة   ما شاب ساحتها اغراض جبار
اليوم فى اسرها كالليث رابضة   خلف المطامع لامن خلف اسوار
لانت ملامسها فاقضوا لبانتها   فانها ذات أنياب وأظفار
وروضوها لتحيا حرة أبدا   فالليث ، مهما انزوى فى أسره ضار

يا عصبة الامم الكبرى هنا غرد   يطارح النيل اشعارا باشعار
يهيم بالمثل العليا التى هرعت   من أجلها الناس لو يحظى بمقدار
انى مهيض فما اقوى على سفر   اليك قد حال قيدى دون اسفارى
ان تغفلى سبر غورى غير حافلة   فربما تسبر الأيام اغوارى
هل تسمعين إلى جواى انشدها   ام تطربين إلى ألحان اوتارى
هى الأمانى غدت سرا يضيق بها   صدرى ولولاك مافشيت اسرارى
هى الحقوق التى غنى الزمان بها   من عهد آدم عهد الكهف والغار
هى الجلاء وفك القيد عن وطن   قد ناصر الحلف لم يبخل بمغوار

حرية ما احيلاها غدت وطـرا من دونه انخطى جـل أوطارى
حرية هى نجوى كل مؤتمـــر نيليـة الأصـل سودانية الدار

يا أمـة النيل تقرير المصير لنا حق نصـرفه تصريف مختـــار
خل التناوش واستعدى الجهود على تنفيـذه فهو محفوف بأخطـار
فى البيت فى المنتـدى فى كل قا عدة وفى الاقاليم – أرياف وامصار
قد شمر الجد عن ساقية فأئتمرى هذى الحياة عداها الموت فاختارى
طوبي لمن ثقلت أوزانه سـلفا وكان بالامس جـادا غير مهذار
فأن مؤتمر السودان واعـدنا بالبرلمان ولكن وعـد أبرار

حسن طـه :

هــلل الشــرق

قيلت فى عيد الهجرة عام ١٣٦٧

شاهد المصطفى وصاحبه قدما كما قـد رأى بعينيه (قيصر)
وانبرى يرقـب الجهاد عيـانا منـذ ان هاجر النبى وكـبر
وتهادى مع الخلائق اعجـابا فكم سجل الفخـار وسطـر
الضلال القديم شيعه لمـا «م» دعـا الناس للهـداية منذر
كان يستعرض المعارك بين الحق والباطـل السحيق وينظـر
كم رأى فارسا يجند له السيف دفاعا عن الهـدى يستبشـر
كم رأى مسلما يبايع فى الله بامـواله فـلا يستكبر
ورأى قانتا يسـوم النفس زهـدا لربها او ينـذر
ساير الدعوة الحنيفـة حتى ادرك المشركون الله اكـبر

ديننا السمح واضح كل من سار عـلى هديه فلن يتعـثر
قد ألفنا القشـور منـه وآثرنا عـلى هـداه للمظهـر
لو سلكـنا طـريقة ما ذوينا وخضعنـا لسطوة المستعمر

من محياك يا هلال يطل الدهر طفـلا وانما هو اكـبر
قد عركنا للسلام فقام الدهـر لا سـلم فى الحياة فشـمر
وبلوناه فى الجهـاد فقـال الحق للسـيف طالما هو مشهر
فشهرنا سـيوفنا فدحض الباطل أنى نراه فى الارض يظهـر

اجر يا نيـل إن شانئك اليوم حقـير وانما هو أبـتر
ان واديك جنـة تتهـادى فى رباها كما تهـادى الكوثر
غير ان الدخيل يسلبها الخـير ليغـنى بخيرها « ما نشستر»

دونك الوفد سله عن أمل   السودان او رغبة البلاد يعبر
خلفه الشعب رابض يرقب المو   قف بالموت فى غد يستهتر
لم يكن للدخيل من بين عون   سوى ثلة بها قد غرر

خدمت للدخيل اغراضه لما   ارادت على البلاد تسيطر
والدخيل الدخيل ما زال يبدى   ناجذيه وما يزال يكشر
تدعى هجره وفى القلب منها   مثلما بين (عزة) و (كثير)
فئة ضلت الطريق فما فيها   لنا غير مغرض ومسخر

زعم المغرضون أنا انقسمنا   وأخذنا مع الغواية ندبر
أخذوا بالقشور فى حومة الجد   ولم يفطنوا لما فى الجوهر
قل لهم لا انقسام ما دامت الاحزاب   طرأ بوحدة النيل تزأر
ان اهدافنا تجل عن الاغراض   فالويل للذى يتنكر

حسن طـه:

من وحى الهجرة

حسبى من التاريخ ان اتذكرا ... حقبا تمر بنا كاحلام الكرى
حقبا على رأس الزمان كأنها ... تاج الفخار معززا وموقرا
المجد شيد لنا بها والعز قد ... أورى لنا أفياءه فتبلورا
حتى فشى فينا التنافر ... والقلى فاندك عالى مجدنا وتدهورا

يا عالم والدنيا تنوء بأهلها ... حربا ضروسا لا تقوم منكرا
حربا يظن المشعلون ان ... اوطان الورى سلع تباع وتشترى

يا عام ذكرتنا بهجرة احمد ... فاملنا منها تصوغ الجوهرا
ذكر فديتك بالجهاد فلم تكن ... كجهاد وقفا على طلب القرى
حى الصحابة يوم ساموا انفسا ... احيوا بها الدين الحنيف النيرا
قد جاهدوا والدين يعمر قلبهم ... فالله عززهم بجند
صالوا ليحيوا شرعة قدسية ... الله أنزلها على خير الورى
« الله اكبر » دعوة هتفوا بها ... كم ذا اذلت من طغى وتكبرا
دانت لبأسهم الملوك فغالبوا ... كسرى وما تركوا هنالك قيصرا
الحق غايتهم فما من باطل ... الا محوه وعن حماهم ادبرا
ان سالموا كانوا ملائك رحمة ... او خاصموا كانوا كآساد الشرى
يا عيد هجرة احمد احييتنا ... بتراثك الباقى فكنت مبشرا

ما زال عرق العرب فينا نابضاً ... حيا يعز على النهى ان يصبرا
من مبلغ اسلافنا وهم الألى ... قهروا الزمان بأننا لن نقهرا
عبث الزمان اذا أراد بأهلنا ... سواء وأبدى ناجذيه وكشرا
حتى نرسف فى القيود وحولنا ... ضيم عليه الحر لن يتصبرا

يا قــوم والاقوام كانت خلفنا نقتادها فإلام نمشى القهقــرى
دين الحنيفة سـيفنا نبتغى من دونه سيفا صقــيلا مشهرا
وهذا الكتاب دليلنا لا نبتغى من دونه حكما نزيهــا مبصرا
قد لاذ مؤتمر البــلاد بنـوره يخطو بأمتنا إلى اعلى الذرا
يخطو بشعب قد صحا متوثبا ومحرما دمه الذى قد اهدرا
بالدين بالوطن الحبيب وبالعلا بالعلم والعرفان صاح مشمرا
قامت حداة للشعب تحت لوائه صفا إلى ان تجـلى المستعمرا
فتفجر الوادى عيونا ثـــرة الخير يفعم نبعها المتفجــرا
وانساب وادى النيل كنزا خالدا يجرى لجينا او نميرا احمــرا
يا نيل بارك جنة المــأوى لنا نرتادها ما انت الا كوثــرا
يا نيـل واهتف بالحياة وقل لهم اليوم حق لشاعرى ان يفخرا
سدنا فسودنا الفضيلة والنهى وسدى يحاولنا العدى ان نغبرا

حسن طـه :

يوم التعليم

العيد اقبل من ذا لا يحييه — والعلم نادى فمن ذا لا يلبيه
هيا اذن واهتفوا بالعلم مفخرة — فليحى عيد النهى طابت لياليه
البشر يعلو وجوه الخيرين به — حتى كأنهم البسمات فى فيه

ياعيد ذكر بنى السودان كان لنا — ماض مجيد هبطنا من أعاليه
مذ هاجر المصطفى شيدت قوادمه — على النهى وعلى التقوى خوافيه
وكرّ صحب رسول الله سيفهم — ايمانهم ان فى الايمان ما فيه
لم يثنهم عرض الدنيا وزخرفها عن — الجهاد وعن شتى عواديه
قد وحّدوا الله فاشتدت سواعدهم — وطهروا الكون فانجابت دياجيه
تلكم عظات لو أن الشرق قدرها — ما أصبح الشرق فى ايدى اعاديه
ما أصبح الشرق منبتا سيادته — مغصوبة وهو ما ينفك فى تيه

طف بالعراق تجد خلفا وتفرقه — وفى فلسطين ارهابا تعانيه
وبالشام ووادى النيل اجمعه — سل من تلاقيه عما ذا يلاقيه؟
اذن أصيخوا فهذا الداء مصدره — كان للدخيل ويبقى ما نبقيه
الانجليز هم قوم لبانتهم — ان يسحقوا الشرق او تحنى نواصيه
قالوا رفاهية السودان غايتنا — حسب البلاد عناءا ما تعانيه
لو نبعث الصيحة الكبرى لكان لنا — شأن وكان لنا مما نرجيه
فيم الخلاف ودون النيل أمنية — كبرى كفلت هانت مساعيه
هى الإجلاء عن الوادى وثم لنا — مع دولة النيل أمر قد نسويه
حرية النيل ماان قد هتفت بها — تراقصت شجنا منها او اذيه

احبتى كلما ارجوه من سند — تأييد وفد أمانينا امانيه

قد عاهد الشعب يوم الشعب عاهده لا ينثنى أو يكون الحق ثانيه
فان تمشدق غير الوفد مدعيا انا نواليه ، لنا من مواليه
عزم عقدنا لا ننفك نعبده نفديه بالمال والأرواح نفديه

يا عيد أدعوك باسم العلم مبتهلا دعاء مؤتمر تهفو أمانيه
الله اكبر هذا القطر كعبتنا الجهل يقتله والعلم يحييه
فكيف نرضى موات الجهل فى وطن الشعب يكلؤه والنيل يرويه
حاشا لعمرك دين الحق مرشدنا فما الجهالة الا من نواهيه
ان جرد الجهل جيشا فاستعن ابدا بالعلم فهو الذى بالمال يرديه

اليوم قد وثب السودان متحدا تحدوه المثل العليا وتهديه
اليوم عيد النهى والبر فالتمسوا من فيضه حلة حسناء ترضيه
غدا سيكتبه تاريخ امتنا صفرا اياديكم البيضاء تمليه

هاتوا من المال للتعليم ما كسبت يد الكريم بلا منّ وتمويه
بروا بلادا بها شدت تمائمكم فالبر عاجله اجدى لمعطيه

حسن طـه :

كفاح الشعب

نعيمك منهوب وشعبك جائع ... ودمعك مسكوب وحقك ضائع

صبرت على الاملاق خمسين حجه ... فلا الرزق ميسور ولا الصبر نافع

فحتى متى يا نيل تنساب آملا ... وقد يئست ترجى المنابع

وحتى متى تشكو من الظلم ساسة ... وليس لدى قلب السياسى وازع

وما كان للباغى ضمير ولم يكن ... له غير ضرب الهام بالسيف رادع

أليس عجيبا ان ترى الظلم شافعا ... وليس لنا رغم العدالة شافع ؟

قضية وادى النيل اكبر شاهد ... بأن مجال الظلم لا العدل واسع

فما مجلس الامن المهيض بنافع ... ولا الدول الكبرى لديها مسامع

وكيف يكون العدل فى الأرض سائدا ... اذا وصمت سوح القضاء المطامع

أجل ليس فى الدنيا عدالة منصف ... اذا لم يكن دون العدالة

وليس لمن يستملك الضعف قلبه ... حياة وان ظل الحياة

ولو كان انصاف الضعيف مؤملا ... لما احتكمت بين الانام المدافع

صبرنا على الحكم الثنائى وكله ... مآس حواشيها الخنا والفظائع

لئن يشك من ظلم الحكومة عامل ... فقد ضاق بالرزق المقتر صانع

وان ضج من دفع الضريبة تاجر ... فقد أن من دفع الخراج المزارع

ولو يتصدى للحكومة ناقد ... فليس له عند الحكومة سامع

لنا طابع يدمى القلوب كآبة ... وليس لها غير القساوة طابع

فلا صرخات البائسين تهزها ... لتعطف او تجدى لديها المدامع

اذا كان كل الشعب يقضى من الطوى ... لماذا يطالب بالضريبة دافع

صبرنا على الحكم الثنائى وكله ... مآس حواشيها الخنا والفظائع

صبرنا فكان الصبر منا جريمة ... نداهنه طورا وطورا نصانع

وكان جديرا ان نعاديه مذأتى ... نحاربه طورا وطورا نقاطع

ولو كان هـذا دأبنا لوجدتنـا   على الضعف صفا واحدا لا يقارع
ولكن للمستعمـرين وحكمهم   أساليب أغوت بعضنا فتراجعـوا
أساليـب فالتاريخ يفضح مكرها   ويكشفها الامر الذى هو واقـع
اذا كان تقـرير المصير منزها   لما ناصر الحكام زيدا وشايعـوا

سلوهم اما كان (الخليفة) حاكما   أما كان عن هـذى البلاد يدافع ؟
أما اختـاره المهدى بالامس واليا   فدان له الانصار جمعا وبايعـوا ؟
لماذا اذن يستنكرون عـلى ابنـه   مطالب حق ليس فيـه منـازع
وهبهم يعـادون الخليفـة وابنه   فهل لم يكن باسم الخليفة جامع ؟
وهل ضاق وجه الارض ان يفسحوا لمن   يوادونه والارض قفـر بلاقـع ؟
وهـل بلغ استهتارهم ان يشوهوا   معالم للتاريخ فيها مراجـع ؟
فقد دبروا تشتيت شمل صفوفنا   ولم تنـج مما دبروه المخـادع

اذا الفتنـة الحمقاء أبدت نيوبهـا   تيقـن بأن الشـر لابد واقـع
لقد خلـق المستعمرون صنائعا   وقالوا لهم قودوا الصفوف ودافعوا
وما كان للاوطان شأن اذا انبرى   يدافـع عنها فى الصفوف الصنائع
سلوهم لماذا باركوا المجلس الذى   مقاعـده للغاصبيـن اصابـع
مقاعد لم يجلس بها غير مغرض   ولم يرضها الا الخئـون المخادع
وظائف قد صيغت شراكا ليوقعوا   بها كل من فى منصب الحكم طامع

اذا الباطـل الواهى اكفهر جبينه   فان جبين الحق ابيض ناصـع
لقد زعمـوا ان المجالس خطوة   فساروا اليها قانعين وسارعوا
ولو ادركو قالوا المجالس خدعة   وقالوا لوادى النيـل انا نخـادع
ولو انصفوا قالوا لجونبول اننا   بغيـر الذى يرضى البلاد نمانـع
فما مجلس التشـريع الا مطيـة   ذلول مع الحكم الثنائى ظالـع
وما مجلس التشـريع الا حكومة   تشرع ما قد انكرته الشـرائع
أرادتهـا مسـلوبة ورجالها   هم انجليز سودتها البراقـع

تراهم حيال الانجليز . فساجد ... إلى ربه حمدا والا فراكع
جواسيس للأعداء عون وساعد ... ولكن علينا اعين وطلائع
سماسرة هذا يساوم شاريا ... وهذاك فى سوق السياسة بائع
وهذا يمنى بالأرائك نفسه ... وهذا فى ظل الارائك قابع
فما كل من ضحى إلى المجد طامح ... وما كل من صلى إلى الله ضارع
كفاحهم فعل مضى فهو ناقص ... وأما كفاح الشعب فعل مضارع

فيا ويلهم ان يحكم الشعب نفسه ... وان كشفت يوم الحساب المراجع
سيلقون عند الكادحين جزاءهم ... متى ازدحمت بالكادحين الشوارع

عجبت لحكم لا يمثل اهله ... فيرهقهم قسرا اذا لم يطاوعوا
اذا الحكم لم يأخذ بتمثيل شعبه ... فذلك فى ثدى الاجانب راضع
وان لم يكن حكم البلاد مؤيدا ... من الشعب اطلاقا فما هو نافع
وان لم يكن للشعب حق يناله ... فلا هو محكوم ولا هو خاضع

الأشد ما نلقى اذا لم نقف لهم ... صناديد دون الحق لا نتراجع
يريدون تكميم الاسود بغابها ... لتنعق فى غاب الاسود الضفادع
اعدوا لنا شتى السلاح وفاتهم ... بأن سلاح الحق لا يتقارع

لنا فى ظلام السجن تسبيح ناسك ... وما السجن الا الكفاح صوامع
دعوهم يعدون السجون فاننا ... على الحق ان الحق كالسيف قاطع
متى آمن الشعب المجد بحقه ... فكل جحيم النعيم مراتع
اذا هبت الثورة يوما فكلنا ... سلاح وكل الثائرين مقاطع

فيا شعب وادى النيل حقك ضائع ... اذا لم تقف دون الحقوق تصارع
صراعا يرى المستعمرون مضاءه ... عليهم جحيما تصطليه المضاجع
تحرك مليا ايها الشعب نحوها ... فليس الأماني دونها البون شاسع

تحرر من الحرمان والجهل والضنى ... وحسبك غبنا انك اليوم جائـع
تحرك فقد لاح الصبـاح بنـوره ... وها نوره فى (جبهة الشعب) ساطع
تحرك ففى ركـب التقـدم منقذ ... وفيه لاعـداء الشعوب مصـارع
تحرك وأكسرها القيـود فأنهـا ... سلاسل رق حضرمت وذرائـع

فليس الكفاح الحق تأليف خطبة ... وما هو نظـم فى الحماسة رائع
ولكنـه سجن ونفى وشـدة ... وضرب وحرب تصطلى ومواقع
فما كل ذى درع من الطعن سالم ... وما كل من ينجو من الطعن دارع
وليست حـياة المرء الاوديعـة ... ولا بد يوما ان ترد الودائـع

حسن طـه :

يازعيم البلاد

وضح الصبح جهرة للعيان .. فرأينا الرجال فى الميدان

واختفى من صفوفنا كل رعديد ضعيف ، وفر كل جبان

وقف المؤمنون بالله حقا وانزوى المؤمنون بالاوثان

كافحوا الغاصبين لما أهابت بقواهم ضريبة الاوطان

يخافوا الرصاص دون أمانيهم ولم يرهبوا قوى السجان

واحدا اثر واحد أودعوا السجن فما زادهم سوى إيمان

والطغاة الطغاة ارهبهم حتى زئير الاسود فى القضبان

عذبوهم ، جوعوهم ، فويل لهم من تمرد الجوعان

وضعوا فوق رأس كل سجين تاج فخر سماء على التجان

العذاب المرير شنشنة الظالم لما يبوء بالخسران

كلما اشتط فى العذاب رأينا هزيلا معذب الوجدان

واذا ضمت السجون بريئا فالذى يحكم البلاد الجانى

وضح الصبح جهرة للعيان ورأت « مصر » محنة السودان

المواثيق لم تعد تتمشى مع باغ يشتط فى العدوان

والاباطيل لم تعد تتنافى مع ما يدعيه من بهتان

من رسولى إلى الكنانة أنبيها بكيد الدخيل للأوطان ؟

لورآنا نقول مصر تأذى وتحدى القلوب بالسلطان

لم يجد حجة سوى البطش بالاحرار او منطقا سوى الطغيان

كلما قالت الوشائج شعب واحد ، قال : اننا شعبان

حسن طـه :

ياشعب

أين الطغـاة الكاذبونا — ليبصروا الحق المبينا
واين اذناب الطغـاة — لعلهم يتراجعونا
والكافرون بشعبهم — الخارجـون المارقونا
قولوا لهم ان كنتم — عند الجهاد منافقينا
قد انزل الله السكينة — في قلوب المؤمنينا

الشعب ها هو رابض — مستبسل يحمى العرينا
والشعب ها هو هاتف — بحقوقه لا تسمعونا
قد قاطع الجمعية — العرجاء بل حلف اليمينا
آلى واقسم ان يحطمها — ولو يلقى المنونا

يا ايها المستعمرون — الجائرون الغاصبونا
تالله هـذا الشعب — مظلوم وانتم ظالمونا
لن تفلحوا ان تخدعونا — لا املئوا ولما ترهبونا
شردونا عذبونا — واملئوا منا السجونا
بل حاربونا كيفما — شئتم والا فاقتلونا
انا ندين بحقنا ! — افليس هذا الحق دينا ؟

يا شعب كن حربا على — الباطل حتى لا يكونا
يا شعب خذ حقك لا — تطلبه حتى لا تهونا
يا شعب كن صعبا على — الأعداء حتى لا تلينا
لا تطلبن معينهم — واطلب من الله المعينا
يا شعب واهتف غاضبا — فليسقط المستعمرونا

خمســـون عاما قد خلت يا شـعب بل كانت قرونا
قد كنت فيها هائمـــا كالطـير اذ هجر الوكونا
وتفيأ الغـــرباء فى ظـل القصـور منعمينـا
فكأنمـــا السودان ربع لم تبكـن فيـه قطينـا
الفقـر والجهـل الوخيم استنزفو منك الشئونا
والعـرى والمرض العضال استنفدا منـك المعينـا
غـدروك فامتصوا دماءك كى يعيشـوا أمنينـا
فالى متى يا شعب تحيـا بـين ايديهم رهينـا ؟

خمسون عـاما خلفتـك تـئن بالشـكوى انينـا
سلبتك نعمـاء الحيـاة وابقـت الداء الدفينـا
حرمتك تقرير المصـير لتذرف الدمـع السخينا

يا شعب لا تترك زمـامك للألى يـستر ددونا
ان القيـادة فى يديـك فلا تكن فرسـا حـرونا
سر نحـو اهدافك لا تنظـر شمالا او يمينا
حـتى ترى النـور الذى يعشـى عيون الشانئينا

يا شـعب جلادوك هاهم فى السـلاح مدججـونا
لم يكفهـما انا نكافـح للغـذاء مصـفدينا
جـاءوا الينا كى يرونـا فى الدمـاء مضـرجينا
فليسفكـو ا دمـنا الزكى كما يشـاء الحاكمـونا
سـنظل احـرارا بغير كفاحنـا لن نستعينا

يا شـعب دونك ان تموت وان تعيش مـع الذينا
سـلمـوا لوادى النيـل أنفسهم فكانوا خـالدينا

يا شـــعب ان لم تقلــــب الأوضـــاع كنت بها قمينا
من يطلــــب الحـــرية الحمراء يقتحم الحصـــونا
فامهـــــر بلادك بالـــدم القـــاني ولا تخشى المنـــونا

حسن طـه :

باقــة الــوادى

انظم سرى المعانى من امانينا ⠀ واطرب لها اليوم تغريدا وتلحينا

واسبح مع الشعر فى علياء جنته ⠀ واقطف لنا من رياض الشعر نسرينا

وصغ لنا باقة مفه يقدمهـــا ⠀ للوافدين وباسم الشعب وادينا

قلت اسمعوا فما يجديكم كلمى ⠀ وان اتيتكم بالنجم موزونـــا

قد صار ذكرهما يدوى بكل فم ⠀ أنشودة هى أسمى من معـانينا

انشودة الحب غنتها حواضرنا ⠀ فرجعتها باخــلاص بوادينــا

يابن الخليفة، يابن الملك، آن لنا ⠀ اليوم نفدى وفاءا من مفــدينا

هذا هو الشعب يمشى فى ركابكما ⠀ جيشا تقودانه يغزو الميــادينا

قد ودعوكم فما عادت قلوبهم ⠀ حتى رجعتم لهم امنا وتحصينا

وعاهدوكم فما خنتم عهودهم ⠀ حتى طلعتم لهم كالسعد ميمونا

اسمعتما صوتنا للعالمين كما ⠀ باركتما وفدنا معنا وتضمينـــا

من اين يدرى (جروميكو) وشيعته ⠀ لولاكم اننــا نحيا مساجينـــا

شددتما عضد اسماعيل بل لقد ⠀ قويتما صحبه الغــر الميامينـــا

القمتما حجرا وفد العدى فغدوا ⠀ بكما يلقنهم (جونبول) تلقينا

(مهلا بنى عمنا مهلا موالينا ⠀ لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا)

سرنا مع الشرق شرقا غير انكم ⠀ سرتم مع الغرب غربا كى تخونونا

هل طرتم لتقولوا ان رايكـــم ⠀ كان السديد وراى الشرق مأفونا

ام رحتم تدعون الملك يسندكم ⠀ وفد الدخيل واطماع المفضلينا

قد فر شيطانكم لما بدا (عمر) ⠀ كالنجم يرجم بالحق الشياطينا

لو كان للملك ارثا كنت صاحبه ⠀ وكنت يا عمر الفاروق مأمونا

مندوب روسيا فى مجلــس ⠀ الامن يشــير إلى الانفصالينا

صدفت من اجل شعب النيل عن عرض الدنيا ولو رمته اصبحت «قارونا»
لا خـير فى ملك تسرى ارادته فينا و كان عليه التاج مرهونـا
لم نسمع الدهر بالتيجان تصنع من احجار تاج يحلى رأس «نيرونا»
التاج ما لم يضعه الشعب منقصة والحكم كان برغم الشعب أتونا

قل للألى حسبوا انا نسام متى حل الرقيق لكم حتى تسومونا
انتم ضحايا امانى الانكليز فلا تقدمونا لعزائكم قرابينـا
الانكليز عرفناهم ونعرفكـم كالذئب غدرا وكالحرباء تلوينا
لئن شكونا لهل فصل الجنوب راوا ان ينشبوا رهبا اظفارهم فينا
وان رأونا نصلى فى الجنوب على مرأى من الناس ، ويل للمصلينا
او قلدونا وساما كان قصدهم ان نستكين وان نحنى نواصينا
وان افاءوا علينا من مناصبهم قد سخرونا على ويلات اهلينا
فلا يكفون اغلالا بارجـلنا الا اذا احكموا تقييد ايدينـا
حرية عن السكسـون نعرفها فقد سمعنا صداها فى فلسطينا
قد قسمونا كما شاءت ارادتهم وفرقونا فلم تعمر مغانينـا

يابن الخليفة شعب النيل قاطبة قد عاهد الله الا يرتضى الهوانا
وعاهد النيل واسماعيل قائـده ألا يمالىء دون الحق (سكسونا)
فلتحى وحدة وادى النيل تخرجهم عنا فيحيا مع الاحياء وادينـا
تلكم مبادؤنا ان مسها عطـب متنا اذن قبل ان تفنى مبادينـا
الشعب افضل ميزان لدعوتنا ياليتهم حكموا هذى الموازينا
ارادة الشعب فوق الحاكمين أجل بل انها السيف ذو الحدين مسنونا
سل عن أذاها بنى التاميز ان غضبت وعن قواها فسل موسكو وبرلينا
فهى السـلاح اذا صلنا بقوته نلنا الامانى واخضعنا السلاطينا
يا وحدة اثبت التاريخ نشأتـها مذ عهد خوفو ومذ توت عنخ آمونا
ماذا يضير الاعادى منك ويحهم ان لم تكونى لهم صابا وغسلينا

مصر هى الرأس للسودان قل لهم ... كلاهما وحدة جسما وتكوينا
هيا اقنعونا بهذا الفصل ــ انكم ... او نحن، ان تفلحوا ، كنا مجانينا
إنا لنا هدف دون الجلاء سدى ... فسعى اليه فما تجدى امانينا
الله اكبر قال الشعب قولتـــه ... لما أراد فقال الحق آمينـــا
يا أيها الشعب سر نحو الحياة وخض ... بحر الدماء فليس العمر مضمونا
ان كان للحق دون الموت من أثر ... نحيا ، والا فان الموت يدعونا

حسن طه

سجنوك

سجنوك ما سجنوا المروءة والشهامة والإباء
سجنوك هل أعشوا عيون الحق أم حجبوا الضياء
سجنوك ما ظفروا بقلبك فهو حر كيف شاء
قلب له فوق الكواكب من أمانيه سماء
قلب يدين بوحدة الوادى ويكفر بالجفاء

× × ×

(عبدون) لا تحفل فكم فى السجن غيرك أبرياء
بالامس نالوا من ابيك وكان قطبا (للواء)
واليوم نالوا منك انت وانت داعية الجلاء

× × ×

يا أحمد قم بالرسالة أدها خير الاداء
واحمل إلى (الفاروق) من سودانه تاج الولاء

× × ×

انى سألت الانكليز متى الجلاء بلا دماء
قالوا سنبقى ما جرى فى حوض وادى النيل ماء
ربحت تجارتهم وكان نفاقهم ثمن الشراء

× × ×

قف بى لدى عابدين لو اشفى غليلى باللقاء
وأبث لها الشوق المبرح قبلة فيها الشفاء
قدم لدى اعتابها شعبا توثب للنداء
شعبا يرجى للضراب وللنزال وللفداء
تشجيه جلجلة الحديد هوى وتسكره الدماء
شعب يدين بوحدة الوادى يؤمن بالجلاء

حسن طه

ما راى كمن سمع

يا قطب ما راى بعينيه كمن سمع النداء
خطفوك ليلا هكذا اعمالهم رهن الخفاء
أرأيت كيف الحكم فى السودان ينكره القضاء
ورأيت كيف العدل فى أرجائه عمدا يساء ؟
كيف الأسى والذل يفرضه علينا الاوصياء
قالو نهىء نشأكم للحكم : قولكم هراء

× × ×

انى لنهضتنا وهم قد اقعدونا القرفصاء
سلبوا الحياة رواءها عنا وما سلبوا الشقاء
تلك السياسة طيها مكر وظاهرها رياء

× × ×

أيان حل ركابهم فعلى المسرات العفاء
تؤذيهم ضحكتنا ويسرهم منا البكاء
قالوا البلاد فقيرة وجيوبهم ملئت ثراء

× × ×

قد كمموا الأفواه كيلا تملأ الدنيا استياء
وتفننوا فى القيد كيلا نذرع الارض الفضاء
وأبو علينا أنة الشاكى وصيحات الرجاء
قد أيأستنا رحمة الارض فما شأن السماء

حسن طه

قال فى معارضى وحدة وادى النيل :

جــل وادى النيل

ايها النيـل المفـدى أجر غسيلنا وصـــابا
أو فقـوض عـذبك الشـافى وابدله سرابا
أو فقـف يا نيـل لا طبت اظاميهم شـرابا
كلما قلنـا لهم ثوبوا يزيدونا ارتيـــابا
أتراهـم يـوم عقـوا النيل قد فقدوا الصوابا

× × ×

حسـبهم يا نيـل نعمـى منها العـيابا
كلما أرويتهـم زادوك همـا واكتـئابا
كيف يوفونـك بـال عهـد الألى خانوا الكتابا
ان يكـن فيهـن مصيب لم يعش الا مصابا

× × ×

لو يقـل فيهم مصيـب قلل حطبـه لا حـطابا
واذا سـاءلتهم فى أمرهـم حاروا جـوابا
جـل وادى النيل أدب مـع الاسـد الذئابا .

حسن طـه

عاش وادى النيل

ها هو الشعب بالأمس قد ودع وفـده
ثابت الايمـان بالسـودان لن ينقض عهده
رابط الجأش غداة الروع لا تثنيه شـده
قد أتاك اليـوم يا عيـد ليستوحيك مجده

× × ×

أنه يا عيـد جـاء اليوم يستعرض جنـده
يوم خف الوفد كالسيف الذى فارق غمده
يوم هـب الشعب لاستقلاله شيبا ومـرده
يوم قلنا لن يعـود الوفـد الا أن يـرده
كم به قد سجل التاريخ للسودان خلـده

× × ×

قد مضى عام به قد كان يستجمع رشـده
لم يكن فى غفلة بل كانوا يبلـو فيه جنده
قـد أتا اليوم يا عيد لكى ينجز وعـده
ويعـد العـدة الكبرى لكى يكسر قيـده

× × ×

كل من فى القطر مغبون يعـاني اليوم سهده
طاويا الا اذا مرغ مثـل الكلـب خـده
فأذا ما صـاح فى وجـه الطغاة المستبده
جائع مترفع يشكو إلى الحاكم وجـده
قال حـذوه فكان السجن والتشريد حـده

× × ×

هاهو الكاتب فى مكتبه يندب جـده

قد رأى الغاصب يستنزفه جهدا وجهده
ولديه من نعيم العيش ما يعييك سرده
فاذا ما قال انصفني غدا التنكيل رده
غضبوا منه وقالوا انه جاوز حده

× × ×

ها هو الزارع لا يجنى برغم الكد كده
حظه الاشواك م الشهد فلا يطعم شده
حسبة البؤس الذى اضناه عدوانا وهده
يحصد العمر اجيرا انما يجهل حصده
فاذا قلنا لهم اعطوه كى ينقذ ولده
غالطوا فى اجره قالو لنا لا شىء عنده

× × ×

ها هو العامل منهوك تخال الشن جلده
يتفانى كلما أغروه كى يبذل جهده
فاذا ما طلب القوت الذى يكفل زنده
أعرضوا عنه وخلوه يعاني الموت وحده

× × ×

أن يك الغاصب قبل اليوم ظن الشعب عبده
فاستغل الجهل عونا واستباح الفقر عده
وأذاق الشعب صلبا وهو يستجديه رفده
وأذل النيل بالقوة كى يحتل ورده
قل له قد هب وادى النيل لا يألوك جهده
ثم آلى ان يرد اليوم للغاصب كيده.
ها هو النيل المفدى ظل يستنجد أسده
ها هى القوة تغلى فى دم السودان وحده
ها هى النيران تجتاح الألى يبغون وأده

ها هي الثورة كالبركان تـدوى بل أشده

× × ×

خاب سعي الغاصب الزاري عرفنا اليوم قصده
فليشرد من يشاء هيهات نبدي اليوم رعده
ومحالا ان يضل الشعب او يفرط عقـده

× × ×

انه الغاصب كالحرباء قد غـير برده
يظهر اليوم المحبـة انما يبطن حقـده
قد رآنا عصـبة في وجهه كالصخر صلده
فانبرى يطلب من أسناده عـونا ونجـده
واختفى من خلفهم كالذئب اذ يطلب صيده
فأتى بالمجلس الزائف يستجـدى المـوده

× × ×

انه سخرية الاجيال اما شئت نقـده
ليس هـذا مجلس بل انه بوق (الاجنده)
فاذا قلنـا ضعيف لن يحـل الدهر عقده
يدعى الحاكم ان الشعب لم يبلغ أشـده

× × ×

خاب سـعى الغاصب عرفنا اليوم قصـده
لن يقوم المجلس الزائف فلنختط لحـده
قسما بالله لا حـرية للشـعب بعـده
يسقط المجلس ترياق الطغـاة المستبـده
وليعش سـودانا حرا وعاش النيل وحده

حسن طــه

لبيــك مؤتمــر السودان

الشرق يا عيد أدناه واقصــاه شكو من الظلم فى شتى قضاياه
انظر اليه اسيرا فى مرابضــه تنوء بالقيد بعد القيد رجلاه
الغرب كان له ينقــاد ممتثلا ان شاء يامره او شــاء ينهاءه
فله يا عيد عن سلطان دولتــه وكيف ولى وأين اليوم يلقــاه
اين التقى والنهى منا واين هدى الدين الحنيف الذى قد انزل الله
أين الخــلائف المسلمون واين القانتون واين العــز والجــاه
اين الكماة الا أين الحماة فقد كانوا وكانت لهم سفن وأمواه
عهد به سطر التاريخ صفحته بيضاء للشرق لكنا طمســناه
بنو أمية قد شادوا دعائمــه صرحا فشاد بنو العباس اعلاه
عهد غبرناه لا ننفك نذكــره هل ياترى تبعث المغبور ذكراه

عيــد الفداء الألولا الفداء لما سميت عيدا له فى الشرق معناه
سجية أدرك (ابراهيم) قيمتها مصدقا للذى بالحــق ناجــاه
وكبرَ الله لم يحفــل بفلــذته وكاد يذبحــه من أجل رؤياه
ويح الخليل وقد دان الذبيح له؟ يا للفــداء الا ما كان اقساه
درس بليغ اذا ما شئت تضحية أوشئت أن تفتدى من كنت تهواه
التضحيات عماد الشرق قاطبة بل هن ركن قويم فى زواياه
لو كان واصلها ما اندك تالده او كان قدرها ما انفك ينعاه

تنزل الشرق من عليائه فكبــا مذيــاع اخراه تضليلا بدنياه
وهادن الغرب لم يدرك مطامعه والغرب قد لمعت بالغدر عيناه
فاعجبت الليث فلاة بان يصحبه ذئبا يراوغه فاحتل مغنــــاه
وصــار يحرسه خوفا ليطعمه من الفتــات اذا ما قال أواه

الليث من حوله القضبان ماثله   ما كان للذئب رغم الضعف يخشاه
وارحمتاه سلو الشرق المهيض ترى   عن النهوض فتات العيش أغناه؟
بالأمس عانى ضنى جونبول منفردا   واليوم يرهقه (ترومن) بمسعاه
أغرى اليهود فقال القدس مرطنهم   لاموطن العرب واستعدى رعاياه
(صهيون) ضرب من استعمار فخذوا   بناصر الشرق أن الغرب آذاه
هيا بنى العرب فلنجمع كتائبنا   صفاً وإلا غدونا من ضحاياه

ها قد صحا الشرق مأخوذا بعزته   وخاصمت نومها في الليل عيناه
وجرد السيف واستعدى الكماة على   صهيون حتى يقولوا اليوم ويلاه
وسار مؤتمر السودان سيلحق   بالركب الجليل الا فالشرق ناداه
لبيك مؤتمر السودان امض بنا   إلى كفاح بنو السودان تهواه
فمن سواك أصغى الشعب الكريم له   ومن عداك سواد الشعب لباه
البرلمان رفعت اليوم رايته   على البلاد وهذا ما تمناه
لولاك ما نهض السودان متحدا   او ما تنفس عما بات يلقاه
لولا جهادك كان اليأس اقعدنا   وارغمونا على وضع أبيناه
وساومتنا ذئاب لا ضمير لها   وناب عنا دعى ما أنبناه
قضية النيل قد فصلتها فغدت   حقا يمزق للماجور دعواه
فلن ترى النيل اشلاءا ممزقة   الا اذا غير السكسون مجراه

لبيك مؤتمر السودان امض بنا   إلى الكفاح بنو السودان تهواه
من خلفك الشعب ان شئت الفدا   وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
ما انت الا لسان الحال انت له   السيف الوحيد الذى لم يبق إلاه

الليث من حوله القضبان مائله ما كان للذئب رغم الضعف يخشاه
وارحمتاه سلو الشرق المهيض ترى عن النهوض فتات العيش أغناه؟
بالأمس عانى ضنى جونبول منفردا واليوم يرهقه (ترومن) بمسعاه
أغرى اليهود فقال القدس مرطنهم لاموطن العرب واستعدى رعاياه
(صهيون) ضرب من استعمار فخذوا بناصر الشرق أن الغرب آذاه
هيا بنى العرب فلنجمع كتائبنا صفاً وإلا غدونا من ضحاياه

ها قد صحا الشرق مأخوذا بعزته وخاصمت نومها في الليل عيناه
وجرد السيف واستعدى الكماة على صهيون حتى يقولوا اليوم ويلاه
وسار مؤتمر السودان سيلحق بالركب الجليل الا فالشرق ناداه
لبيك مؤتمر السودان امض بنا إلى كفاح بنو السودان تهواه
فمن سواك أصغى الشعب الكريم له ومن عداك سواد الشعب لباه
البرلمان رفعت اليوم رايته على البلاد وهذا ما تمناه
لولاك ما نهض السودان متحدا او ما تنفس عما بات يلقاه
لولا جهادك كان اليأس اقعدنا وارغمونا على وضع أبيناه
وساومتنا ذئاب لا ضمير لها وناب عنا دعى ما أبنناه
قضية النيل قد فصلتها فغدت حقا يمزق للماجور دعواه
فلن ترى النيل اشلاءا ممزقة الا اذا غير السكسون مجراه

لبيك مؤتمر السودان امض بنا إلى الكفاح بنو السودان تهواه
من خلفك الشعب ان شئت الفدا وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
ما انت الا لسان الحال انت له السيف الوحيد الذى لم يبق إلاه